مدرسة بغداد العلمية

وأثرها في تطور الفكر الامامي

١٤٥-٦٥٦هـ



الأستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

مدرسة بغداد العلمية

وأثرها في تطور الفكر الامامي

١٤٥-٦٥٦ هـ

الاستاذ الدكتور
حسن عيسى الحكيم

الحكيم : حسن عيسى،
مدرسة بغداد العلمية و اثرها فی تطور الفكر الامامی/ تأليف:
حسن عيسى الحكيم
قم: منشورات المكتبه الحيدرية-١٣٩٢هـ -١٤٣٤ ق.
٤٤٠ صفحه ٥-٢٣٥-٥٠٣-٩٦٤-٩٧٨:شابک
فهرست نويسی براساس اطلاعات فيپا.
الف- عنوان عربی
كتابنامه به صورت زيرنويس
كتابخانه ملی: ٢٩٧/٧٤

اسم الكتاب:	مدرسة بغداد العلمية و اثرها فی تطور الفكرالامامي
المؤلف:	الاستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم
الناشر:	المكتبة الحيدرية- قم المقدسة
الطبعة:	الاولى ١٣٩٢ هـ - ١٤٣٤ق
ليتوغرافي:	آل البيت عليهم السلام -٠٩١٢١٥٣٢٠٧٧
المطبعه:	شريعت
عدد المطبوع:	١٠٠٠ نسخه
السعر:	٢٥٠٠٠ تومان
ردمك:	٥-٢٣٥-٥٠٣-٩٦٤-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منذ اختيار السلطة العباسية الحاكمة في عهد الخليفة العباسي الثاني ابي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) مدينة بغداد (دار السلام) عاصمة للدولة، ومركزاً للإدارة، ومدرسة للعلم، اخذ رجال الفكر والادب يتوافدون عليها من الامصار الاسلامية، وقد شجعت السلطة على هذا الجانب مما أدى الى اضعاف مدرستي البصرة والكوفة، وقد احتل علماء الامامية مساحة واسعة في المدرسة البغدادية، فأسسوا دور العلم، وتبؤوا مراكز متقدمة في المناظرات الفكرية، ومجالس الجدل الكلامية، وأصبح لبعضهم مقام بارزاً في مؤسسات السلطة الحاكمة. وكان لهم اثر كبير في نشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وقد واكب علماء الأمامية الحياة العلمية في بغداد منذ تأسيسها عام ١٤٥هـ.

وقد مر الفكر الامامي بمرحلتين متناقضتين خلال خمسة قرون هما: مرحلة الحرية الفكرية، ومرحلة التعصب الطائفي، وقد حاولت في رسالتي الجامعيتين التي نلت بهما درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة بغداد، ابراز هاتين المرحلتين، فقد تناولت في الاولى حياة الشيخ الطوسي في بغداد، ومن ثم التجائه الى النجف الاشرف هرباً من بطش السلطة

وجبروتها ، وتناولت في الثانية حياة المؤرخ ابن الجوزي الذي ارخ لمدينة بغداد ، واشار الى مرحلتي الحرية الفكرية ، والتعصب الطائفي ، وقد مررت من خلال هاتين الرسالتين على اعلام بغداد ومؤسسات العلم عند مذاهب المسلمين ، وحاولت من خلال مؤلفاتي عن ابي العلاء المعري والشريفين الرضي والمرتضى ، والشيخ المفيد ، والشيخ النجاشي ، والشيخ الطوسي ، إبراز الفكر الامامي في مدينة بغداد ، ولم تكن بعض هذه الدراسات قد احاطت بهذا الفكر من جميع جوانبه ، في الوقت الذي اصبحت فيه مدينة بغداد في العصر العباسي ، مركز القيادة الدينية والمرجعية العليا ، وان مؤشرات النتاج العلمي شاهد على بروز الفكر الامامي في المدرسة البغدادية ، وصموده بوجه الفكر السلفي ، والتيارات الفكرية الاخرى التي لا تلتقي مع فكر اهل البيت عليهم السلام ، ولكن الذي اسهم في صمود الأماميين تجاه التيارات المعاصرة الاخرى ، هو الانفتاح التام لاستيعاب الافكار العقلانية والسلفية والصوفية عن طريق المناظرات الكلامية ، واستمرار حركة الاجتهاد الفقهي ، وإبقاء بابها مفتوحاً ، وان ادى الامر الى اختلاف وجهات النظر بين فقهاء الامامية أنفسهم ، وتوضح مؤلفات الأماميين في هذا الجانب ، وهي تعبر عن اجتهادات فقهية واصولية وكلامية ، وقد صمد الأماميون بوجه السلطة الحاكمة ، سواء اكانت عباسية او اجنبية او عجمية ، وان تعرض بعض الاعلام للاضطهاد والتنكيل والتشريد و التصفية الجسدية ، وقد استمرت هذه الحالة حتى منتصف القرن السابع الهجري ، واصبح العراق تحت

طائلة الحكم الاجنبي ، وبقي رجال العلم والفكر يمارسون نشاطهم على وفق ماتراه السلطة الجديدة ، وان دراستنا هذه تتوقف عند هذه المرحلة من تاريخ بغداد العلمي والفكري والسياسي ، ونسأل الله العلى القدير النجاح والتوفيق ن انه نعم المولى ونعم البصير .

النجف الاشرف — الدكتور حسن الحكيم

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

الفصل الاول

بغداد من عصر الائمة عليهم السلام الى عصر السفراء

بنيت مدينة بغداد عام ١٤٥هـ . وقد وطأ ارضها منذ هذا التاريخ ثلاثة ائمة عليهم السلام وهم :

١-الامام الصادق عليه السلام .

٢- الامام الكاظم عليه السلام .

٣-الامام الجواد عليه السلام .

ولكن عندما كانت بغداد مساحة من الارض قبيل ان تخطط مدينة في عهد ابي جعفر المنصور ، فان الامام امير المؤمنين عليه السلام قد مر في بعض مناطقها ، وهو في طريقه الى (النهروان) لمقاتلة الخوارج المتمردين على حكمه عام ٣٧هـ ، فنزل عليه السلام في موقعي (قطفتا) و (بادوريا) فيقول الامام الصادق عليه السلام : ان امير المؤمنين عليه السلام حين أتى أهل النهروان نزل قطفتا فاجتمع اليه اهل بادوريا فشكوا إليه ثقل خراجهم[1] . وقد حدد الجغرافي ياقوت الحموي موقع قطفتا في الجانب الغربي من بغداد ، وهي تجاور لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي ، وبينها وبين نهر دجلة اقل من ميل ، وهي مشرفة على نهر عيسى، الا ان العمارة بها متصلة الى نهر دجلة [2]. ويبدو ان بعض احياء المنطقة الغربية من بغداد كانت مأهولة بالسكان في عهد امير المؤمنين عليه

---

(١) المجلسي : بحار الانوار ٨٣/٤٧ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣٧٤/٤ .

السلام ، وان المدينة المدورة التي بناها ابو جعفر المنصور تشكل جزءا منها، اما منطقة (بادوريا) الواردة في النص ، فانها عبارة عن طسوج من كورة الاستان تقع في الجانب الغربي من بغداد ، ويقول ياقوت الحموي : ((كما كان من شرقي الصراة فهو بادوريا ، وماكان في غربيها فهو قطربل))[1] .

ولم يدخل بغداد بعد بنائها من الائمة عليهم السلام عدا(الصادق والكاظم والجواد) وقد استدعي الامام الصادق عليه السلام الى بغداد ، بعد اخفاق حركة محمد ذي النفس الزكية واخيه ابراهيم عام ١٤٥هـ ، وقد التقى بابي جعفر المنصور في الوقت الذي لم يكن عليه السلام على صلة بثورة ال الحسن وانصارها ، في موضع (شادروان) التقى الامام الصادق عليه السلام بابراهيم الكرخي ، ودار بينه وبين الامام عليه السلام حديث عن الكرخ ومواضع خططه ، وكان الامامية من الشيعة قد اتخذوا من الكرخ مساكن لهم ، وتقع في وسط بغداد ، والمحال حوله[2] . ويعطي لقاء الامام الصادق عليه السلام بابراهيم الكرخي دلالة على وجود الشيعة في الكرخ منذ تأسيس بغداد المدورة ، ونقل الخطيب البغدادي نصاً عن الامام الصادق عليه السلام حول مدينة (المهدية) الواقعة في بغداد الشرقية بقوله : ((لما بني المهدي قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه ابو البختري وهب بن وهب قال : فقال له : هل ترون في هذا شيئاً ، قال نعم، حدثني جعفر بن محمد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال : خير

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٣١٧/١ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٤٤٨/٤ .

صحوتكم ما سافرت فيه ابصاركم))[1] . ويقول ياقوت الحموي : ان محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور قد عسكر بالجانب الشرقي من بغداد ، فالتحق الناس به ، وعمروا المنطقة وسميت باسمه[2] .

وكان الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، استدعي الى مدينة بغداد في عهد المهدي والرشيد ، وتعرض للسجن اكثر من مرة ، فكان السجن الاول في عهد المهدي ، ثم اطلق سراحه ، وقد اشار الى ذلك الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ، واشار الكليني في كتابه (الكافي) ان المهدي العباسي ، استدعى الامام الكاظم عليه السلام الى بغداد ، عدة مرات وبقى الامام الكاظم تحت الرقابة الحكومية في عهد المهدي والهادي ولكن المصادر قد اشارت الى ان عهد هارون الرشيد كان عهد تضييق على العلويين ، وقد استدعى الامام الكاظم عدة مرات الى بغداد ، فقد كان يضعه في السجن تارة ، ويطلقه تارة اخرى[3] . وذكر المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر) واليعقوبي في تاريخه ، والشيخ المفيد في الارشاد ، وغيرهم من المحدثين والمؤرخين والرجاليين اخباراً عن الامام الكاظم عليه السلام في مدينة بغداد ، وقد حفظ لنا المؤرخ اليعقوبي نماذج من مواعظه وأحاديثه ، كان بعضها قد تحدث عنها في سجن الرشيد ولا بد انها نقلت

---

(١) الخطيب : تاريخ بغداد ٨٢/١ ، يعقوب ليسنر : خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ص٧٨ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٤٦/٣ .

(٣) الحسني : سيرة الائمة الاثنى عشر ٣٢٧/٢ – ٣٢٨ .

عنه الى اوساط المجتمع البغدادي ، وحفظها المؤرخون في كتبهم ، وقد روى الحسن بن سعد : سمعت موسى بن جعفر يقول : ماهان الدنيا قوم قط الاهنأهم الله اياها ، وبارك لهم فيها وما اعزها قوم قط الا بغضهم الله اياها، وقد اعطى عليه السلام ، وهو في ظلمات السجن درساً للناس عند تعاملهم مع السلطة الجائرة ، يوم قيل له : لو كتبت الى فلان يكلم فيك الرشيد ؟ فقال : حدثني ابي عن ابائه : ان الله عز وجل اوحى الى داود : ياداود انه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقه دوني عرفت ذلك منه الاقطعت عنه اسباب السماء واسخت الارض من تحته(١) .

ولا اريد هنا التحدث عن صلة الامام الكاظم عليه السلام ، بحكام بني العباس في المدينة المنورة ، او سيرته عليه السلام ، وانما الوقوف على صلته بالعباسيين في بغداد ، ويبدو ان الامام الكاظم عليه السلام قد طغت شهرته في الافاق والتف حوله رجال العلم والفكر ، واعتقد الناس باماميته ، وجباية الاموال اليه ادى الى قلق الرشيد ، وخوفه من انتزاع السلطة من يده، ولعل محاورته مع الرشيد حول فدك قد اثارت اهتمام الرشيد وفزعه من خطورة الحديث ، بعد ان قبل الامام عليه السلام فدكاً على ان تكون بحدودها وهي : الحد الاول : عدن ، والحد الثاني : سمر قند ، والحد الثالث : افريقيا ، والحد الرابع : سيف البحر ، فتغير وجه الرشيد واربد ، وقال له : لم يبق لنا شيء ، فأجابه الإمام عليه السلام بقوله : لقدا علمتك ان حددتها لم

---

(١) اليعقوبي : التاريخ ١٥٧/٣ .

تردها ، وهذا مما ادى الى وضع الامام في سجن الدولة حتى استشهاده ، ويقول المؤرخ اليعقوبي : ان الامام الكاظم عليه السلام مكث في سجون الرشيد ببغداد ، واقدم السندي بن شاهك على قتله[1]. اما الامام محمد الجواد عليه السلام ، فانه اشخص الى بغداد في محرم الحرام عام ٢٢٥هـ في عهد المعتصم العباسي[2] .واشارت بعض المصادر ان المأمون استدعى الامام الجواد عليه السلام الى بغداد ، وانزله بالقرب من داره ، وتظاهر في بره وإكرامه[3] . ثم عاد الى المدينة بعد وفاة المأمون ، ثم استدعاه المعتصم الى بغداد ، ودبر مقتله في بالسم عام ٢٢٠هـ ، وفي رواية عام ٢٢٥هـ ، وورد في (بحار الانوار) ان الامام الجواد عليه السلام في عهد المأمون ، كان العلماء والمحدثون يتوافدون عليه[4] . ولعل هذا التوافد على الامام الجواد قد اقلق المعتصم مما اقدم على جريمته باغتيال الامام ويقول الاستاذ الصغير: ((ولقد مكث الامام محمد الجواد في بغداد استطاع ان يجمع حوله كوكبة من اصحابهم وامدهم با لاحاديث والروايات التي توضح لهم معالم الدين ، وقد يكون اتصال بعضهم بالامام مباشرة ، ويروي عنه مشافهة وقد يكون ذلك عن طريق المكاتبة وتسلم الجواد، على ان ذلك كان بحدود ، الا ان مجالس المناظرة والمحاورة التي اعدت للامام الجواد عليه السلام اكسبته

---

(١) الحسيني: سيرة الائمة الاثنى عشر ٣/١٥٦ .

(٢) المفيد : الارشاد ص٣٢٦ .

(٣) الحسني : سيرة الائمة الاثنى عشر ص٤٣٦ .

(٤) المجلسي : بحار الانوار ١٢/١١٠ .

شهرة مدوية في الوسط العلمي ، وقداسته وهديه جعلاه في مصف الاولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنزن))[1] . وكانت مدرسة الامام الجواد عليه السلام في بغداد امتداداً لمدرسة جده الامام الكاظم عليه السلام ، رغم الظروف القاسية التي خلقتها السلطة العباسية امام ائمة ال البيت عليهم السلام .

(١) الصغير : الامام محمد الجواد ص٦٧ – ٦٨ .

القسم الثاني: عصر السفراء حتى نهاية الغيبة الصغرى

احتضنت مدينة بغداد سفراء الامام المهدي عليهم السلام ، الاربعة وكانوا الطريق الموصل بين الامامية والامام الغائب عليه السلام في المدة المعروفة باسم (الغيبة الصغرى) ، وقد امتدت بين ٢٦٠ - ٣٢٩هـ هؤلاء هم :

١- السفير الاول : الشيخ ابو عمرو عثمان بن سعيد العمري الاسدي(ت٢٨٠هـ)

الملقب بالسمان والزيات لتجارته بالسمن والعسكري لانه سكن العسكري في سامراء .

وقد تولى الشيخ العمري تجهيز الامام العسكري وتكفينه ودفنه[1] . وعند وفاته تلقى ابنه ابو جعفر محمد بن عثمان تعزية من الامام المهدي عليه السلام جاء فيها : ((انا لله وانا اليه راجعون تسليما لامره ، ورضا بقضائه ، عاش ابوك سعيداً ومات حميداً ، فرحمه الله والحقه باوليائه ومواليه (عليهم السلام) فلم يزل مجتهداً في امرهم ساعياً في ما يقربه الى الله عز وجل واليهم نظّر الله وجهه ، واقاله عثرته))[2] . ويبدو ان الشيخ عثمان بن سعيد العمري قد اتخذ بغداد مقراً له مدة عشرين عاماً ، في المدة بين٢٦٠- ٢٨٠هـ ، وعند وفاته دفن بمسجد الدرب عند تقاطع شارع

(١) الطوسي : الغيبة ص٢١٦ ، المجلسي : البحار ٣٤٦/٥١ .
(٢) المصدر نفسه ص٢١٩ - ٢٢٠ ، الصدوق : اكمال الدين ص٤٧٤ .

الميدان[1] . وقد اشار الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) الى مرويات الشيخ عثمان بن سعيد العمري ، وجواب الامام المهدي عليه السلام في القضايا التي عليها اشكالات ومشاكل .

٢- السفير الثاني : ابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري (ت٣٠٤هـ) .

بعث الامام المهدي عليه السلام لابي جعفر العمري رسالة تعزي بوفاة ابيه واكد على استمرار النيابة عن الامام المهدي عليه السلام ، وقد تحدث ابو نصر هبة الله بن احمد الكاتب عن شيوخه عن ابي جعفر العمري قولهم ((وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ، ومعجزات الامام ظهرت على يديه))[2] . واورد روايات وادعية عن الامام المهدي عليه السلام ، وتسلم عن الامام عليه السلام جوابات عن مسائل اشكلت عليه[3] .

توفي في بغداد عام ٣٠٤هـ وقيل عام ٣٠٥هـ ، وقبره قرب باب سلمان ويعرف بالشيخ الخلاني .

٣- السفير الثالث : الشيخ ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي (ت٣٢٦هـ) .

---

(١) الصدوق : اكمال الدين ص٢٣٥ .

(٢) الصدوق : اكمال الدين ص٤٥٣ ، ٤٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ص٤٥٠ .

كانت بين الحسين بن روح ، ومحمد بن عثمان العمري صلات علمية واجتماعية ، وقد توثقت بينهما هذه الصلات حتى تمكن الحسين بن روح من الاطلاع على اسراره الخاصة والتصرف بامواله ، وقد تسلم منه راتباً مقداره ثلاثين دينار في الشهر ازاء خدماته[1] . وكان الشيخ الحسين بن روح يسكن داراً صغيره في بغداد ، في الوقت الذي كان يتعامل مع السلطه العباسية ، وفي مقدمتها الخليفة المقتدر ووزرائه بطريقة توفيقية[2] . ولا شك ان هذا التصرف كان بتوجيه من الامام المهدي عليه السلام ، وذلك للحفاظ على الشيعة في هذه المرحلة من الغيبة الصغرى ، واشار الشيخ الطوسي الى العلاقة الحميمة بين الحسين بن روح والسفير الثاني ابي جعفر العمري ، وكان الشيخ العمري يوصي الشيعة بالحسين بن روح بقوله : ان حدث عليّ الموت فالأمر الى ابي القاسم بن روح النوبختي ، فقد امرت ان اجعل موضعي بعدي ، فارجعوا اليه ، وعولوا في اموركم عليه[3] . واشارت المصادر الى مكانت ابن روح العلمية والكلامية ، واجاباته الدقيقه على الاسئلة التي توجه اليه[4] . وقد تعرض الشيخ الحسين بن روح النوبختي الى

---

(١) الطوسي : الغيبة ص٢٢٥ ، المجلسي : البحار ٣٥٣/٥١ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٢٦ .

(٣) المصدر نفسه ص٢٢٧ .

(٤) الصدوق : اكمال الدين ص٤٧١ – ٤٧٣ ، الطبرسي : الاحتجاج ٢٨٧/٢ – ٢٨٨.

اعتراضات الغلاة من الشيعة ، والمدعين بالمهدوية من امثال محمد بن علي الشلمغاني[1] .

وفي عام ٣٢٦هـ ، توفي الشيخ الحسين بن روح ودفن في مقبرة النوبختي في بغداد [2].

٤- السفير الرابع : ابو الحسن علي بن محمد السمري (ت٣٢٩هـ) .

اوصى الشيخ الحسين بن روح لابي الحسن علي بن محمد السمري[3] . وكان مجلسه في بغداد ملتقى رجال العلم ، وقد تحدث عن وفاة الشيخ علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي[4] . والد (الشيخ الصدوق) ، وبوفاة الشيخ السمري انتهت مدة الغيبة الصغرى ، فيقول الشيخ الصدوق : حدثنا ابو محمد احمد بن الحسن ، قال : كنت في مدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ ابو الحسن علي بن محمد السمري ، فحضرته قبل وفاته بايام ، وقد ورد توقيعا من الامام المهدي عليه السلام بعد الوصية لاحد من بعده ، وعند ذلك تبدأ (الغيبة التامة) ، ولما سئل الشيخ السمري عن الشخص الذي يحل بمكانه فقال : ((الله امرهو بالغه))[5] .

---

(١) الحكيم : الامام المهدي ص٦١ .

(٢) المامقاني : الرجال ٢٠٠/١ .

(٣) الطوسي : الغيبة ص٢٤٢ .

(٤) الصدوق : اكمال الدين ص٢٦٨ ، المجلس : البحار ٢٦٠/٥١ .

(٥) اكمال الدين: ص٤٨٠ ، الطوسي : الغيبة ص٢٤٢ ، الطبرسي : الاحتجاج ٢٩٧/٢.

وكان مركز السفراء الاربعة بمدينة بغداد ، ولهم وكلاء في المدن الاسلامية . ومنهم :

١- الشيخ ابراهيم بن مهزيار في الاهواز .

٢- الشيخ احمد بن اسحاق الاشعري في قم .

٣- الشيخ حاجز بن يزيد الوشاء في الري .

٤- الشيخ محمد بن جعفر الاسدي الرازي في الري .

٥- الشيخ داود بن قاسم الجعفري في بغداد وسامراء .

٦- الشيخ محمد بن صالح الهمداني الدهقان في همدان ثم في بغداد .

٧- الشيخ الشامي في الري .

٨- القاسم بن العلا في اذربيجان .

٩- الشيخ محمد بن شاذان بن نعيم في نيسابور .

١٠- الشيخ محمد بن عمرو العمري .

١١- ابو طاهر محمد بن علي بن بلال في بغداد .

١٢- الشيخ الحسين بن علي بن سفيان البزوفري في قم .

١٣- الشيخ احمد بن اليسع بن عبد الله القمي .

١٤- الشيخ ايوب بن نوح النخعي .

وكان السفراء الاربعة في بغداد ، ووكلائهم في العالم الاسلامي ، يشكلون مدرسة فكرية ، على راسها الامام المهدي عليه السلام ، وكانت السلطة العباسية قلقة من وجودهم ، وقد حاول الخليفة العباسي المعتضد ووزيره عبد الله بن سليمان التعرف عليهم ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل[1] . وقد استمرت حالة القلق السياسي في الدولة العباسية بين ٢٦٠ - ٣٢٩هـ .

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ١٤٥/٤ ، ابن الاثير : الكامل ٧٣/٦ .

الفصل الثاني

الحياة السياسية وآثارها على الحركة العلمية

القسم الاول: بغداد تحت السيطرة البويهية

سيطر البويهيون على زمام الحكم في بغداد عام ٣٣٤ هـ ، وقد سلكوا سبيلا وسطاً بين جميع الميول والاتجاهات، فلم ينحازوا لفئة معينة على حساب فئة اخرى ، ولم يتحزبوا لجانب من الجوانب الفكرية والعقائدية، بل تركوا الناس احراراً في معتقداتهم وأرائهم ، ذلك انهم كانوا يدركون انهم رجال الدولة ، وارباب سياسة ، وان همهم الاكبر يجب ان يتجه الى اقرار الامن والنظام ، ولكي يحقق الحاكم هذا الغرض عليه ان يساوي بين الناس جميعاً ، وان يضع نفسه فوق الاعتبارات الضيقة ، وان لا يتدخل في الشؤون الخاصة بالرعية، ليتسنى له فرض سلطته عليهم جميعاً ، وليستجيبوا لامره استجابة طوعية تحقق الغرض المقصود من اقامة الدولة[١]. وعلى الرغم من كون البويهيين يعتنقون مذهب التشيع ، كانوا يفرضون اوامر متشددة على الشيعة لحد منعهم من اقامة شعائرهم الدينية في بعض الاحيان[٢] . ولعل هذه التوفيقية كانت تحاول الهيمنة على الوضع العام ، وان كانت على حساب الشيعة ، في الوقت الذي كانت بغداد في صراع عقائدي ومذهبي كبير ، وقد اسهمت هذه السياسة الحكيمة على استقرار الامن في البلاد ، بما امتلكت من اتجاه متسامح مع الناس[٣] . وهذا مما ساعد على ترعرع العلم والثقافة واصبحت بغداد قبلة العالم الاسلامي

---

(١) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٠ – ص٣١ الشيخ النجاشي ص٥ – ص٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٤٠/٨ ، الذهبي : مختصر تاريخ الذهبي ورقة ١٠ أ

(٣) Ma FizullaK Kabir The Bawayhid Pynus + y OF Baghdad

في جميع فصائل المعرفة ، وبلغت نضجها الفكري في القرن الرابع الهجري ، الموافق للقرن العاشر الميلادي ، وامتدت النهضة العلمية الى القرن الخامس الهجري ، ويقول الاستاذ الدكتور مصطفى جواد : يعد العصر البويهي في العراق من ازهر العهود الثقافية في هذه البلاد لاطلاق الحرية الدينية ، والحرية الفكرية ، والحرية القلمية[١] . وكان السلطان البويهي عضد الدولة (٣٦٧ - ٣٧٢ هـ) عاقلاً فاضلاً ، حسن السياسة ، كثير الاصابة ، شديد الهيبة ، بعيد المهمة ، ثاقب الراي، محباً للفضائل واهلها ، باذلاً في مواطن العطاء ، ومانعا في اماكن الحرم ، ناظراً في عواقب الامور[٢] . ويقول الاستاذ ادم متز : ان عضد الدولة البويهية كان يحب العلم والعلماء ، ويجري الجرايات على الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والقراء والنسابين والاطباء والحساب والمهندسين[٣] . واشار الثعالبي الى انشداد السلطان عضد الدولة الى العلماء والمفكرين بقوله : كان يؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء[٤] . ولا شك ان هذا سوف ينعكس على المجتمع البغدادي ، ويؤدي الى ازدهار الحركة العلمية والفكرية في مدينة بغداد حتى اصبحت من ازهر العصور الاسلامية ، فبرزت الاقلام الحرة ، وصرحت النفوس الكاتمة ، وتنفست الصدور

---

(١) مصطفى جواد : ابو جعفر النقيب ص٥ .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص١٧٢ .

(٣) ادم متز : الحضارة الاسلامية ٤٦/١ .

(٤) الثعالبي : يتيمة الدهر ٢١٦/٢ .

المحرجة ، واعترف بسلطان العقل ، فنفد حكم المعقول في المنقول ، وكان المنقول قبل ذلك مقدساً ، كائنة ما كانت حقيقته من غير الصحة حيث الصحة والاختلاق ، والامكان والاستحالة[1]. وفي عام ٣٦٩ هـ ، افرد في دار السلطان عضد الدولة البويهية لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه ، وهو الحجر التي تختص بها الحجاب ، فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة امنين من السفهاء ورعاع العامة ، وقد اوضح المؤرخ ابن مسكويه هذه الحقيقة بقوله : ((فعاشت العلوم وكانت مواتاً ، وتراجع اهلها وكانوا اشتاتاً ، ورغب الاحداث في التأدب ، والشيوخ في التأديب ، وانبعثت القرائح ، ونفقت اسواق الفضل ، وكانت كاسدة ، واخرج من بيت المال اموال عظيمة صرفت في هذه الابواب ، وفي غيرها من الصدقات على ذوي الحاجات من اهل الملة ، وتجاوزهم الى اهل الذمة))[2] . وهذا مما اعطى هذا العصر صفة الخصب العلمي والادبي ، حتى اصبح بيت الوزير يمثل مدرسة ، تحوي الونا مختلفة من الثقافة ، وضروبا من العلم والادب[3] .

وشهد العهد البويهي في العراق صراعاً بين العباسيين والفاطميين وكانت بداياته عام ٣٦٩ هـ ، اذ تسلم عضد الدولة البويهي رسالة من

---

(١) مصطفى جواد : الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية في عصر الرئيس ابي علي بن سينا ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
(٢) مسكويه : تجارب الامم ٤٠٨/٦ .
(٣) الزهيري : الادب في بني بويه ص١٢٧ .

الخليفة الفاطمي العزيز ، في محاولة لاستمالة البويهين ضد الخلافة الفاطمية[1] . واذا صحت هذه الرسالة ، فإنها تكشف عن أول إطلالة فاطمية على بغداد .

(1) ابن الجوزي : المنتظم ٩٨/٧ .

القسم الثاني: بغداد تحت السيطرة السلجوقية

دخل السلاجقة بغداد عام ٤٤٧ هـ ، وسرعان ما انحازوا الى الاتجاه السلفي المتشدد ، واسرفوا في الفتك والبطش ، ووقعت في بغداد احداث خطيرة بسبب انحيازاتهم المذهبية ، وتعد المدة بين ٤٤٧ - ٤٤٩ هـ من اعنف ما شهدته بغداد من احداث وسفك دماء، وقد ضاع من خلالها كثير من التراث الشيعي ، واخمد صوت الفكر والعلم، وتعرض رجاله للاضطهاد والتنكيل ، ففي عام ٤٤٨ هـ كبست دار شيخ الامامية الاكبر ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، واحرقت كتبه ، ونهبت داره ، وبمحضر من الناس[1] . واحرق كرسي الكلام الذي منحه الخليفة القائم بامر الله له[2] . وعلى اثر ذلك غادر الشيخ الطوسي بغداد الى النجف الاشرف ، وقتل ابو عبد الله الجلاب على باب دكانه ، وكان هذا من علماء الشيعة[3] . وفي عام ٤٥١ هـ احرقت بغداد ، ومنطقة بين السورين ، وخزانة العلم التي اوقفها الوزير سابور بن اردشير[4] . وعقب الاستاذ محمد عبد الرحيم غنيمة على موقع دار العلم العقائدي ، بقوله : ان دار العلم السابورية أصبحت من مواطن التشيع ، ومركزاً هاماً من مراكزه، ولم تلبث دار العلم ان اتخذت

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٧٣/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ٧٦/١٢ ، السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ١٢٧/٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١٧٩/٨ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٦٩/١٢ ، الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٠ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/١٠ .

طابعا شيعيا قويا ، وأصبحت من أهم الوسائل لبت الدعوة الشيعية[1] . ولكن هذا ليس مبرراً من اتلاف التراث الاسلامي المودع في دار العلم ، وان كانت حملة السلاجقة عنيفة ضد الفكر الامامي ، وبالإضافة الى سفك الدماء وتشريد رجال العلم ، قد اتت الحملة السلجوقية الضاربة على معظم المؤسسات الدينية والتعليمية . بما فيها اوقاف التعليم[2] . ويقول ابن الاثير : اصبحت الكتب والنفائس الاخرى هدفا لاطماع الموظفين ، واصحاب الغنائم[3] . وعمد السلاجقة على تأسيس دور علم بديلة غرضها مكافحة التشيع ومنها المدارس النظامية[4] . وقد استخدم الوزير السلجوقي ، نظام الملك هذه المدارس سلاحاً لمقاومة الفكر الشيعي ، وقد اشارت رسالته للسلطان الب ارسلان الى ذلك ، بقوله : ((جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطئ وهم العلماء فقد جعلتهم بالإحسان اليهم من أعظم أعوانك))[5] . وكانت المدرسة النظامية في بغداد ، قد تبناها اصحاب المذهب الشافعي ، واصبحت اداة للصراع بين مذاهب المسلمين .

---

(١) غنيمة : تاريخ الجامعات ص٥٨ .
(٢) فياض : تاريخ التربية عند الامامية ص٢٦١ .
(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٣/١٠ .
(٤) طوطح : التربية عند العرب ص٤١ ، حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ص٢٢٢ .
(٥) ابن اثير : الكامل في التاريخ ١٥/١٠ .

القسم الثالث: بغداد بين الصراع العباسي – الفاطمي

شهدت مدينة بغداد منذ مطلع القرن الخامس الهجري مرحلة جديدة من حياتها السياسية والعقائدية ، واخذ الصراع العباسي الفاطمي مداه الى درجة تشكيك العباسيين بالنسب الفاطمي ، وقد رفع الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) للخليفة العباسي القادر بالله ابياتا ، اكد فيها على علوية النسب الفاطمي ومنها : [١]

كم مقامي على الهوان وعندي ... مقول قاطع وانف حمي
واباء محلق بي عن الضيم ... كما راع طائر وحشي
أي عذر له الى المجد ان ذ ... ل غلام في غمده المشرفي
البس الذل في ديار الاعادي ... وبمصر الخليفة (العلوي)
من ابوه ابي ومولاه مولا ... ي اذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيد النا ... س جميعا (محمد وعلي)

وقد استشاط القادر بالله غضبا لما سمع ابيات الشريف الرضي ، فارسل القاضي ابا بكر محمد بن الطيب الى الشريف الطاهر ابي احمد جاء فيها : ((على أي مقام ذل اقام وما الذي دعاه الى هذا المقال ، وهو ناظر في النقابة والحجج فيما هو اجل الاعمال واقصاها علواً في المنزلة)) ورفض الشريف الرضي كتابة اعتذار الى الخليفة العباسي بما ورد في ابياته[٢] . وقد تفاقم

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٢٨١/٧ .
(٢) المصدر نفسه ٢٨٢/٧ .

الصراع بين العباسيين والفاطميين بعد تعامل الناس في بغداد بالدنانير المغربية، وفي عام ٤٢٧هـ صدر قرار من السلطة العباسية طالب فيه الناس بترك التعامل بالدنانير المغربية ، وطلب من الشهود ان لا يشهدوا في كتاب ابتياع ، ولا اجازة ، ولا مداينة يذكر فيها هذا الصنف من الدنانير ، فعدل الناس الى الدنانير القادرية والنيسابورية والقاشانية[١] . وفي عام ٤٤٤هـ كتب محضر بمدينة بغداد جدد فيه القدح بالنسب الفاطمي والانتساب للامام علي عليه السلام ، وسير الى الافاق[٢] . بيد ان الإجراءات العباسية لم توقف الدعوة الفاطمية في العراق ، ففي عام ٤٥٠هـ تمكن القائد ابو الحرث ارسلان بن عبد الله البساسيري (مقدم الاتراك في بغداد) من السيطرة على السلطة ، وفرار الخليفة العباسي القائم بامر الله ، والدعوة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، واستطاع داعي دعاة الدولة الفاطمية هبة الله الشيرازي (ت٤٧٠هـ) في استدراج إبراهيم ينال (اخ القائد السلجوقي طغر لبك) للصف الفاطمي[٣] . وقد بذل هبة الله الشيرازي جهوداً حثيثة من اجل تكوين جبهة مضادة للخليفة العباسي في بغداد قوامها امراء من العرب والاكراد ، وخلع عليهم الخلع الفاطمية النفيسة التي لم يشاهدوا لها مثيلا[٤] . ولكن الخليفة العباسي بعد لجوئه لعلم الدين ابي المعالي قريش بن بدران ، امير العرب ، عملاً على

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٨/٨٨ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٧٩ .

(٣) مير خوند : روضة الصفا ٣/٥٢٥ .

(٤) المؤيد في الدين : ديوان المؤيد ص٤٣ .

استرجاع بغداد من النفوذ الفاطمي[1] . ولما سقطت الدولة الفاطمية في مصر عام ٥٦٧هـ ، كتب المؤرخ ابن الجوزي كتاباً سماه (النصر على مصر) وقد عرض على الخليفة العباسي المستضيء بامر الله[2] . وبقي السلاجقة بيدهم زمام السلطة العسكرية في بغداد مع وجود الخلافة العباسية منذ عام ٤٥١هـ ، ولم يسلم الخليفة المسترشد من القتل عام ٥٢٩هـ ، والخليفة المستنجد من القتل ايضاً عام ٥٦٦هـ[3] .

(١) المقريزي : اتعاظ الحنفا ص٢٨٠ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٢٣٧/١٠ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨/ ق١ / ٢٨٤ – ٢٨٥ .

الفصل الثالث
المؤسسات العلمية عند الامامية

المقدمة

لقد كان القرن الخامس الهجري في العراق احد عصور التحول السياسي والفكري، وفيه تم انتقال السلطة والحكم من البويهيين الى السلاجقة في ظل الخلافة العباسية، وكان بينهما اختلاف بارز في الثقافة والمذهب الفقهي والممارسات السياسية.

وقد امتاز العصر البويهي في العراق (٣٣٤-٤٤٧ هـ) بالتمتع بالحرية الفكرية العقلية بعد ان اجتاز المجتمع الاسلامي صراعاً فكرياً عنيفاً بين ارباب المدارس الفقهية والكلامية منذ ايام المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧ هـ) الذي اتسم عهده بالتزمت والانحياز الواضح نحو السلفية المتشددة، وقد تعرض العقليون من الشيعة والمعتزلة الى الاضطهاد، وكذلك كل من له نزعة الى التوفيق بين احكام العقل واحكام الشرع[1] ويمكن اعتبار دخول البويهيين بغداد عام ٣٣٤ هـ بداية مرحلة جديدة في الاوضاع الفكرية الحرة. البعيدة عن التزمت، لأنهم سلكوا سبيلاً وسطاً تجاه جميع الميول والاتجاهات والفرق، واتبعوا سياسة التسامح مع جميع السكان[2]. وكان من نتائج هذه السياسة ان هدأت الاحوال واستقرت الامور في اغلب الاحيان، وانصرف الناس الى العمل من أجل ترقية الحياة المادية والروحية وعادت بغداد من جديد كعبة العلم والثقافة على النحو الذي كانت عليه في العصر العباسي الأول (١٣٢- ٢٣٢ هـ) وبخاصة في ايام خلافة المأمون

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، ص٤ ص٨٦.

(٢) The Buwhyhid Dynasty Of Baghdad p.212، Mafizullah Kabir .

(١٩٨- ٢١٨هـ) حيث كان الناس يتناظرون في مختلف الموضوعات[١] والسبب يعود كما قلنا الى الحرية التي هي من اهم اسباب الرقي العلمي لأنها تفتح القرائح، وتقوي المدارك، وتحفز العلماء على البحث والنظر.

والواقع ان المجتمع الاسلامي خطا في العصر البويهي خطوات واسعة في مضمار التقدم العلمي ولا زالت اثاره باقية حتى الوقت الحاضر، ولهذا اعتبر "من ازهر العهودللثقافية في هذه البلاد لاطلاق الحرية الدينية، والحرية الفكرية، والحرية القلمية"[٢]، وقد لعب عضد الدولة البويهي (٣٦٧-٣٧٢هـ) دوراً مهما بهذا الخصوص ذلك انه كان عاقلا فاضلا، حسن السياسة، كثير الاصابة. شديد الهيبة بعيد الهمة، ثاقب الرأي ،محباً للفضائل وأهلها باذلا في مواطن العطاء، ومانعاً في اماكن الحرم، ناظراً في عواقب الامور[٣] يحب العلم والعلماء. ويجري الجرايات على الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين والمفسرين والنحاة والقراء، والنسابين، والاطباء، والحساب، والمهندسين[٤]:

وكان يؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء[٥] ولذا اصبح من اشهر ملوك آل بوية "واوسعهم سلطاناً وأقواهم سطوة، وكان مشاركاً في عدة

(١) Muir،Sir Willam، The Celphate Its Rise Decline and Fall، P.504 .

(٢) مصطفى جواد: أبو جعفر النقيب،ص٥.

(٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص١٧٢.

(٤) متز: الحضارة الاسلامية، جـ١، ص٤٦.

(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، جـ ٢، ص٢١٦.

فنون من الادب"[1] ويعزو الدكتور مصطفى جواد هذا التقدم العلمي والفكري في العهد البويهي الى الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها العلماء في ذلك العهد وذلك بالاعتراف "بسلطان العقل، فنفذ حكم المعقول في المنقول، وكان المنقول قبل ذلك مقدساً، كائنة ما كانت حقيقته من حيث الصحة والاختلاف والامكان والاستحالة"[2].

وكان الكثير من رجال العلم والادب في عهد الدولة البويهية في مأمن من الفوضى والاضطرابات ففي عام ٣٦٩ هـ "افرد في دار عضد الدولة لأهل الخصوص، والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة"[3] وعلى العموم كان عهد آل بويه قد امتاز بالخصب العلمي والادبي بتأثيرهم الخاص أو بتأثير وزرائهم. وكان بيت الوزير يمثل مدرسة بل جامعة تحتوي الواناً مختلفة من الثقافة وضروباً من العلم والادب"[4] وكانوا "لايستوزرون او يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب"[5]. وهذا هو السر في كثرة من نبغ من الأدباء والكتاب والعلماء في بغداد خلال القرن الخامس الهجري، لانهم تولوا الى جانب مهامهم

---

(١) زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، جـ ٢ ص٢٢٧ – ص٢٢٨.

(٢) مصطفى جواد: مقالة في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٤، جـ ٢، ص٥٠٩.

(٣) مسكويه: تجارب الامم، جـ ٦، ٨-٤.

(٤) الزهيري: الادب في ظل بني بويه، ص١٢٧.

(٥) زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ٢/٢٢٧.

السياسية مهمة تعضيد الحركة الفكرية وتنشيطها، وذلك بتأسيس دور العلم، والمكتبات، والمدارس، وغيرها من المؤسسات الفكرية ويمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أولاً: دور العلم

تحتوي دور العلم على خزانات كبيرة للكتب. كما يخصص جزء منها للنسخ، وتكون بمثابة منتدى يقصده العلماء والأدباء والباحثون، وما يدور في أوساطهم من نقاش وبحوث، او يخصص بعض جوانبها لاسكان الطلبة والوافدين، وتخصيص ارزاق لهم بغية التفرغ كلياً للدراسة والبحث، ودور العلم الإمامية في بغداد هي:

١ – دار العلم السابورية: شيد هذه الدار الوزير البويهي أبو نصر سابور بن اردشير، وقد بناها لأهل العلم ببغداد[١] عام ٣٨١هـ (وحمل اليها كتب العلم من كل فن، وسماها دار العلم، وكان فيها اكثر من عشرة آلاف مجلد، و وقف عليها الوقوف)[٢]، وكانت تحتوي على كتب لاصناف العلوم، وتضم مائة مصحف بخطوط بني مقلة. ولم تكن في الدنيا احسن كتباً منها كلها بخطوط الائمة المعتبرة واصولها المحررة[٣] وكانت هذه الدار على غرار بيت الحكمة الذي شاده الرشيد (١٧٠ – ١٩٣هـ) وغذاه من بعده

---

(١) المعري: شروح سقط الزند، السفر الثاني، ق٣، ص ١٢٤٠.
(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص ٢٢، الذهبي: مختصر تاريخ الذهبي، ورقة٩ أ.
(٣) ياقوت: معجم البلدان، مج١، ص ٧٩٩.

ولده المأمون (١٩٨ – ٢١٨هـ). وكان يتردد على دار العلم السابورية عدد من العلماء والأدباء والفلاسفة والباحثين على اختلاف اجناسهم[١]، وتقع هذه الدار في الكرخ من بغداد في محلة بين السورين، ويقول ابن الجوزي إن سابور بن اردشير (عمرها وبيضها وسماها دار العلم) و وقفها على اهله، ونقل اليها كتباً كثيرة أبتاعها وجمعها وعمل لها فهرساً، ورد النظر في امورها ومراعاتها، والاحتياط عليها الى الشريفين ابي الحسين محمد بن الحسين ابن أبي شيبة، وأبي عبد الله محمد بن احمد الحسني، والقاضي ابي عبد الله الحسين بن هارون الضبي، وكلف الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل عناية بها[٢] وكانت لهذه الدار موارد واوقاف تصرف على شؤونها (ومن المحتمل ان قسماً من وارد الوقف المذكور يصرف لاغراض تعليمية لان الاصل في الوقف ان يكون لاغراض دينية وان تعليم علوم آل البيت وتعلمها يقعان في صميم الاغراض المذكورة)[٣].

وهذا يعني أن مؤسسة سابور هذه كانت مؤسسة فكرية علمية (ذات صلة بالتعليم شأنها شأن مثيلاتها من دور العلم امثال دار علم الشريف الرضي وغيرها)[٤] ويقول ابن كثير ان دار العلم هذه اول مدرسة وقفت

---

(١) مصطفى جواد، واحمد سوسة: دليل خارطة بغداد، ص ١٤٦.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧، ص ١٧٢.

(٣) فياض: تاريخ التربية عند الامامية، ص٩٣.

(٤) فياض: تاريخ التربية، ص ٩٢.

على الفقهاء، وكانت قبل النظامية بمدّة طويلة[1] ومن الثابت ان المدرسة النظامية افتتحت عام ٤٥٩ هـ في حين ان دار العلم تأسست عام ٣٨١هـ، والنص الذي أورده ابن كثير تأكيد بأن دار العلم السابورية كانت تؤدي وظيفة تعليمية اضافة الى كونها مؤسسة فكرية وذلك لورود عبارة (المدرسة) اولاً، ومقارنتها (بالنظامية) ثانياً، ومن الصعب تحديد نشوء اول مدرسة ببغداد لكن من المتفق عليه وجود مؤسسات مشابهة قبل عهد نظام الملك مؤسس المدرسة النظامية، منها مؤسسة سابور العلمية[2].

كانت دار العلم ملتقى الادباء والباحثين، ومنتدى العلماء والمفكرين يشد اليها الرحال من كل مكان، واليها كان الشاعر العربي الكبير ابو العلاء المعري (٣٦٣ – ٤٤٩هـ) يتردد أيام مكونة ببغداد، حيث آثر الاقامة بها، وكان مجيئه اليها عام ٣٩٩هـ، واقام بها سنة وسبعة اشهر ثم عاد الى وطنه في معرة النعمان[3]، وله فيها قصيدة معروفة منها:

وغنت لنا في دار سابور قينة   من الورق مطراب الاصائل ميهال[4]

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١ ص ٣١٢.

(٢) خدابخش: الحضارة الاسلامية، ص ١٧٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ١٨٤، ابو الفداء: المختصر، ج٢، ص ١٧٦.

(٤) المعري: شروح سقط الزند، السفر الثاني، ق٣ ص ١٢٣٩.

والمقصود من هذه القينة (حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من أشجار دار العلم المذكورة)[1] تطرب بالعشيات[2]، وكان من موظفي هذه الدار ومكتبتها الكبيرة يومذاك فتاة سوداء كانت تعير الكتب للنساخ وقد اشار أبو العلاء المعري عن لسانها وهي تقول: (انا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن، وكنت اخرج الكتب الى النساخ)[3] وبقي ابو العلاء يحن الى دار العلم بعد مغادرته بغداد، ويتذكر اجواءها العلمية، وما كان يدور في رحابها من اراء ومناقشات، وقد كتب مذكراته في رسائله، وقد ارسل من معرة النعمان الى أبي بكر محمد بن أحمد الصابوني البغدادي يقول: (وشوقي اليه والى الجماعة الذين عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لا يجمد، ونار فارس ليست تخمد)[4] ومما يبدو ان جانب الكرخ من بغداد كان يحتوي على مؤسسات فكرية عديدة عدا (دار العلم) فيقول ابن الجوزي (وجمعت الكرخ منازل عجيبة بديعة البناء وفيها درب الزعفران وفيه الدار العجيبة ودرب رباح وشارع ابن أبي عوف وباب محول، وكان في سور الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر الف مجلد)[5]، ويبدو ان كل منطقة من محال الكرخ هذه أو معظمها، تضم مكتبة، او دار علم، أو مؤسسة فكرية

---

(١) مصطفى جواد: مقالة في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٤، ج٢، ص ٥٠٤.

(٢) المعري: شروح سقط الزند، السفر الثاني، ق٣، ص ١٢٣٩.

(٣) المعري: رسالة الغفران، ص ٢٧٩.

(٤) المعري: رسائل أبي العلاء الرسالة ١٥، ص ٤٥.

(٥) ابن الجوزي: مناقب بغداد: ص٢٧، ص ٢٨.

من نوع آخر، وقد ذكر أبو العلاء في احدى رسائله عن الكرخ يقول: (ولو قدرت لم اقدح الا بمرخ، ولا سكنت بلداً غير الكرخ)[1]، ومن شدة حنينه الى دار العلم الشهيرة ببغداد كتب الى خازنها أبي منصور يقول: لقد طربت من اللوعة لامن الجذل حتى قال اخو العذل، امن جهل ام حلم. طربك الى دار العلم:

فو الله ما ادري اذا ماذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانية[2]

ومن الجدير بالذكر ان الشريف الرضي انشأ مؤسسة فكرية ببغداد اسماها (دار العلم) وقد ورد في بعض النصوص التاريخية اشارة الى دار العلم دون توضيح عائديتها: اكانت لسابور بن اردشير، ام للشريف الرضي، سوى ان بعض الباحثين والمؤلفين اهديت نتاجاتهم العلمية لخزانة كتب (دار العلم) فذكر ياقوت عند ترجمته لاحمد بن خيران الكاتب، المتوفى عام ٤٣١هـ انه (سلم الى أبي منصور الشيرازي رسول ابن النجار الى مصر من بغداد جزئين من شعره، ورسائله، واستصحبهما الى بغداد، ليصرفهما على الشريف المرتضى أبي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم)[3]، كما ان جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع المتوفى عام ٣٩٦هـ، اوقف نسخة على دار العلم ببغداد[4]،

---

(١) المعري: رسائل ابي العلاء، الرسالة١٦، ص٤٧.
(٢) ن. م الرسالة ١٩، ص ٥٢.
(٣) ياقوت: معجم الادباء، ج١، ص ٥ – ٦.
(٤) ابن ابي اصيبعة: عيون الانباء، ج١ ص ١٤٦.

وذكر ياقوت في ترجمة علي بن فضال المجاشعي المغربي انه كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد[1] ولكن في اغلب الظن ان دار العلم هذه هي دار علم سابور بن اردشير البويهي، ومما يؤيد ذلك انها انتقلت بعد وفاة مؤسسها عام ٤١٦هـ الى رعاية الشريف المرتضى حيث عين عليها أبا عبد الله بن احمد مشرفاً[2] وبقيت تؤدي دورها في خدمة العلم والثقافة حتى عام ٤٥١هـ حيث (احترقت فيما أحرق من محال بغداد)[3] على يد السلاجقة، وذلك عند احتلال بغداد على يد طغرلبك للمرة الثانية وقضائه على حركة البساسيري، وقد عرض التراث الاسلامي الى الضياع وعرضوا بعض رجاله الى الخطر، وازاء هذه الموجة العاتية انبرى بعض الغيارى لحفظ قسم من هذاالتراث، ففي عام ٤٥٢هـ، اوقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي (دار كتب بشارع ابن أبي عوف من غربي مدينة السلام ونقل اليها نحو الف كتاب)[4]، وذلك خوفاً من ضياع العلم بعد احراق مؤسسة دار علم سابور بن اردشير[5].

---

(١) ياقوت: معجم الادباء، ج١٤، ص ٩٨.

(٢) ن.م، ج٦ ص ٣٥٩.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، مج٤، ص ٢٥٥.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨، ص ٣١٦.

(٥) ن.، ج٨، ص ٢١٦.

ولابد من الاشارة الى أن سابور بن اردشير كان نفسه اديباً فنياً[1]، من أهل العلم، عفيفاً عن الاموال كثير الخير، سليم الخاطر[2]، جمعت فيه الكفاية والدراية[3] ويقول مارجليوث: ان سابور كان على رأس الحركة الادبية والفنية[4].

٢ - دار علم الشريف الرضي: انشأ الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦هـ) داراً اسماها (دار العلم)[5]، وقد خصص لطلبتها (جميع مايحتاجون اليه)[6]، وقد كانت دار علم ودراسة، وسكن للطلاب، وهي اشبه بالمدرسة ذات الاقسام الداخلية في الوقت الحاضر، ومما يؤيد ذلك ان احد الطلاب احتاج يوماً الى زيت للسراج لاضاءته، ولم يجد الخازن المسؤول، فاقترض زيتاً من حانوت مجاور، ولما علم الشريف الرضي بذلك امر أن يتخذ في الحال مفاتيح لعدد الطلبة، ويدفع الى كل منهم مفتاحاً ليأخذ حاجته دون انتظار الخازن[7] ولسعة هذه المؤسسة الفكرية اطلق عليها

---

(١) Margoliouth MA: Litters of Abaof Maarat AL – Nauman ، P.xxiii

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٩.

(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٢ ص ٩٩.

(٤) M.A. Litters of Abul-Ala-of Maarrat AL- Nnman ، Marglliouth P.xxiii.

(٥) ابن عنبة: عمدة الطالب، ص ١٩٩.

(٦) ن.م. متز: الحضارة الاسلامية، ج١ ص ٣١٢.

(٧) الخوانساري: روضات الجنات، ص ٥٧٥.

نكلسن اسم (الأكاديمية)[1]، على اعتبار انها مؤسسة تعليمية عالية يجد الطالب فيها المقام والمأوى والدرس. ويقول عواد لم تكن دار علم الشريف الرضي (مدرسة حسب، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الامور المادية، والى جانب ذلك خزانة كتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم وقد كانت هذه الخزانة في مصاف الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيماً حسناً[2]، ويذكر مارجليوت (ان الرضي قد اتخذ بيتاً خاصاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون)[3] ولم تسعفنا المصادر عن الكتب التي كانت تضمها دار العلم هذه.

وقد لعبت دور العلم ببغداد دوراً في انماء الحركة الفكرية، وقد اسهمت "بعملية التعليم بجانب الامكنة التقليدية امثال المساجد ومنازل العلماء وكانت المؤسسات الجديدة هذه اصلح للتعليم من المساجد بالنسبة للامامية خاصة، فدور العلم اصلح للتعليم من المساجد العامة لوجود الكتب ووسائل المطالعة الاخرى وربما السكن والعيش فيها من جهة، ولأن الامامية لم يكونوا في الغالب، احراراً في تعليم قواعد مذهبهم في المساجد المذكورة من جهة اخرى"[4] ولكن وجدوا الحرية النسبية في ظل الحكم البويهي في العراق حيث كان مجلس الشيخ المفيد (٣٣٨-٤١٣ هـ) يناظر فيه

---

(١) نكلسن: تاريخ الادب العباسي. ص ٩٢.

(٢) عواد: خزائن الكتب، ص٢٣١.

(٣) Litters of Abul-Ala. P.xxxiii.

(٤) فياض: تاريخ التربية، ص٩٥.

في كل كل المذاهب الاسلامية[1] بحرية تامة. فالجو الفكري المشبع بالاصالة والابداع اثناء الحكم البويهي كان من جملة الاسباب التي دفعت العلماء للهجرة الى بغداد للافادة والاستفادة ، وكان من جملة هؤلاء الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) الذي استفاد كثيراً من محيط بغداد العلمي، بما احتك به من علماء" ومكتبات، ودور علم وسائر فرص الاستزادة من المعرفة بفروعها المختلفة.

ثانياً: المكتبات

لقد اشتهرت بمدينة بغداد مكتبتان عظيمتان: الاولى مكتبة سابور بن اردشير الوزير البويهي، وقد اشرنا اليها عند التحدث عن دار العلم، والثانية مكتبة الشريف المرتضى:

انشأ الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) مكتبة كبيرة ببغداد، تحتوي على ثمانين الف مجلد[2]، ويقول أبوالقاسم التنوخي وهو صاحب الشريف المرتضى "حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين الف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومفرداته[3]، وقد اصبحت هذه المكتبة ملتقى العلماء والباحثين، ومن النادر "ان يجتمع نظيرها عند احد غيره"[4] اضافة الى ا ن داره كانت دار

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٢ ص٥٣.

(٢) ابن عنبة: عمدة الطالب، ١٩٥.

(٣) الحسيني: الدرجات الرفيعة، ص٤٦٣.

(٤) عواد: خزائن الكتب، ص٢١٤.

علم ومناظرة[1] يختلف اليها الباحثون والدارسون. وقد سعى الشريف المرتضى الى تنمية الحركة العلمية والفكرية ببغداد، والحفاظ على استمراريتها اذ أوقف "قرية على كاغد الفقهاء[2]"، وقد كان يجري على تلامذته رزقاً فكان للشيخ الطوسي ابي جعفر محمد بن الحسن، أيام قراءته عليه اثنا عشر ديناراً. وللقاضي ابن البراج عبد العزيز بن نحرير المتوفى عام ٤٨١ هـ، ثمانية دنانير، في كل شهر[3]، وبالجملة ان الشريف المرتضى كان "يجري على سائر تلامذته كل بنسبته"[4]، والواقع انه كان يجري هذا العطاء حتى على الذين يتفرغو لطلب العلم من اهل الذمة ايضاً[5] وذكر ابن بسام ان الشريف المرتضى "امام ائمة العراق بين الاختلاف والاتفاق اليه فزع علماؤها، وعنه اخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها"[6] وهذا يعني انه كان صاحب مدرسة عظيمة جامعة لمختلف المذاهب والطوائف الاسلامية، وقد املى بعض دروسه على طلابه بكتابه "الغرر والدرر".

---

(١) ابن حجر: لسان الميزان، جـ ٤ ص٢٢٣.

(٢) الافندي: رياض العلماء، جـ ٣، ورقة ٣٣٢.

(٣) الخوانساري: روضات الجنات، ص٣٨٣، الحسيني: الدرجات الرفيعة، ص٤٦٠.

(٤) البحراني: لؤلؤة البحرين، ص٢٩٥.

(٥) السماهيجي: الاجازة، ورقة ٣٧ أ.

(٦) ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ ٣، ص٣. اليافعي مرآة الجنان ، جـ ٣ ص٥٦.

وكان الاتقياء من الناس، ذوي اليسار منهم، من عشاق العلم. "ينشئون المدارس ويوقفون عليها بعض املاكهم لسد حاجات المدرسين والطلبة"[١].

ثالثا: بيوت العلماء

كان كبار علماء الامامية يتخذون بيوتهم مراكز للتعليم. ومجالس للنظر، فكان للشيخ المفيد دار "بدرب رباح يحضره كافة العلماء"[٢]، وكان لابن اشناس الحسن بن محمد (٣٥٩-٤٣٩هـ)، مجلس بداره في الكرخ يحضرها الشيعة[٣]. وقد قرأ الشيخ الطوسي بعض دروسه على ابن حمويه البصري "ببغداد في دار الغضائري يوم السبت النصف من ذي القعدة سنة ثلاث عشرة واربعمائة[٤]، ومن الجدير بالذكر ان دار الغضائري بقيت مكاناً للدرس بعد وفاة صاحبها الحسين بن عبيد الله عام ٤١١ هـ، حيث تولى الاشراف عليها ولده احمد بن الحسين الغضائري، وكان لابن مهدي عبد الواحد بن محمد دار في درب الزعفراني ببغداد معدة للتدريس[٥] وقد قرأ الشيخ الطوسي على استاذة الوكيل علي بن شبل في منزله في الربض

(١) خدابخش: الحضارة الاسلامية، ص١٧٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، جـ ٨، ص١٢.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مج ٧ ص٤٢٦.

(٤) الطوسي: الامالي، جـ ٢ ص١٣.

(٥) الطوسي: الامالي، جـ ١، ص٢٦٣.

بباب محول وهي من محال الكرخ ببغداد[1] وحضر كذلك دروس استاذه المعدل على بن محمد بمنزله في رجب عام ٤١١ هـ[2] ودروس استاذه ابن مخلد محمد بن محمد (٣٢٩-٤١٩ هـ) بداره بدرب السلولي في القطيعة[3] وقد علل استاذنا الدكتور الفياض هذا الاسلوب من التعليم في البيوت بأنه كان "خوفاً من رقابة السلطان" وتعرض شيوخ الامامية، ما عدا الفترة البويهية لرقابة مشابهة لتلك التي تعرض لها الائمة، لذا فقد آثروا الابتعاد، خاصة في الاماكن التي تشتد فيها الرقابة، عن المساجد ليقوموا بتدريس علومهم دون مضايقة"[4].

رابعاً: المساجد

اتخذ بعض المشايخ في بغداد المساجد مكاناً للتدريس والاملاء، فيقول الشيخ الطوسي: "حدثنا أبو الفتح محمد بن احمد بن أبي الفوارس الحافظ املاء في مسجد الرصافة جانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة احدى عشرة واربعمائة"[5] ومن الجدير بالذكر ان ابن ابي الفوارس من شيوخ اهل السنة[6] كما انه استمع الى ابن الصلت احمد بن محمد الاهوازي

---

(١)الطوسي: الامالي ، جـ٢ ص١٩.

(٢) ن. م جـ ٢ ص٨.

(٣) ن: م، جـ ٢ ص٣.

(٤) فياض: تاريخ التربية، ص٧٩.

(٥) الطوسي: الامالي، جـ١ ص٣١٣.

(٦) العلامة الحلي: الاجازة الكبيرة – بحار الانوار مج٢٦ ص٢٨.

بمسجده بشارع دار الرقيق في ربيع الأول من سنة تسع واربعمائة[1] وكان نظام الحلقات هو النظام السائد في التعليم بالمساجد، وكانت المناظرات السمة البارزة في هذه الدراسة.

وكان مسجد المنصور قد اعد للتدريس ، وكان الشيخ ابو عبد الله الحسين بن احمد البزار (ت ٤٤٧هـ) يلقي محاضراته فيه[2] وان ابرز مساجد الشيعة في بغداد في العصر العباسي هو (مسجد براثا) وقد اعد لتدريس الفكر الامامي ، ويقع في منطقة الكرخ ، وقد أشار اليه الخطيب البغدادي بقوله: "وكان في الموضع المعروف ببراثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينتسب الى التشيع ، ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه ، فرفع الى المقتدر بالله (الخليفة العباسي) بأن الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد ، فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة ، فكبس وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبساً طويلاً ، وهدم المسجد حتى سوي بالارض ، وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه، ومكث خراباً الى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة"[3] ويستفاد من هذا النص ان السلطة لم تراع حرمة الجامع وقدسيته ، ولم تكتف بتهديمه ، بل منعت الصلاة فيه ، واعتقال المصلين ، وقد أسهم الخليفة بنفسه على هذا الاجراء التعسفي ، ولكن يبدو ان تجمع الشيعة في مسجد براثا كان يشكل قلقاً للسلطة ، وقد اشارت المصادر الى الفقيه الشيخ ابي العباس احمد بن محمد

---

(١) الطوسي: الامالي، جـ١ ص٣٤٠.

(٢) القمي: الكنى والالقاب ٣٧٥/١-٣٧٦.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١٠٩/١.

بن سعيد المعروف (بابن عقدة) والمتوفى عام ٣٣٣هـ كان يلقى دروسه ومحاضراته في مسجد براثا.

خامساً: المدارس

لم تسعفنا المصادر في تحديد نشوء المدارس عند الامامية ببغداد خلال القرن الخامس الهجري، سوى ان المؤسسات الفكرية، كدار علم سابور بن اردشير التي تطورت بما يشبه المدرسة بما كانت تقوم به من وظيفة تعليمية وقد اشرنا الى ذلك: ويعلل الدكتور الفياض هذا الفراغ في المؤسسات الفكرية "الى الضعف العام الذي حل بحركة التشيع نتيجة للهجمات التي شنها السلاجقة على التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معاً"[١].

توزعت المؤسسات العلمية والثقافية عند الامامية في بغداد في العصر العباسي على محال منطقة الكرخ ، التي هي ((من احسن محال بغداد واعمرها))[٢] . وقد حدد المؤرخ ابن الجوزي مواضع هذه المؤسسات من منطقة الكرخ وهي :[٣]

١- درب الزعفران .

٢- درب رباح .

٣- شارع ابن ابي عوف .

(١) فياض: تاريخ التربية ص١٠١.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧٩٩/١ .

(٣) ابن الجوزي : مناقب بغداد ص٢٧ – ص٢٨ .

٤-باب محول .

٥- سور الحلاويين .

وذكرت المصادر التاريخية والبلدانية ان في درب الزعفران (الدار العجيبة) وان في سور الحلاويين خزانة كتب تحتوي على اثنى عشر مجلد ، وعند دخول الشاعر ابي العلاء المعري الى مدينة بغداد عام ٣٩٩هـ ، اختار السكن في منطقة الكرخ فيقول : ((ولا سكنت بلداً غير الكرخ))[١] . ووصف مجالس النظر والجدل في المسائل العلمية والعقائدية بقوله : ((ومجتمع اهل الجدل ، وموطن بقية السلف))[٢] . وقد وقفنا على مؤسسات بغداد العلمية والثقافية ووجدناها تتركز في المؤسسات الاتية :

١- دور العلم .

٢- دور العلماء .

٣- المكتبات .

٤- المساجد والمشاهد .

٥- المجالس .

---

(١) ابو العلاء المعري : الرسائل ص٤٠ .

(٢) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء .

وقد اسهمت هذه المؤسسات في الحركة النهضوية العلمية التي شهدتها مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري ،و النصف الاول من القرن الخامس الهجري وهي على النحو الاتي .

١- دار علم الوزير ابو نصر بن سابور .

شيد الوزير البويهي ابو نصر بن سابور (٣٣٦ – ٤١٦هـ) داراً للعلم في بغداد ، واصبح لها اسهامة في انعاش الحياة العلمية والفكرية والثقافية ، وقد إضافت الى مشاريعها ، مهمة تعليمية ، وكان مؤسسها قد جمع بين الدراية والكفاية ، وقد قصد هذه الدار جماعة من رجال العلم والفكر والادب ، واصبحت محطة للشعراء والادباء[١] . وقد بنيت دار العلم عام ٣٨١هـ ، ووضع فيها مؤسسها عشرة الاف مجلد ، ووقف عليها الوقوف ، وضمت مائة مصحف بخطوط بني مقلة[٢] . ويقول ياقوت الحموي : لم تكن في الدنيا احسن كتبا منها ، كلها بخطوط الائمة المعتبرة ، واصولها المحررة[٣] . وقد اشرف على هذه الدار اعلام واشراف وقضاة وهم :

١- الشريف ابو الحسين محمد بن الحسين بن ابي شيبة .

٢- الشريف ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسين .

٣- القاضي ابو عبد الله الحسين بن هارون الضبي .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٩٩/٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩/١٢
Litteres OF Abul - ALa OF Maarat AL- Numan , P.xxiii , Margoliouth M . A
(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٢٢/٨ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص٤١٢ .
(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧٩٩/١ .

٤- الشيخ ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي .

ويقول المؤرخ ابن كثير : ان دار العلم السابورية هي اول مدرسة وقفت على الفقهاء ، وكانت قبل المدرسة النظامية بمدة طويلة[1] . وقد اعطى هذا النص لدار العلم السابورية صفة المدرسة عند مقارنتها بالمدرسة النظامية التي تأسست عام ٤٥٩هـ ، لانها كانت تؤدي وظيفة تعليمية ، فضلاً عن كونها مؤسسة فكرية وعلمية ، وانه من الصعب تحديد نشوء اول مدرسة بمدينة بغداد ، ولكن من المتفق عليه وجود مؤسسات مشابهة قبل عهد الوزير نظام الملك ، مؤسس المدرسة النظامية ومنها مؤسسة الوزير سابور[2] . وكانت مقصداً لرجال العلم والفكر والادب ومنتدى العلماء والباحثين ، وقد تردد عليها الشاعر الكبير ابو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) اثناء مكوثه في مدينة بغداد ، وله في هذه الدار قصيدة منها :[3]

وغنت لنا في (دار سابور) قينة   من الورق مطراب الاصائل ميهال

والمقصود بالقينة ، حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من اشجار دار العلم السابورية ، وكانت تطرب بالعشيات[4] . وقد اقام ابو العلاء المعري في هذه الدار سنة وسبعة اشهر ، ثم عاد الى وطنه (معرة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٣١٢/١١ .

(٢) خدا بخش : الحضارة الاسلامية ص١٧٣ .

(٣) ابو العلاء المعري : شروح سقط الزند ، السفر الثاني ، القسم الثالث ص١٢٣٩ .

(٤) ابو العلاء المعري : الرسائل (الرسالة الخامسة عشر) ص٤٥ .

النعمان)[1]. وبقيت ذكريات الدار السابورية عالقة في ذهن ابي العلاء ، وقد دونها في كتابه (رسائل ابي العلاء) ومنها المناقشات الجدلية والمحاجات الكلامية ، فارس الى ابي بكر محمد بن الصابوني البغدادي رسالة جاء فيها : ((وشوقي اليه والى الجماعة التي عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لا يجمد ، ونار فارس ليست تخمد))[2] . ولم ينس ابو العلاء (توفيق السوداء) التي كانت تخدم في دار العلم السابورية ، فذكرها بقوله : ((انا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان ابي المنصور محمد بن علي الخازن ، وكنت اخرج الكتب الى النساخ))[3] . وكشف ابو العلاء عن حنينه الى بغداد ولعلمائها الذين ضمتهم دار العلم ، فكتب الى ابي منصور الخازن قائلاً : ((ولو قدرت لم اقدح الا بمرخ ، ولا سكنت بلداً غير الكرخ)) ويقول : ((لقد طربت من اللوعة لا من الجذل حتى قال اخو العذل ، امن جهل ام حلم طربك الى دار العلم))[4] .

فو الله ما ادري اذا ماذكرتها   اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

وعند وفاة الوزير سابور بن اردشير (مؤسس دار العلم) سنة ٤١٦هـ تولى الشريف المرتضى الاشراف عليها، وعين ابا عبد الله بن احمد تدبير

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٨٤/٨ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ١٧٦/٢ .
(٢) ابو العلاء المعري : الرسائل (الرسالة الخامسة عشر) ص٤٥ .
(٣) ابو العلاء المعري : رسالة الغفران ص٢٧٩ .
(٤) ابو العلاء المعري : الرسالة (١٦) ص٤٧ ، والرسالة (١٩) ص٥٢ .

شوؤنها[1] . وبقيت تؤدي دورها العلمي حتى عام ٤٥١هـ ، فاحرقت عند دخول القائد السلجوقي طغرلبك مدينة بغداد ، بعد قضائه على حركة البساسيري ، ويقول ياقوت الحموي : ((وقد احترقت فيما احرق من محال بغداد))[2] . وقد التهمت النيران الخزين الهائل المحفوظ من التراث الاسلامي في دار العلم ، واصبحت الكتب التي اودعها الباحثون والمؤلفون والتي كانت تسمى (التخليد) أي (الايداع) في الوقت الحاضر[3]. تحت السنة النار ، وتعرض رجال العلم والفكر والادب للقتل والتشريد ، وان وصمة العار التي لحقت بالسلطة السلجوقية في بغداد ، تلتقي بأهداف وصمة العار الايوبية في القاهرة ، فقد دفع الحقد الطائفي الاسود اصحاب النفوس المريضة الى اتلاف موارد العلم والثقافة ، دون مراعاة لحرمة المصاحف الشريفة وكتب الحديث الكريمة ، وعصارات الذهن ونتاجات الفكر التي اودعت في الكتب والرسائل والردود والاجابات وغيرها.

٢- دارعلم الشريف الرضي

اسس الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت٤٠٦هـ) دارعلم في بغداد ، وخصص لطلبتها جميع ما يحتاجون اليه[4] . ويقول السيد ابن عنبة الداودي : ان الشريف الرضي امر ان يتخذ لخزانة الدار مفاتيح بعدد

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ٣٥٩/٦ .
(٢) المصدر نفسه ٢٥٥/٤ .
(٣) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ص١٣٠ .
(٤) ادم متز : الحضارة الاسلامية ٣١٢/١ .

الطلبة ، ويدفع الى كل منهم مفتاحاً ليأخذ منها ما يحتاج اليه ، ولا ينتظر خازنها يعطيه[1] . وقد كانت هذه الخزانة في مصاف الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيماً حسناً[2] . ويقول المستشرق مرجليوث : كان الشريف الرضي قد اتخذ بيتاً خاصاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون[3] . ويذكر الشيخ النجاشي : ان شيخه ابا الحسين بن المهلوس العلوي الموسوي كان يحدث في مجلس الشريف الرضي ، وقد استمع اليه ، وبحضور الشيخ المفيد[4] . وهذا له دلالة على ان دار العلم ، وبيت الرضي ، كانا للدراسة وسكن الطلبة ، ومما يؤيد ذلك ان الوزير ابا محمد المهلبي دفع للشريف الرضي مبلغاً مقداره الف دينار يوم ولد له مولود ، فرد الشريف المبلغ لصاحبه ، ولكن الوزير أرجعه إليه على ان يفرقه على ملازميه من طلاب العلم ، فجمع الشريف الرضي طلابه وقال لهم : فليأخذ كل واحد ما يريد ، فقام رجل منهم واخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة ، وامسكها ورد الدينار الى الطبق ، فساله الرضي عن ذلك فقال : اني احتجت الى دهن السراج ليلة فلم يكن الخازن حاضراً ، فاستقرضت من فلان البقال دهنا للسراج،

---

(١) ابن عنبة عمدة الطالب ص١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص٢٣١ .

(٣) Litters OF Abul ALa .P.xxiii .

(٤) النجاشي : الرجال ص٢٦٥ – ص٢٦٦ .

فاخذت هذه القطعة لادفعها اليه عوض دهنه ، فلما سمع الشريف الرضي ذلك ، امر في الحال ، مفاتيح للجميع ، لكي يسهل الامر لجميع الطلاب[1].

وورد في بعض المصادر اسم ((دار العلم)) دون تحديد اسم صاحبها وانما الاكتفاء بالقول : اهدى بعضهم نتاجاته العلمية لخزانة الكتب ((دارالعلم)) وذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لاحمد بن خيران الكاتب، المتوفى عام ٤٣١هـ انه سلم الى ابي منصور الشيرازي رسول ابن النجار الى مصر من بغداد جزئين من شعره ورسائله ، واستصحبهما الى بغداد ليصرفهما على الشريف المرتضى ابي القاسم وغيره ، ممن يأنس به من رؤساء البلد ، ويستشير في تخليدها دار العلم ببغداد[2] . واوقف جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع المتوفى عام ٣٩٦هـ ، نسخة على دار العلم ببغداد[3] . وذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لعلي بن فضال المجاشعي المغربي ، انه كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد[4] . ويحتمل ان المقصود بالنصوص التي اوردناها ان دار العلم هذه هي دار سابور بن اردشير والتي اشرف عليها الشريف المرتضى بعد وفاة مؤسسها ويبدو ان ابا الحسن محمد بن هلال الصابي بعد حادثة احتراق دار العلم السابورية بعام واحد اوقف نحو الف كتاب على دار كتب تقع في شارع ابن ابي عوف من غربي

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ص١٩٨ ، الخوانساري : روضات الجنات ص٥٧٥ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ١/٥-٦ .

(٣) ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء ١/١٤٦ .

(٤) ياقوت : معجم الادباء ٩٨/١٤ .

مدينة السلام ، وذلك في عام ٤٥٢هـ[1] . وقد جاء عمل هذا تعويض مدينة بغداد مماتلف من تراثها على يد السلاجقة الغزاة ، وضياع العلم من مؤسساتها .

ويبدو ان مؤسسة دار العلم الرضوية قد اكتسبت الصفة الجامعية الاكاديمية وفق مفاهيم عصرنا ، اذ ان طالب العلم يجد المقام والدرس والمكتبة والسكن ، ويقول الاستاذ كوركيس عواد : لم تكن دار علم الشريف الرضي مدرسة فحسب ، بل كان يتبعها مخزن فيه جميع ما يحتاجه الطالب من الامور المادية ، والى جانب ذلك خزانة كتب حافلة عرفت بخزانة دار العلم ، وقد كانت هذه الخزانة في مصاف الخزائن الكبرى ببغداد، منظمة تنظيما حسنا[2] . ويقول المستشرق (مارجليوث) : ان الشريف الرضي قد اتخذ بيتاً خاصاً يجتمع فيه الدارسون والمعجبون[3].

وقد اشار الشريف الرضي في كتابه (المجازات النبوية) اعلام مدينة بغداد الذين تتلمذ عليهم ، وحلقة استاذه الشيخ المفيد ، وكان هؤلاء الاعلام يشكلون اطياف الفكر الاسلامي وهم :

١- ابو الفتح عثمان بن جني النحوي .

٢- ابو الحسن علي بن عيسى الربعي .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٢١٦/٨ .

(٢) كوركيس عواد : خزائن الكتب ص٢٣١ .

(٣) Litters OF Abul – Ala .P.xxiii .

٣- ابو القاسم عيسى بن علي بن عيسى .

٤- ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني .

٥- القاضي عبد الجبار البغدادي .

٦- ابو بكر محمد بن موسى الخوارزمي .

٧- عمر بن ابراهيم المقرئ.

٨- ابو حفص الكناني .

وكانت حلقة الشيخ المفيد ، وحلقة الشيخ السيرافي اكبر حلقات الدرس في مدينة بغداد ، وقد تولى الشريف الرضي رعاية المدرسة البغدادية بعد وفاة شيوخه ، وقد تحلق حوله اعلام الفكر الاسلامي ومنهم:

١- الشيخ جعفر بن محمد الدوريستي .

٢- عبد الرحمن النيسابوري .

٣- سبط بشر الحافي عبد الكريم بن محمد الدياجي .

٤- احمد بن الحسين الخزاعي .

وكان اهل الذمة بمدينة بغداد في رعاية الشريفين الرضي والمرتضى وحظي ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي باهتمام وتقدير عندهما ولما توفي ابو قرة ثابت الحراني ، رثاه الشريف الرضي بقصيدة منها:

اعلمت من حملوا على الأعواد   أرأيت كيف خبا ضياء النادي

جبل هوى لو خر في البحراغتدى من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت اعلم قبل حطك في الثرى ان الثري يعلو على الاطواد

وقد تحرر الشريف الرضي من التعصب الديني والمذهبي ، وكان موضوعياً في تقييم العلماء والعظماء ، ولم تمنعه موضوعيته من رثاء الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز بقوله :

يابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من امية لبكيتك
انت نزهتنا عن السب والشتم فلو يمكن الجزاء لجزيتك

وقد اورد الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٦هـ) في كتابه ((منية المريد في اداب المفيد والمستفيد))اخبارا مهمة عن الشريف الرضي منها : ان احدهم اراد تقديم هدية للشريف الضي بمناسبة مولود جديد له ، فرفض الهدية ، وقد مازحه الخليفة العباسي الطائع بالله بقوله : ((اضنك تشم رائحة الخلافة)) فاجابه ((بل رائحة النبوة)) وقد اراد بذلك ان الامامة هي امتداد للنبوة في واجباتها الدينية .

٣- مكتبة الشريف المرتضى .

اسس الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) مكتبة كبيرة في مدينة بغداد ، ضمت ثمانين الف مجلد ، واشار اليها ابو القاسم التنوخي بقوله : ((حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين الف مجلد من مصنفاته

ومحفوظاته ومفرداته))[1] . وكانت المكتبة تتسلم كتباً من الباحثين ، فذكر ياقوت الحموي : ان كتباً من مصر اهديت لمكتبة الشريف المرتضى[2] . وقد أصبحت ملتقى الادباء العلماء والادباء ، حتى قيل انها كانت دار علم ومناظره[3] . وقد اراد السيد المرتضى الحفاظ على استمرارية مكتبته ، فانه أوقف قرية على كاغد الفقهاء[4] . وهذا مما جعل مدينة بغداد مبادءة العلم الوحيدة ، بل حاضرة الثروة والرفاهية والمدنية[5] . ويقول الاستاذ كوركيس عواد : ان مكتبة الشريف المرتضى من النادر ان يجتمع نظيرها عند احد[6] . وكان يقصدها اهل العلم من مسلمين وغيرهم ، وكان السيد المرتضى يجري عطاءاً للجميع وحتى لاهل الذمة الذين يتفرغون لطلب العلم ، وكان يعطي لتلاميذه رزقا حسب منازلهم العلمية ، فكان للشيخ الطوسي اثنا عشر ديناراً في الشهر ، وللشيخ ابن البراج ثمانية دنانير في الشهر[7] . وقد توسعت هيمنة السيد المرتضى على طلاب العلم في بغداد بعد وفاة استاذه الشيخ المفيد عام ٤١٣هـ ، فنهض باعباء المرجعية الدينية العليا ، وقيادة

---

(١) ابن عنبة : عمدة الطالب ص١٩٥ ، الحسيني : الدرجات الرفيعة ص٤٦٣ .
(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ١/٥-٦ .
(٣) ابن حجر : لسان الميزان ٤/٢٢٣ .
(٤) الافندي : رياض العلماء ٣/ ورقة ٣٣٢ .
(٥) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ٢/٤٢ .
(٦) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ص٢٣٤ .
(٧) الحسيني : الدرجات الرفيعة ص٤٦٠ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٢٩٥ ، ص٣١٧ .

المجتمع بما يتناسب مع مقامه العلمي والفقهي ، فضلاً عن مقامه الاجتماعي، بوصفه نقيب العلويين في عهده ، فتهافت عليه طلاب العلم من اماميين ومسلمين ومن مذاهب متعددة واهل الذمة ، وكانت مناقشاته الكلامية قد اسهمت في تطور الحركة العلمية في بغداد ، وقد برزت كتب (النقض) في المجتمع البغدادي ، وقد أدت إلى أتساع آفاق المعرفة فكتب الشيخ أبو الحسن سليمان الصهرشتي (تلميذ السيد المرتضى) كتاب (النصير في نقض كلام صاحب التفسير) ويقصد بذلك القاضي أبي يوسف القزويني وأشارت المصادر أن الشيخ الصهرشتي قد جلس في مجلس أستاذه السيد مرتضى.

٤- مسجد نفطويه النحوي

كان مسجد نفطويه النحوي مركزاً علمياً في مدينة بغداد ، ويقول الشيخ النجاشي : ((كنت اتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي ، وهو مسجد نفطويه النحوي اقرأ القرآن على صاحب المسجد ، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي))[1] . ويبقى كتاب ((الكافي)) للشيخ الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ حتى عهد الشيخ النجاشي ، المتوفى عام ٤٥٠هـ يدرس في هذا المسجد لاهميته في علم الحديث .

---

(١) النجاشي : الرجال ص٢٦٧ .

٥- مسجد الرصافة

اشار الشيخ الطوسي الى مسجد لرصافة ومكانته العلمية بقوله : ((حدثنا ابو الفتح محمد بن احمد بن ابي الفوارس املاء في مسجد الرصافة ، في الجانب الشرقي ببغداد في ذي القعدة سنة احدى عشرة واربعمائة))[١] . وكان الشيخ ابن ابي الفوراس من شيوخ اهل السنة[٢] . وان استماع الشيخ الطوسي لعلم من اعلام اهل السنة له دلالة على انفتاح الفكر الامامي على مذاهب المسلمين من دون ان تكون المذهبية عائقا في تلقي العلم .

٦- مسجد ابو الحسن احمد بن محمد الاهوازي

يقع مسجد الشيخ ابي الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت الاهوازي (ت٤٠٩هـ) في شارع دار الرقيق ببغداد ، وقد استمع فيه الشيخان النجاشي والطوسي على استاذهما الشيخ ابن الصلت الاهوازي[٣] . وكان الشيخ الاهوازي من علماء اهل السنة في بغداد[٤] . وقد استمع اليه الشيخ

---

(١) الطوسي : الامالي ٣١٣/١ .

(٢) العلامة الحلي : الاجازة الكبيرة ، (بحار الانوار) ٢٨/٢٦ .

(٣) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص٢٦ .

(٤) العلامة الحلي : الاجازة الكبيرة (بحار الانوار) ٢٨/٢٧ ،النوري : مستدرك الوسائل ٥٠٩/٣ .

الطوسي في ربيع الاول عام ٤٠٩هـ[١] ، أي في السنة التي توفي فيها الشيخ الاهوازي ، ويروي الشيخ الطوسي عنه وهو في طريقه لابن عقدة احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الكوفي ، المتوفى عام ٣٣٣هـ[٢] .

٧- مسجد شارع دار الرقيق

استمع الشيخ الطوسي الى ابن الصلت احمد بن محمد الاهوازي في مسجده الواقع بشارع دار الرقيق في ربيع الاول من سنة تسع واربعمائة[٣] . وكان الشيخ الطوسي قد دخل مدينة بغداد عام ٤٠٨هـ ، ويبدو انه كان يتنقل بين المؤسسات العلمية في بغداد ، والاستماع لشيوخها ، وقد خصت المساجد بعقد المناظرات الكلامية .

٨- دار الشيخ ابن اشناس

تقع دار الشيخ ابن اشناس الحسن بن محمد (ت٤٣٩هـ) في منطقة الكرخ ببغداد ويحضرها رجال الشيعة[٤] . وقد قرأ فيها الشيخ الطوسي على استاذه ابن اشناس .

---

(١) الطوسي : الامالي ٣٤٠/١ .
(٢) الحر العاملي : امل الأمل ٢٧/٢ .
(٣) الطوسي : الامالي ٣٤٠/١ .
(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٤٢٦/٧ .

٩- دار الغضائري

اعد الشيخ ابو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت٤١١هـ) داراً للدرس والمناظرة وكان الشيخ ابن حمويه البصري يدرس فيها ، وقد استمع اليه الشيخ الطوسي في يوم السبت ، النصف من ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة[1] . وهذا يدل على ان دار الغضائري بقيت تؤدي دورها العلمي بعد وفاة صاحبها ، وكان ولده احمد بن الحسين الغضائري يتولى الإشراف عليها ، ويبدو ان الشيخ ابا عبد الله الحسين الغضائري قد احتل موقعاً علمياً كبيراً في بغداد ، حتى اطلق عليه لقب شيخ الشيعة[2] . وقد تتلمذ عليه الشيخان النجاشي والطوسي واجازهما بجميع رواياته[3] . ويقول السيد الخوانساري : انه كان بمنزلة الشيخ المفيد في وقته واوانه[4] . ويقول ابن حجر : انه من كبار شيوخ الشيعة وكان زاهدا ورعاً حافظاً ، وانه كان من احفظ الشيعة بحديث اهل البيت[5] .

---

(١) الطوسي : الامالي ١٣/٢ .

(٢) الطريحي : مجمع البحرين ٤٢٤/٣ .

(٣) الطوسي : الرجال ص٤٧٠ ، ابن داود : الرجال ق١ /١٢٤ ، العلامة الحلي : الرجال ص٥٠ ، ابن حجر : لسان الميزان ٢٨٩/٢ .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات ص١٨٣ .

(٥) ابن حجر : لسان الميزان ٢٨٩/٢ .

١٠- دار الوكيل علي بن شبل

اعد الشيخ الوكيل علي بن شبل داره الواقعة بباب محول في منطقة الكرخ ببغداد مكانا للدرس ، وقد قرأ فيها الشيخ الطوسي على استاذه الشيخ الوكيل . في صفر عام ٤١٠هـ كما تتلمذ عليه الشيخ النجاشي ايضا(١).

١١- دار المعدل علي بن محمد

حضر الشيخ الطوسي دروس استاذه المعدل علي بن محمد في منزله في شهر رجب عام ٤١١هـ(٢) .

١٢- دار ابن مخلد محمد بن محمد

تقع دار الشيخ ابن مخلد محمد بن محمد (ت٤١٩هـ) في درب السلولي في القطيعة ، وقد اعدت للدرس ، وحضر الشيخ الطوسي دروس استاذه ابن مخلد في هذه الدار ، وذلك في ذي الحجة عام ٤١٧هـ(٣) .

١٣- دار هارون بن موسى التلعكبري

اشار الشيخ النجاشي الى دار الشيخ هارون بن موسى التلعكبري بقوله : ((كنت احضر في داره مع ابنه ابي جعفر والناس يقرأون عليه))(٤).

---

(١) الطوسي : الامالي ١٩/٢ ، الافندي : رياض العلماء ٥/ ورقة ٢٤٦ .
(٢) الطوسي : الامالي ٨/٢ .
(٣) الطوسي : الامالي ٣/٢ .
(٤) النجاشي : الرجال ص٣٠٨ .

١٤- دار ابي عمرو عبد الواحد الفارسي

تقع دار الشيخ ابي عمرو عبد الواحد الفارسي (ت٤١٠هـ) في درب الزعفران في منطقة الكرخ ببغداد ، وان درب الزعفراني يوصل الى (رحبة بن مهدي) وهو جد الفقيه الفارسي ، وقد استوطن درب الزعفراني علماء وتجار[١] . وكان الشيخ الفارسي من علماء اهل السنة ، وقد استمع اليه الشيخ الطوسي[٢] .

١٥- مشهد العتيقة

اشار الشيخ النجاشي الى لقائه بالشيخ ابي الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب في مجلس ابي عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر النعماني ، المعروف بابي زينب وهو يقرأ عليه كتاب الغيبة في مشهد العتيقة[٣] . وقد قرأ الشيخ النجاشي كتاب (الصيام) في المشهد المذكور عن ابن الزبير[٤] .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٥٦٢/٢ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ٥٢٠/٢ .

(٢) الطوسي : الامالي ٢٦٣/١ ، العلامة الحلي : الاجازة الكبيرة لبني زهرة (بحار الانوار) ٢٨/٢٦ .

(٣) النجاشي : الرجال ص١٨٣ .

(٤) المصدر نفسه

النشاط الفكري عند الامامية

القسم الاول: لفظ المفيد

برز لقب (المفيد) في الفكر الامامي منذ مطلع القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي، وقد شهد هذا القرن تطوراً علمياً بارزاً في العالم الاسلامي، وبخاصة في مدينة بغداد التي انجبت اعلاماً في التفسير والحديث والفقه والاصول، وعلم الكلام، وعلم الرجال وغيرها من العلوم الاسلامية، وقصد بغداد اعلام من مختلف الامصار والمدن الاسلامية، فاصبحت مجالسها ومدارسها ومؤسساتها العلمية والفكرية ملتقى العلماء والمفكرين والمحدثين والادباء وغيرهم من رجال العلم والفكر، وكانت المناظرات الكلامية، والمحاججات الفقهية، والمحاكمات الادبية سمة بارزة في المجتمع البغدادي، ولذا عدّ القرن الرابع، والقرن الخامس الهجريين من ازهى العصور الفكرية والثقافية بمدينة بغداد، فيقول المؤرخ مسكويه: (فعاشت العلوم، وكانت مواتا، وتراجع اهلها وكانوا اشتاتا، ورغب الاحداث في التأدب، والشيوخ في التأديب، وانبعثت القرائح، ونفقت اسواق الفضل وكانت كاسدة)(1). وهذا الامر قد جعل مدينة بغداد قبلة العالم الاسلامي، ومحط انظاره، وفي وسط تجمعها العلمي الكبير برز ((المفيد الاول)) ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام ٤١٣هـ، وقد فرض الشيخ المفيد وجوده على اعلام

---

(١) مسكويه: تجارب الامم ٤٠٨/٦.

بغداد حتى انه نال لقب "الامام الاعظم وشيخ الاسلام"[1]. وقد كان يحاضر وفق المذاهب الاسلامية المتعبد بها في زمنه، واتخذ من داره الواقعة في "درب رباح" في جانب الكرخ من بغداد مكانا للدرس والمناظرة، ويقول ابن الجوزي كان يحضره العلماء كافة[2] وقد اوضح تلميذه ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي مكانته العلمية والفكرية بقوله "((انتهت اليه رياسة الامامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب))[3] وقد عرف في المجتمع البغدادي بابن المعلم[4]. وقد تتلمذ عليه كبار علماء الامامية كالسيدين الشريفين (الرضي والمرتضى)، وابي يعلى الجعفري، والشيخ الطوسي وغيرهم، وكانت مؤلفاته البالغة اكثر من مائتي مصنف اهلته ان يكون ((مفيد بغداد الاول)) واذا وقفنا على كتاب ((الامالي)) للشيخ الطوسي، نجد الشيخ المفيد في معظم ابواب الكتاب، وقد روى الشيخ ابو علي بن الشيخ الطوسي نصوص كتاب الأمالي، وقد اطلق عليه لقب ((المفيد الثاني))[5] وكان قد تتلمذ على والده الشيخ الطوسي، وقرأ عليه جميع تصانيفه واجازه بالرواية عام ٤٥٥هـ، وتولى رعاية المدرسة النجفية بعد وفاة الشيخ الطوسي، ويقول ابن حجر: ((ثم صار فقيه الشيعة وامامهم بمشهد

---

(١) الشهيد الاول: كتاب الاربعين حديثا ص١٨٤، ص٢٠٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ١١.

(٣) الشيخ الطوسي: الفهرست ص١٨٦.

(٤) الشيخ الطوسي: الامالي ١/ ٦١ ابن شهر اشوب: معالم العلماء ص١٠١.

(٥) الافندي: رياض العلماء ٢/ورقة ١٣٦، النوري: مستدرك الوسائل ٣/ ٤٩٧.

علي رضي الله عنه))[1] وكانت الاجازات العلمية عند الامامية ينتهي اكثرها عند ((المفيد الثاني)) الشيخ ابي علي الطوسي، وهو بذلك قد ملأ الفراغ الذي وقع في مدرسة النجف عند وفاة شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي عام ٤٦٠هـ فالف كتاب (الامالي) وهو عبارة عن محاضرات علمية القاها على تلاميذه في المرقد الحيدري الشريف وكتاب ((شرح النهاية)) وهو من كتب الفقه لمهمة للشيخ الطوسي الذي يشتمل على عدة كتب منها كتاب ((تهذيب الاحكام)) وقد تناول كتاب ((النهاية)) عدد من الفقهاء بالدراسة والشرح كالشيخ ابي علي الطوسي، والشيخ سليمان بن الحسن الصهرشتي، والشيخ قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، والشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق الحلي، وللشيخ المفيد الثاني ابي علي الطوسي كتاب ((المرشد الى سبيل المتعبد)).

ويبدو ان لقب ((المفيد)) كان قد لحق باعلام الفكر المتميزين في القرن الخامس الهجري، وقد لحق بتلميذ الشيخ الطوسي، ابي الوفاء عبد الجبار بن علي النيسابوري المقرئ[2]. المتوفى في حدود عام ٥٠٦هـ، وكان قد قرأ جميع تصانيف استاذه الشيخ الطوسي، وقد اطلقت عليه بعض المصادر لقب (عز العلماء) وكان فقيه الامامية الاكبر في منطقة الري، ويبدو انه

---

(١) ابن حجر: لسان الميزان ٢/٢٥٠.

(٢) الحر العاملي: امل الامل ٢/١٤٢، الكاظمي: مقابس الانوار ص٥، بحر العلوم: الرجال ٤/٦٧.

غادر مدينة النجف الاشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي، اذ انه قرأ عليه حتى عام ٤٥٨هـ، أي قبيل وفاته بعامين وقد اشار الى ذلك بقوله (حدثنا الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي رحمه الله بالمشهد المقدس الغروي، وعلى ساكنه افضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين واربعمائة)[١] وللشيخ المفيد عبد الجبار المقرئ النيسابوري كتب في الفقه والعلوم الاسلامية الاخرى كتبها باللغتين العربية والفارسية[٢]. ولقب بالمفيد الشيخ ابي محمد عبد الرحمن بن احمد النيسابوري الخزاعي وهو من اعلام الامامية بمدينة بغداد ، وقد تتلمذ على السيدين الشريفين الرضي والمرتضى، وخصصته بعض المصادر بالتلمذة على الشيخ الطوسي[٣] ومن المحتمل انه اصطحبه الى مدينة النجف الاشرف عام ٤٤٨هـ، كما انه تتلمذ على الشيخ الكراجكي ابي الفتح محمد بن علي بن عثمان، والشيخ ابن البراج ابي القسم عبد العزيز بن نحرير، والشيخ ابي يعلى سلار بن عبد العزيز. وغيرهم من اعلام الامامية في بغداد والنجف، وكان بروزه العلمي الكبير قد اعطاه لقب (المفيد) اذ انه كتب في الفقه والعقائد منها:

كتاب (عيون الاخبار) وكتاب (عيون الاحاديث) وكتاب العلويات، وكتاب سفينة النجاة في مناقب اهل البيت. واشار الشيخ ابن شهر آشوب

---

(١) ابن طاووس: مهج الدعوات ص ٢١٨.
(٢) الحر العاملي: امل الامل ١٤٢/٢، المامقاني: تنقيح المقال ١٣٢/٢.
(٣) بحر العلوم: الرجال ٦٧/٤، القمي: سفينة البحار ٣٩١/٢.

في كتابه (مناقب ال ابي طالب) الى الشيخ ابي بكر محمد بن احمد بن محمد الجرجاني او الجرجرائي وقد لقب بالمفيد، وكان من اكابر العلماء، ووصف بالشيخ الجليل، وهو صاحب كتاب (الفوائد) وذكر الشيخ الميرزا عبد الله بن الميرزا عيسى الاصفهاني في كتابه (رياض العلماء): ان الشيخ الطوسي يروي عن الشيخ ابي بكر الجرجاني بلا واسطة، ولكن وجدت في كتاب "الامالي" للشيخ الطوسي، انه يروي عن ابي الحسن احمد بن محمد الجرجاني، ولم اجد الشيخ ابا بكر الجرجاني ويبدو ان الشيخ الطوسي قد تتلمذ على ابي الحسن الجرجاني بدلالة لفظ "اخبرنا" ومن المحتمل ان الذي اورده الشيخ الافندي في رياض العلماء هو تصحيف او خطأ في النقل، ولكن الذي نستفيد منه ان الجرجاني قد لحق به لقب "المفيد" وهذا له دلالة على مكانته العلمية الرفيعة في الوقت الذي لم تشر المصادر الى تآليفه، ومن المحتمل انها فقدت.

ويبدو من خلال النصوص ان لقب "المفيد" قد اطلق على بعض العلماء الذي يحملون صفتي العلم والتعليم، ويقول القلقشندي هو اسم فاعل من الافادة[1] ويقول الخوانساري: هو لكثرة استفادت الخلق من علومه[2]، وقد لحق هذا اللقب ببعض علماء المذاهب الاسلامية كابي الحسن علي بن ابي البركات البغدادي، وابي الغنائم محمد بن علي الواسطي، وقد وقع السيد الخوانساري في وهم بقوله (ان لقب المفيد لم

(١) القلقشندي: صبح الاعشى ٢٩/٦.
(٢) الخوانساري: روضات الجنات ٢٦/٥.

يعهد لاحد من علماء اصحابنا بعد هذا العلم الفرد المشتهر بابن المعلم ايضا كما قد عرفت، الا للفاضل الكامل المتقدم في الفقه والادب والاصول محمد بن جهيم الاسدي الحلي الملقب بمفيد الدين، وهو الذي يعبر عنه في كتب الاجازات وغيرها بالمفيد بن الجهيم)[1] فالفاصل الزمني بين الشيخ المفيد المتوفى عام ٤١٣هـ والشيخ ابن جهيم الحلي كبير اذ ان بينهما، كما اشرنا، من لقب بالمفيد من الامامية وغيرهم ولكن يبقى (المفيد الاول) محتفظاً علمياً بهذا اللقب الذي حصل عليه بعد مناظرات مع شيخ المعتزلة في عصره القاضي عبد الجبار المعتزلي وابي بكر الباقلاني في مدينة بغداد في مطلع القرن الخامس الهجري وفي مجلس الشيخ علي بن عيسى الرماني الذي فيه تحلق الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان في المناظرات الكلامية والعقائدية، وهذا الامر الذي اكسبه لقب المفيد لما يحمل من خصائص علمية وفكرية. ومن الملاحظ ان لقب (المفيد) قد اختفى بعد القرن السابع الهجري على الرغم من بروز اعلام كبار في الفكر الامامي كالعلامة الحلي، والشيخ السيوري، ونور الدين الكركي، والامام الاردبيلي وغيرهم.

---

(١) الخوانساري: روضات الجنات ٢٦/٥.

القسم الثاني: نقابة العلويين

تقلد القضاء اعلام معروفون في الفقه والاصول وعلم الكلام والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الاسلامية ، وقد جمع بعض العلويين بين القضاء والنقابة في مدينة بغداد ، وقد حاولنا الوقوف على هؤلاء الاعلام ممن تولى النقابة على النحو الاتي :

١- ابو الحسن علي بن احمد بن اسحاق العلوي .

تولى ابو الحسن علي بن احمد بن اسحاق العلوي نقابة العلويين وفي عام ٣٦٩ هـ وجمعت له النقابة في بغداد وواسط[١].

٢- ابو احمد الحسين بن موسى العلوي .

تولى الشريف ابو احمد الحسين بن موسى العلوي منصب قاضي القضاة والحج والمظالم ونقابة العلويين في مدينة بغداد عام ٣٩٤ هـ ، وقد صدر مرسوم من السلطان بهاء الدولة البويهي ، بتولية هذا المناصب ، في الوقت الذي عارض الخليفة العباسي القادر بالله[٢] . ولكن يبدو ان العلويين فرضوا وجودهم على المجتمع البغدادي ، والسلطة الحاكمة بتوليهم هذه المناصب المهمة ، في الوقت الذي كانت النقابة الهاشمية بيد العباسيين .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩٨/٧.

(٢) المصدر نفسه ٢٢٦/٧ – ٢٢٧ .

٣- الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي .

تولى الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (ت٤٠٦هـ) نقابة العلويين في بغداد عام ٤٠٣ هـ ، واصبح مشرفاً على نقابة العلويين او الطالبيين في الامصار الاسلامية ، وعند تنصيب الشريف الرضي نقيبا للعلويين خلعت عليه خلعة سوداء ، وهي شعار الدولة العباسية الحاكمة ، ويقول المؤرخ ابن الجوزي : هو اول طالبي خلعت عليه هذه الخلعة[1] . ولعل الموقع الاجتماعي والعلمي للشريف الرضي فرضا على السلطة العباسية اتخاذ هذا الاجراء او المرسوم ، وانه قد خاطب الخليفة العباسي القائم بقوله :

عطفا امير المؤمنين فاننا	في دوحة العليا لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت	ابداً كلانا في السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فانني	انا عاطل منها وانت مطوق

وقد اراد الشريف الرضي ان يقول : ان نقابة الاشراف وامارة الحاج والجلوس للمظالم قد انيطت به ، سوى الخلافة ، وأشار الباخرزي في كتابه ((دمية القصر)): ان الشريف الرضي صدر الوسادة من بين الائمة والسادة، وانا إذ مدحته كنت كمن قال الذكاء : ما أنورك والخضاره ما أغزرك .

(١)ابن الجوزي : المنتظم ٢٦٠/٧ .

٤- الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي .

تولى الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) نقابة العلويين في بغداد وذلك في عهد الخليفة العباسي القادر بالله ، وقد قرئ عليه العهد عند تولي هذا المنصب[١] .

٥- الطاهر ابو عبد الله بن عبيد الله .

تولى الطاهر ابو عبد الله بن عبيد الله نقابة العلويين عام ٥٥٢ هـ ، وقد اشار اليه ابن الجوزي بقوله : ((حدثني بعد ان عوفي))[٢] .

وتولى العباسيون النقابة الهاشمية منذ عام ٣٦٣ هـ ، وقد توارثها اعلام من اسرة ال الزينبي ومنهم القاضي القاضي ابو تمام الزينبي ، ولما صرف عن النقابة تولاها ابو محمد عبد الواحد بن الفضل بن عبد الملك ، وكان النقيب طلحة بن علي الزينبي (ت٥٥٨هـ) قد حضر مجلس ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) مراراً[٣] . وتولى بعض العباسيين منصب نقيب النقباء منذ عام ٣٨٩ هـ ، من قبل الخليفة العباسي، ويقدم له الخليفة الخلع عند تنصيبه[٤] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٢٧٦/٧ .

(٢) المصدر نفسه ١٧٧/١٠ .

(٣) المصدر نفسه ١١٣/٧، ١٧٦ ، ٩١/٨ – ٢٣٤/٩ ، ١١/١٠، ٢٠٦ .

(٤) المصدر نفسه ٢٣٤/٩ ، ١١/١٠ .

القسم الثالث: الامالي

هناك ما يزيد على مائة كتاب يحمل كل منها اسم "الأمالي"[1] وان مفهوم كلمة "الأمالي" عبارة عن محاضرات يمليها الشيخ أو الأستاذ على تلاميذه في مجلس، أو عدة مجالس، وفي أيام معينة، أو في مواسم خاصة، وان القاء مثل هذه المحاضرات تكون " عن ظهر قلبه أو عن كتابه، أو الغالب عليها ترتيبه على مجالس السماع ولذا يطلق عليها المجالس أو عرض المجالس"[2].

وقد حاول بعض الباحثين التفريق بين "الأمالي" و"المجالس" بالقول بأن الأمالي ما "يمليها الشيخ أو من ينيبه عنه بحضرته، فيتلقفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم. وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه أو يلقي الى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه": أما المجالس فانها "تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء، ففيها يلقي الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه، وفيها كذلك يسأل الشيخ فيجيب، فيدون كل ذلك فيما يسمى مجلساً"[3] وعلى هذا النحو فإن الأمالي "ليست ترادف المجالس" اذ لا تساوقها دائماً في الاستعمال، اذ أن بعض كتب (المجالس) لم يكن تدوينه نتيجة مجلس معقود لذلك، بل انما هي كتب صنفها أصحابها وقد يتفق لهم املاؤها في مجلس فتؤرخ مجالس املائها، وربما تدعي بالأمالي أيضاً وهي باسم المجالس أولى

(١) الطهراني: الذريعة، ج٢ ص٣٠٥-٣١٨. الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق، ص١١١.
(٢) الطهراني: الذريعة، ج٢ ص٦.
(٣) الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق. ص١٦.

كأمالي الشيخ الطوسي"[1]. وسواء كانت هذه المحاضرات تدعي بالأمالي أو بالمجالس، نلاحظ أن للطلبة دوراً في حفظها وتدوينها وروايتها، ومن ثم تصبح كتاباً يطلق عليه اسم الاملاء أو الأمالي[2].

ان هذه الدروس التي تعودها العرب والمسلمون في عصور متعاقبة، هي أشبة بما يعرف اليوم باسم "المحاضرات" في الجامعات الحديثة[3]، أو بمثابة ندوات أو مدارس يلتقي بها الاستاذ أو الشيخ بطلابه ومريديه وجهاً لوجه، وعلى ضوء أماليه تدور المناقشات والمحاجات التي كان لها دور في نمو الفكر واتساع آفاقه:

أما "الأمالي" التي يدور حولها هذا البحث، فهي لاربعة من العلماء البارزين الذين يشكلون حلقة متصلة واحدة في الفكر العربي الاسلامي. حيث يرتبط كل منهم بالآخر عن طريق التلمذة والتحصيل العلمي، وهم: الشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، والشريف المرتضى، والشيخ الطوسي. وقد حاولت بيان بعض السمات والخصائص المميزة لامالي كل واحد على انفراد، مبيناً وجه الاصالة لدى بعضهم من جهة، ومدى التأثر بالآخرين من جهة أخرى: وهذه الأمالي هي:

---

(١) الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق، ص٢٧.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون: مج١ ص١٦١.

(٣) عطية الله: القاموس الاسلامي، مج ١ ص١٧٣.

١-كتاب "أمالي الشيخ الصدوق" وهو لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالصدوق، شيخ المحدثين، المتوفى عام ٣٨١هـ، وقد اطلق على كتابه اسم "الأمالي"[١]، كما وأطلق عليه اسم "المجالس"[٢] وقد تناول الشيخ الصدوق فيه أخباراً عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة عليهم السلام، وبيان فضائلهم، ومناقبهم، وخطبهم، ووصاياهم، حيث احتلت هذه المواضيع الجزء الأكبر من الكتاب، اضافة الى ذكر الفرائض والعبادات وبعض المواضيع الأخرى:

تقع "أمالي" الشيخ الصدوق في سبعة وتسعين مجلساً. وكانت هذه المجالس تعقد في تواريخ معينة. وفي أمكنة معينة، فهو يذكر تاريخ ومكان الاملاء في أغلب الأحيان، فالمجلس الأول عقد في يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٣٦٧ هـ[٣]، والمجلس الأخير، وهو السابع والتسعين، فقد عقد في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٦٨ هـ في مشهد الامام عليه السلام[٤].

واذا أمعنا النظر في مجالس الشيخ الصدوق، المدونة في اماليه نجد فيها التزاماً في اوقات القائها، حيث كانت على الاغلب تعقد في يومي الجمعة والثلاثاء من كل اسبوع الا انه قد يخرج على هذا الالتزام، اذا كان ثمة

---

(١) الحر العاملي: أمل الآمل، ق ٣ ص٢٨٤. ابن شهر أشوب: معالم العلماء ص١٠٠.

(٢) ن.م.

(٣) الصدوق: الأمالي، ص١.

(٤) ن.م، ص٦٠٢.

مناسبة تستدعي تأخير مجلسه "فهو اذ يملي في شهر ذي فضل أو فيه مناسبة شريفة، أو صادف فيه وقوع حادثة اسلامية ذات شأن لابد أن يذكر ما يناسب ذلك من فضل الشهر أو حديث المناسبة الشريفة، أو ذكر الحادثة المهمة"[1]، وان رعاية المناسبات الزمانية والمكانية عند الشيخ الصدوق كانت أكثر مما كان يلاحظها تلميذه الشيخ المفيد، وتلميذ تلميذه الشيخ الطوسي[2]. فمثلاً عقد المجلس الثاني والعشرين في يوم السبت المصادف ليوم عيد الفطر المبارك من عام ٣٦٧هـ[3]، لأن المجلس الحادي والعشرين قد عقده على عادته في يوم الجمعة سالخ شهر رمضان من عام ٣٦٧هـ[4]، وعقد المجلس السادس والعشرين في يوم الاربعاء لمصادفته لليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة وهو يوم عيد الغدير الإغر[5]، وبما أن لهذا اليوم أهمية بالغة، وقدسية عظيمة عند الامامية أراد الشيخ الصدوق ان يخصه بمجلس من أماليه تكريماً وتعظيماً له. في حين أن المجلس الخامس والعشرين قد عقده على عادته في يوم الجمعة لثلاث عشر بقين من ذي الحجة من عام ٣٦٧هـ[6]. ويستمر الشيخ الصدوق في إلقاء "الأمالي" حسب التزامه بمواعيد الالقاء، حيث عقد المجلس التاسع والعشرين في يوم الجمعة

---

(١) الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق، ص٣٥.

(٢) ن.م، ص٣٤.

(٣) الصدوق: الأمالي، ص٨٩.

(٤) ن.م، ص٨٥.

(٥) ن. م، ص١٠٧.

(٦) ن. م، ص١٠٤.

المصادف لليوم الثامن من شهر محرم الحرام[1]، حيث أسهب في موضوع استشهاد الامام الحسين عليه السلام وآل بيته الكرام البررة، ونظراً لأهمية واقعة الطف الاليمة، وتأثيرها العميق البالغ في النفوس، وبما أن للموضوع خطورة كبيرة ولم يكتمل بمجلس واحد، نجد الشيخ الصدوق يعقد بعده مجلسين متتاليين وذلك في اليومين التاسع والعاشر من المحرم. وقد صادف الالقاء في يومي السبت والأحد والمجالس الثلاثة التي عقدها الشيخ لإستعراض مأساة الطف تصلح بأن تكون "كتاب مقتل يمتاز عن سائر كتب المقاتل باسناده ووثاقة مؤلفه"[2]. ويستمر الشيخ الصدوق في القاء أماليه المنتظمة على عادته، ووفق خطته المقررة في يومي الجمعة والثلاثاء وذلك بعد المجلس الثاني والثلاثين، حتى انهاء مجالسه البالغة سبعة وتسعين مجلساً الا في بعض المجالس القليلة التي لا يلتزم بها في هذه المواعيد. ونستفيد من أمالي الصدوق مواضبته على القاء الامالي مرتين في الاسبوع والاستمرارية التي ميزته عن غيره من أصحاب الأمالي كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي أما المدة التي استنفذت القاءها فهي أكثر من عام واحد، حيث ابتدأ بالاملاء للمجلس الأول في ١٨ رجب من عام ٣٦٧ هـ، واختتم المجلس الأخير في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان من عام ٣٦٨ هـ. ويعقب الاستاذ الفياض على طريقةوأسلوب هذا النوع من الأمالي بقوله: "يظهر أن نوعاً من التنظيم الدراسي العالي اتبع في دروس القمي

(١) الصدوق: الأمالي، ص١٢٣.

(٢) الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق، ص٣٥.

بدايتها ونهايتها في سنة كاملة، ولارتباطها بأيام وتواريخ معينة من كل أسبوع"[١].

٢- كتاب "أمالي الشيخ المفيد" وهو لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام ٤١٣ هـ، وتتناول هذه الأمالي أحاديث مختلفة من المواعظ والوصايا والحكم والفروض والسنن والاخلاق، كما وتضم بعض الحوادث التأريخية، وقد امتازت بحوث "أمالي الشيخ المفيد" بالاسناد الموثوق الصادر عن النبي وآل بيته (عليهم السلام)[٢] . وقد اعتبر أحد الباحثين أمالي المفيد "فرعاً لمدرسته، وقاعة لمحاضراته، ولساناً ناطقاً يعبر بلهجة حرة عن مبادئه وارائه"[٣]، وتنص مصادر التاريخ الأولية بأنه كان للشيخ المفيد بمدينة بغداد "مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء"[٤]، اضافة الى ما امتاز به من مقدرة فائقة في صناعة علم الكلام[٥]، والجدل[٦]، والمناظرة في كافة فروع المعرفة الاسلامية وتبلغ أمالي الشيخ المفيد اثنتين وأربعين مجلساً، وقد نهج فيها نهج أستاذه الشيخ

---

(١) الفياض: مقالة في مجلة الايمان النجفية، ص١٣٩، العدد ٣-٤. السنة الثالثة (١٣٨٧ -١٩٦٧م).

(٢) الفياض: تاريخ التربية عند الامامية، ص٢٢٦.

(٣) الخاقاني: مقالة في مجلة الغري النجفية، ص٢٧٤، العدد ١٢ السنة الأولى (القسم الأول).

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج٨ ص١٢. ابن كثير: البداية والنهاية ج١٢ ص١٥.

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٢٦٦.

(٦) التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج١ ص١٤١.

الصدوق في "أماليه" من حيث الالتزام بمواعيد الاملاء، وقد كانت على الغالب تلقى في يومي السبت والأربعاء، واحياناً يوم الاثنين. والنقطة البارزة المميزة في أمالي الشيخ المفيد هي ظاهرة الانقطاع، وعدم الاستمرارية في الالقاء، فنجد أن المجلس الأول أملاه في يوم السبت مستهل شهر رمضان من عام ٤٠٤ هـ بمدينة السلام (بغداد) في الزيارين في درب رباح منزل ضمرة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمان الفارسي[١] وبعد هذا المجلس ينقطع الشيخ المفيد عن الاملاء ما يقرب من ثلاث سنوات ثم يعود من جديد للاملاء في يوم الاربعاء المصادف لليوم الثاني من رجب عام ٤٠٧ هـ[٢]، وتأخذ "أمالي الشيخ المفيد" بالشكل المتقطع حتى نهاية مجالسه، حيث عد المجلس الأخير وهو الثاني والاربعين في يوم السبت السابع والعشرين من شهر رمضان عام ٤١١ هـ[٣].

ولعل ظاهرة عدم الاستمرارية في القاء الأمالي عند الشيخ المفيد، يرجع الى طبيعة الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي كانت تمر بها بغداد في تلك الفترة، وخاصة عام ٤٠٨ هـ الذي يتخلل فترة القاء الامالي، فنجد أن الضعف والانحلال قد دب في صفوف الاسرة البويهية الحاكمة في العراق في ظل الخلافة العباسية، وبلوغ الفتن المذهبية والطائفية مداها "وفقدان الأمن والنظام نتيجة لأعمال العيارين والاتراك، اضافة الى أتباع الخليفة العباسي

---

(١) المفيد: الأمالي، ص٩.

(٢) ن. م، ص٥٩.

(٣) ن. م، ص٢١٥.

القادر بالله (٣٨١-٤٢٢) سياسة مذهبية متحيزة ضد الامامية والمعتزلة وكل من يأخذ بالنزعة العقلية، بحيث "نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة"(١).

كل هذه الامور كانت من جملة الأسباب الداعية الى احتجاب الشيخ المفيد وعدم مواصلة أماليه، ولذا جاءت هذه الأمالي غير منتظمة ومتقطعة وقد وصفها الشيخ النجاشي بالأمالي "المتفرقات"(٢) وهذه ظاهرة بارزة عند المقارنة بين "امالي الشيخ المفيد" وامالي استاذه "الشيخ الصدوق"، يقول الدكتور الفياض ان الصدوق قام بالقاء دروسه أو جلسات تدريسه مقرونة بأيام معينة من كل اسبوع، كما ان الفواصل بين مجلس وآخر ثابتة يضاف الى ذلك أن الشيخ الصدوق انهى مجالسه كاملة أما الشيخ المفيد فان الفواصل بين مجالسه لم تكن ثابتة"(٣)، وهناك ملاحظة أخرى نجدها في "أمالي الشيخ المفيد" هي "أنها أمالي رمضانية في سنوات عديدة لم تنظم حلقاتها لفراغ بعض السنين منها"(٤).

٣- كتاب "أمالي الشريف المرتضى"، وهو لأبي القاسم علي بن الحسين الموسوي، المتوفى عام ٤٣٦ هـ، ويتضمن تأويلات قرآنية، وتفسيراً لبعض الآيات الكريمة، ومناقشات لبعض الآراء الدائرة حولها، ويضم الى

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٧ ص٢٨٧. متز: الحضارة الاسلامية، ج١ ص٦٣.

(٢) النجاشي: الرجال، ص٣١٣.

(٣) الفياض: مقالة في مجلة الايمان، ص١٣٩-٤٠، أنظر تاريخ التربية عند الامامية ص٢٢٦ وما بعدها.

(٤) الخرسان: مقدمة أمالي الصدوق، ص٣٣.

جانب ذلك اشتاتاً من الآراء النقدية حول الشعر واللغة، اضافة الى تناول بعض الحوادث التأريخية، والكتاب بمجموعه "مملوء بالفوائد القيمة في التفسير والحديث وعلم الكلام والأدب ممزوج بعضها ببعض"[١]، وهذا له دلالة واضحة "على فضل عظيم وقوة ذهن وقدرة تصرف وكثرة نقل وغزارة اطلاع"[٢] وقد عرف كتاب أمالي الشريف المرتضى باسم "الغرر والدرر"[٣]، أو "غرر الفوائد ودرر القلائد"[٤]، وهذا الكتاب عبارة عن "مجالس أملاها تشتمل على فنون من معاني الأدب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك، وهو كتاب ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم"[٥].

والذي يميز "أمالي الشريف المرتضى" عن الأمالي التي سبقته كأمالي الشيخ الصدوق، وأمالي أستاذه الشيخ المفيد، هو الاهتمام بالتفسير وتأويل الآيات، وان كان "لا يحيط بتفسير القرآن كله، بل ببعض آياته التي يدور أغلبها حول العقيدة"[٦]. ولم تدع هذه الأمالي بالمجالس وإن كانت تضم ثمانين مجلساً، أملاها على تلاميذه ومريديه، في أزمنة مختلفة متعاقبة. ومن

---

(١) أحمد أمين: ظهر الاسلام، ج١ ص٢٤١.
(٢) ابن عنبة: عمدة الطالب، ص١٩٤.
(٣) الطوسي: الفهرست، ص١٢٥. ابن شهر آشوب: معالم العلماء، ص٦١.
(٤) ان أمالي الشريف المرتضى تعرف اليوم بهذا الاسم، ولكن ابن عنبه ذكره باسم "درر القلائد وغرر الفوائد" عمدة الطالب، ص١٩٤.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٦. اليافعي: مرآة الجنان، ج٣ ص٥٦.
(٦) الذهبي التفسير والمفسرون، ج١، ص٤٠٤.

الملاحظ أن الشريف المرتضى لم يشر الى تاريخ الاملاء كما هو الحال في الأمالي التي سبقته كأمالي "الشيخ الصدوق" وأمالي "الشيخ المفيد"، أو الأمالي التي أعقبته كامالي تلميذه "الشيخ الطوسي"، "ولكن الثابت أنه فرغ من املائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كما ذكره الشريف أو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري في آخر نسخته"[1]. ويقول محمد أبوالفضل ابراهيم: أن الشريف المرتضى، تنقل في أماليه من موضوع الى آخر ومن غرض الى آخر[2]. وتبرز من خلال هذا الكتاب شخصية الشريف المرتضى العلمية والفكرية حيث أظهر فيه تفوقاً عجيباً، وأبان عن ذهن وقاد، وذكاء ملتهب، وبصر نافذ، وايمانه فيما فسر وأول ووجه وفرة محفوظة من الشعر واللغة ومأثور الكلام، وكان الطابع الذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة، والآراء المحتملة، مجوزاً في ذلك امكان الأخذ بالآراء جميعاً"[3].

ويذكر الدكتور الفياض ميزة أخرى لأمالي الشريف المرتضى هي: ان المرتضى عالج في اماليه قضايا عدد أهمها تأويل عد من آيات القرآن الكريم، في حين أن الامالي التي سبقته اقتصرت على ذكر الحديث غالباً"[4].

---

(١) محمد أبو الفضل ابراهيم: مقدمة أمالي المرتضى، ج١ ص٢٠.

(٢) ن. م، ج١ ص١٨.

(٣) ن. م، ج١ ص١٨.

(٤) الفياض: مقالة في مجلة الايمان، ص١٤٢.

٤-كتاب "أمالي الشيخ الطوسي"، وهو لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام ٤٦٠ هـ، والكتاب عبارة عن مجالس عقدت في مشهد الامام علي بن أبي طالب عليه السلام في مدينة المنجف الاشرف وهي تدل على انتظام الوضع الدراسي، واحياء الحركة العلمية والفكرية التي كان يقودها الشيخ الطوسي من جديد في النجف الاشرف، بعد النكسة التي أصابتها في حوادث بغداد عام ٤٤٨هـ.

ويبدو أن الشيخ الطوسي قد أملى على طلابه في النجف، وكان من ضمنهم ولده أبو علي الذي قام بدوره في أملائها على تلاميذه فيما بعد "فرويت عن مؤلفها بواسطته، ولايمنع ذلك ان يوجد من شارك أبا علي في السماع من أبيه الشيخ الطوسي تلك الامالي، الا ان الذي حدث بها عن المؤلف هو ولده أبو علي فحسب"[(١)]، ويقول السيد الامين: "ان الامالي المتداول هو للشيخ الطوسي لا لولده فان كان يوجد أمال أخرى لولده كما يدعيه صاحب البحار فذاك والا فهذا المتداول لا علاقة للمترجم – يعني أبا علي الطوسي – به الا أنه يرويه عن أبيه"[(٢)] .

---

(١) الخرسان/ مقدمة أمالي الصدوق، ص٣٧.

(٢) الامين: أعيان الشيعة، ج٢٣، ص١٠١.

ان "أمالي الشيخ الطوسي" على قسمين، الأول منها يشتمل على ثمانية عشر جزء، تبتدئ جميعها بالشيخ أبي علي الطوسي، وهي مؤرخة بالشهر والسنة، عدا الجزء الرابع[1] والثالث عشر[2] والثامن عشر[3] والأجزاء الثمانية عشرة هذه لم يذكر فيها الشيخ الطوسي أيام الاملاء من الأسبوع، وانما يكتفي بذكر الشهر والسنة، عدا الجزء الخامس، الذي أملاه في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة سبع وخمسين وأربعمائة[4]. ومن الملاحظ في هذه الأجزاء - هو ان الجزء السادس أملاه الشيخ الطوسي في ذي القعدة من عام ٤٥٥ هـ[5]، في حين ان الجزء الخامس الذي سبقه قد أملاه عام ٤٥٧هـ[6]، بدليل ان الجزء السابع قد أملاه في المحرم من عام ٤٥٦ هـ[7]، والأجزاء التالية تأخذ بالتعاقب الزمني. ولعل هذا ناتج عن وقوع سهو في التاريخ عند استنتساخ الكتاب عند توالي الزمن.

أما القسم الثاني من "أمالي الشيخ الطوسي"، فهو مرتب على المجالس، حيث ابتدأ المجلس الأول في يوم الجمعة المصادف لليوم الرابع من المحرم من

---

(١) الطوسي: الأمالي، ج١ ص٩٤.
(٢) ن. م ج١ ص٣٧٢.
(٣) ن. م، ج٢ ص١١٣.
(٤) ن. م، ج١ ص١٢١.
(٥) ن.م، ج١، ص١٥٠.
(٦) ن. م، ج١ ص١٢١.
(٧) ن. م، ج١ ص١٨٢.

عام ٤٥٧هـ[١]، وهكذا تستمر بقية المجالس بالانعقاد في أيام الجمع، وهذه الميزة يمكن ملاحظتها في هذه الأمالي، وهو طابع الاستمرارية في الالقاء، وتعيين يوم الجمعة موعداً للامالي، ويختم الشيخ الطوسي أماليه بمجلس أطلق عليه مجلس يوم التروية من عام ٤٥٨هـ[٢] وتبلغ عدد مجالس القسم الثاني من أمالي الشيخ الطوسي، سبعة وعشرين مجلساً، يؤرخ فيها اليوم والشهر والسنة.

استغرق املاء كتاب "الأمالي" للشيخ الطوسي، مدة ثلاث سنوات حيث أنه أملى الجزء الأول من القسم الأول في شهر ربيع الأول من عام ٤٥٥هـ[٣]، وختم المجلس السابع والعشرين من القسم الثاني في يوم الجمعة السادس من صفر عام ٤٥٨هـ[٤]. وتبلغ مجموع الأمالي للقسمين خمسة وأربعين مجلساً. ويقول الشيخ الطهراني نقلاً عن السيد ابن طاووس: بأن الشيخ الطوسي أملى تمام السبعة والعشرين جزءاً على ولده الشيخ ابي علي، وكلها بخط الشيخ حسين بن رطبة وغيره ، الا ان الثمانية عشر جزءاً منها ظهرت للناس أولاً برواية الشيخ أبي علي والبقية الى تمام السبعة والعشرين جزءاً رواها أيضاً الشيخ أبو علي للناس بعد الأولى بعين ما أملاه والده عليه في مجالس كل يوم، ولم يصدر المجالس باسم الشيخ أبي علي

---

(١) الطوسي: الامالي، ج٢ ص٢٤٥.

(٢) ن. م، ج٢ ص٣٤٥.

(٣) ن.م، ج١ ص٢.

(٤) ن. م، ج٢ ص٣٤٣.

فظهر ان تلك المجالس المطبوعة التي تنتهي الى خمسة واربعين مجلساً كلها من املاء الشيخ لولده أغلبها في سنة ٤٥٧هـ، وفي أول كل مجلس يقول حدثنا محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، فقائله هو الشيخ أبو علي ابن الشيخ الطوسي، ثم الشيخ يروي عن مشايخه ابن الغضائري أو ابن عبدون أو ابن شاذان أو ابن الصلت أو غيرهم،[1].

تضم "أمالي الشيخ الطوسي" طائفة مختارة من الأحاديث النبوية الشريفة، وجانباً من السيرة المحمدية، وروايات عن الأئمة عليهم السلام، وأدعية مأثورة، وقد حظى التأريخ فيها بمكان ملحوظ، حيث تناول الشيخ الطوسي بعض الحوادث التأريخية بالتفصيل، وهذه ميزة اختص بها كتاب "أمالي الشيخ الطوسي" دون سواه من كتب الأمالي التي سبقته، كامالي الشيخ الصدوق، وأمالي استاذيه، الشيخ المفيد والشريف المرتضى.

---

(١) الطهراني: الذريعة، ج٢ ص٣١٣.

القسم الرابع: بغداد في ذكرى ابي العلاء المعري

ان ابا العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان المعري (٣٦٣-٤٤٩هـ) شخصية فكرية متعددة الجوانب. فهو بحق كما وصفه الباحثون[١]:

((فيلسوف الشعراء وشاعر الفلاسفة)) وقد حاولت في هذه الدراسة، اقتناص جانب واحد من مسيرة حياة ابي العلاء المعري ، الا وهي التي قضاها في مدينة بغداد ، وما تركت هذا المدينة العريقة في الحضارة والعلم والفكر والمعرفة من اثر بارز ظهر واضحاً في شعره ونثره ، كما ويعطي هذا الجانب صورة وضاءة لمدينة بغداد في عصرها العلمي الذهبي في القرن الرابع الهجري ، وارجو قد ساهمت – وان كان بالقدر القليل – الى احياء جانب من حياة ابي العلاء المعري العلمية ، والى ابراز دور مدينة بغداد الفكري في المدة التي قضى فيها ابو العلاء جانباً من حياته فيها . ولما كان ابو العلاء المعري غنياً عن التعريف في علمه وادبه وفكره ، واصالة رأيه، ونفاذ بصيرته ولما كانت مدينة بغداد بلدة شامخة في العلم والحضارة اعرضت عن سرد سيرة ابي العلاء ، لان هناك من سبقني الى دراستها بشكل مستفيض، وقد قيض تبارك وتعالى له عدداً من الباحثين والناقدين من يكشف و مكنوناته ، ويستقصي مآثره ، تلك الدراسات التي اطلقت عليها الاستاذة الدكتورة بنت الشاطئ لفظ:[٢]

---

(١) فيليب حتي : تاريخ العرب ٥٥١/٢

(٢) بنت الشاطئ : ابو العلاء المعري ص ٢٤٩

وبهذا الدراسات احتل ابو العلاء المعري مكانته العلمية والفكرية في تاريخ العلم والفكر.

اما مدينة بغداد فهي اشهر من ان تعرف وحسبنا ما قدمة ابو بكر احمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣ هـ) من دراسة موسوعة في كتابة الكبير ((تاريخ بغداد او مدينة السلام)) وما اعقبة المؤرخون من كتابة ذيول وتتمات عليه .

وقد حاولت استلال بغداد من ذاكرة ابي العلاء المعري ، كما حددتها مؤلفاته ورسائله الى الذين التقاهم بمدينة بغداد ، وفي دور علمها ومؤسساتها الفكرية والثقافية.

الحياة العلمية في بغداد

في عصر ابي العلاء المعري

تميز القرن الرابع الهجري بظاهرة حضارية وفكرية تتمثل بسيطرة العقل على الساحة الثقافية ، فقد بذل العلماء العرب والمسلمون جهوداً مكثفة في سبيل تطور الفكر العربي الاسلامي ، لان المجتمع يومذاك قد خطا خطوات واسعة في مضمار التقدم الفكري ، ولذا عد ذلك القرن من ازهى العهود الفكرية والثقافية في بغداد ، نتيجة لاطلاق الحريات الدينية والفكرية والقلمية .[١] ولاشك ان الحرية اذا ما اطلقت لذوي المواهب والاقلام ،

---

(١) مصطفى جواد : ابو جعفر النقيب ص ٥

فانها تؤدي بدورها الى ازدهار العلوم ازدهاراً سريعاً ، فاذا اضفنا الى هذا الجانب بروز جمهرة كبيرة من النحويين والبلاغيين والمؤرخين والفلاسفة والفقهاء والاصوليين ، عرفنا السر في كثرة من نبغ في مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي من الاعلام .

في هذا الجو الفكري، والانفتاح الذهني ، الذي عاشته مدينة بغداد ، اصبح رجال العلم والفكر في مأمن من الاضطرابات والصراعت والفتن ، مما حدا بالمؤرخ مسكويه الى القول .[1]

((فعاشت العلوم فكانت مواتاً ، وتراجع اهلها وكانوا اشتاتاً ، ورغب الاحداث في التأدب ، والشيوخ في التأديب ، وانبعثت القرائح ، ونفقت اسواق الفضل وكانت كاسدة)).

وفي هذا المناخ العلمي الذي عاش فيه العلماء والمفكرون ، وجدوا حرية نسبية ، انتهج فيه بعض الحاكمين سياسة توفيقية بين الميول والاتجاهات ، وهم بذلك يحققون رضا العامة والخاصة من الناس ، ما دام السبيل اليه لا يكلفهم عناً كثيرا و فأُصبحت مدينة بغداد قبلة العالم الاسلامي ، ومحط انظاره ، فقصدها العلماء من كل حدب وصوب ، فالهجرة في طلب العلم كانت امراً مالوفاً ، وكان العلماء في اغلب الاحيان يتجهون الى بغداد لاكمال دراساتهم بوصفها عاصمة الخلافة وحاضرة الفكر ، وقد اجمل المؤرخ اليعقوبي وصف بغداد ، وبيان مكانتها الفكرية بالقول :[2]

---

(١) مسكويه:تجارب الامم ٤٠٨/٦

(٢) اليعقوبي :البلدان ص٣- ص٤

((وذكرت بغداد لانها وسط العراق ، والمدينة العظمى التي ليس لها نظير في مشارق الارض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة وكثرة مياه ، وصحة هواء ، ولانه سكنها من اصناف الناس واهل الامصار والكور ، انتقل اليها من جميع الاقطار القاصية والدانية وآثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم، فليس من اهل البلد الاولهم فيها محلة ومتجر ومتصرف ، فاجتمع بها ماليس في مدينة في الدنيا)).

وكانت مدينة بغداد – في عصر ابي العلاء وقبله – قد زخرت بالمعاهد والمدارس ودور العلم ، وعرفت بين الامصار العربية الاسلامية بمكانتها العلمية والحضارية ، وهذا الخاصية قد اجتذبت اليها الشاعر العربي الكبير ابا العلاء المعري الذي كتب ذكرياته عنها برسائله المتبادلة مع اصدقائه ومحبيه في بغداد بعد رحيله عنها ، ويبدي بها تشوقه الى الاجواء العلمية التي خبرها في ((مدينة السلام)) مدة مكوثه فيها ، ولاسيما دور العلم ، وخزائن الكتب ، تلك المؤسسات الثقافية التي احتضنتها مدينة بغدا د على مدى اجيال من الزمن ، وبخاصة في القرون الرابع والخامس والسادس من الهجرة ، حيث اضطلعت بمهمة انعاش الحركة الفكرية ، وتيسير التحصيل العلمي لذوي المواهب ، وكانت من ابرز المؤسسات العلمية ، ((دار العلم)) التي تأسست عام ٣٨١هـ ،لاهل العلم والمعرفة ، وقد حملت اليها الكتب من كل فن ، واوقفت عليها الوقوف ، وكانت هذه الدار ملتقى رجال العلم والفكر والادب ، ومنتدى العلماء والباحثين ، وقد ذكرها ابو العلاء المعري كثيراً في شعره ونثره ، وكان المؤرخ البغدادي ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ) قد ذكر موقع ((دار العلم)) من محال بغداد بقوله : انها تقع في محلة بين السورين ، في الجانب الغربي من بغداد ، وكانت تحتوي على

خزانه كبيرة للكتب.[1] وقد اختار مؤسس هذه الدار ((منطقة الكرخ)) لانها كانت من احسن محال بغداد واعمرها . [2] وكانت تضم منازل العلماء، وتحتوي ازقتها على خزائن الكتب، والى هذا المعنى يشير ابن الجوزي:[3]

((ففي الكرخ منازل عجيبة ، بديعة البناء ، وفيها درب الزعفران ، وفيه الدار العجيبة ، ودرب رباح ، وشارع ابن ابي عوف ، وباب محول ، وكان بسور الحلاويين خزانة كتب فيها اثنا عشر الف مجلد)).

ولهذا نجد ابا العلاء المعري يختار منطقة الكرخ من مدينة بغداد مسكناً له ، واحب اهلها حباً جماً ، افصحت عنه رسائله ، فيقول :[4]

((ولا سكنت بلداً غير الكرخ))

وتذهب بعض المصادر التاريخيه الى اعطاء مؤسسة ((دار العلم)) صفة التعليم العالي ، يقول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : ان مؤسس دار العلم الوزير سابور بن اردشير ، نقل الى هذا الدار كتباً كثيرة ، ووقفها على الفقهاء ، وكانت قبل المدرسة النظامية بمدة طويلة .[5] ومن خلال هذا النص الذي اورده ابن كثير والذي قارن فيه مؤسسة ((دار العلم)) بالمدرسة ((النظامية)) التي انشئت في بغداد عام ٤٥٩ هـ ، نتعرف على صفة دار العلم الاكاديمية ، ومما يؤيد ذلك ان ياقوت الحموي اورد نصاً عن

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ١٧٢/٧، ٨ / ٢٢ ، ٢٠٥

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٧٩٩/١

(٣) ابن الجوزي: مناقب بغداد ٢٧- ٢٨

(٤) ابو العلاء : الرسائل ص ٤٠

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ١١/ ٣١٢ ، انظر الذهبي : دول الاسلام ٢٣٤/١

دار العلم دون ان يشير الى مؤسسها فيقول:[1] ((ان ابن فضال المجاشعي المغربي كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد)).

ومن المحتمل ان دار العلم التي عناها ياقوت الحموي هي ((دار العلم السابورية)) التي اسهمت في التعليم في الوقت الذي اخذ فيه العلم ينتقل من المساجد الى المؤسسات الجديدة من امثال دور الكتب ، ودور العلم ، وكانت هذه الدار قد قصدها العلماء والمفكرون وطلبة العلم ولاسيما ابو العلاء المعري .

وأنشاء الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩ -٤٠٦) داراً للعلم في بغداد ، وقد وفر لطلابها جميع ما يحتاجون اليه .[2] وقد كانت دار العلم ، ودراسة وسكن ، زيادة على ماكانت مخازنها توفره للطلبة من احتياجاتهم المادية اليومية ، يقول مارجيلوث:ان الشريف الرضي اتخذ بيتاً خاصاً ، يجتمع فيه الدارسون والمعجبون .[3] وكان من حرص الشريف الرضي على العلم وطلبته ، ان جعل لكل طالب مفتاحاً لخزانة الزيت ياخذ منها ما يحتاج اليه للسراج ، ولا ينتظر خازن الدار .[4] وكانت هذه الدار تضم خزانة كتب كبيرة ، منظمة تنظيماً حسناً .

---

(١) ياقوت الحموي : معجم الادباء ٩٨/١٤

(٢) ادم متز : الحضارة الاسلامية ٣١٢/١

(٣) Litters of Abnl Ala .P.XX111

(٤) ابن عنبه : عمدة الطالب ص ١٩٨

وكان الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦) يمتلك مكتبة كبيرة عامرة تحتوي على ثمانين الف مجلد . [١] : وقد ذكرها ابو القاسم التنوخي في معرض حديثة عن الشريف المرتضى بالقول [٢]:

((حصرنا كتبه فوجدناها ثمانين الف مجلد من مصنفاته و محفوظاته ومفرداته)).

وكانت مكتبة الشريف المرتضى ملتقى العلماء والادباء والمفكرين والباحثين ، اضافه الى كونها دار علم ومناظرة كما وصفها ابن حجر في كتابه ((لسان الميزان)) [٣] . وقد بلغ من اهتمامات الشريف المرتضى بالعلم ، والحفاظ على استمرارية الحركة الفكرية في بغداد ، انه اوقف قرية على ((كاغد الفقهاء))[٤] .

ولكن على الرغم من اهتمامات الشريف الرضي والمرتضى بالعلم والعلماء ، وحرصهما الشديد على تنمية الحياة العلمية و الفكرية في مدينة بغداد ، واحتضانهما الباحثين والمفكرين ، لم تحدثنا المصادر عن تردد الشاعر ابي العلاء المعري الى دور علمهما ومكتبتهما ، على الرغم من اشتهارهما في الاوساط الاجتماعية والعلمية ، غير انه كان يحضر مجلس الشريف المرتضى ، الذي جرى فيه جدل وحوار بين ابي العلاء والشريف المرتضى في بعض المسائل الكلامية ، كما ان اثار ابي العلاء لم تشر الى

---

(١) ابن عنبه : عمدة الطالب ص ١٩٥

(٢) الحسيني : الدرجات الرفيعة ص ٤٦٣

(٣) ابن حجر : لسان الميزان ٤/ ٢٢٣

(٤) الافندي : رياض العلماء ٣/ ورقة ٣٣٢

مؤسستي الشريفين ، ولعل هذا الاحجام ناتج عن سوء العلاقة بين ابي العلاء والشريف المرتضى كما اشارت الى ذلك بعض المصادر .

وكان ابو العلاء المعري يختلف الى مجالس النظر والجدل في مدينة بغداد، وكانت تلك المجالس منتديات يلتقي فيها المفكرون من مختلف القوميات والاجناس والمذاهب ، ممن يقصدون مدينة بغداد لارتشاف نمير العلم والمعرفة و الادب ، فقد كان الاتقياء من الناس ، ولاسيما ذوي اليسار والجاه العريض ، وعشاق العلم والمعرفة في بغداد ، يشيدون المؤسسات العلمية والفكرية من دور علم ، وخزائن كتب ، ونحو ذلك ، ويوقفون عليها الوقوف من عقارات وبساتين لسد احتياجاتها ، وقد كان بعض الباحثين والمؤلفين يهدون مصنفاتهم الى هذه المؤسسات العلمية، وتشير بعض المصادر الى ان محمد بن هلال بن المحسن الصابي (ت ٤٨٠ هـ) قد انشأ دار كتب في مدينة بغداد ، ووقف عليها نحواً من اربعمائة مجلد في فنون العلوم ، ورتب عليها خازناً.[١] وكان سبب بناء الصابي ((دار الكتب)) هو حرصة الشديد على استمرارية الحركة العلمية في بغداد ، حيث ساءه احتراق ((دار العلم)) عام ٤٥١ هـ ، ونهبت اكثر محتوياتها، فبعثه الخوف على فقدان العلم ، فاوقف خزانة كتبه المذكورة .[٢]

ويبدو انه كان في مدينة بغداد ، ولاسيما في القرنين الرابع والخامس الهجريين مكتبات عامرة كثيرة ، بعضها عامة - كما ذكرنا - وبعضها خاصة، وهي كائنة في بيوت العلماء والمفكرين ، وكان بعض العلماء اذا دخل مدينة بغداد مهاجراً ، يحمل معه كتبه فهذا ابو يوسف القزويني

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٩/٤٢-٤٣

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ٨ / ٢١٦

المعتزلي (ت ٤٨٨ هـ) دخل مدينة بغداد ، وكان معه عشرة جمال عليها كتب ، ولما اراد البرقاني (ت٤٢٥ هـ) ان ينتقل احتاج الى ستين من الاعدال ، والى صندوقين ليحمل فيها كتبه عند انتقاله .[١]

وتضم بعض المشاهد والمراقد في بغداد ، في اروقتها خزائن كتب ، باعتبارها مقاصد دينية للناس ، يؤمها العدد الكبير ، لاسيما في المناسبات الدينية ، فقد اوقف ابن جزلة الطبيب قبيل وفاته جميع كتبه ، في مشهد الامام ابي حنيفة النعمان بن ثابت .[٢]

ولم ينس ابو العلاء المعري مؤسسات مدينة بغداد العلمية ، ومجالس النظر والجدل ، فقد وصف العراقيين بالقول: [٣]

((مجتمع اهل الجدل وموطن بقية السلف))

وقد لعبت هذا المجالس دوراً مهماً في بلورة الفكر العربي الاسلامي اذ كانت تعرض فيها وجهات نظر متباينة ، تعتمد على العقل والمنطق والدليل، طريقة للاقناع والحجة ، فقد ناظر الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣ هـ) ، القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥ هـ) ، وابا بكر الباقلاني (ت٤٠٣ هـ) كما ناظر القاضي ابو الطيب الطبري ، ابا الحسن الطالقاني قاضي مدينة بلخ . ولعل من اروع المناظرات التي حدثت في مدينة بغداد كانت بين الشيخ المفيد وعلي بن عيسى الرماني بشأن بعض

---

(١) ادم متز : الحضارة الاسلامية ١ /٣٠٩

(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣ / ٢٥٦

(٣) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص٩١

الاحداث التاريخية ، هي ((اخبار رواية ام دراية))[1] وكان الشيخ المفيد قد اثبت في كتابه ((الفصول المختارة)) جانباً من المناظرات الفكرية في مدينة بغداد ، وهي تكشف عن الحرية الفكرية القائمة يومذاك . كما تشير المصادر الى مناظرة جدلية حصلت بين الشريف المرتضى وابي العلاء المعري حول بعض المفاهيم الفلسفية.

وقد لعبت بيوت بعض العلماء دوراً فكرياً فكانت تثار فيها ادق المسائل الكلامية والفلسفية والعقائدية ، كبيت محمد بن طاهر السجستاني . وبيت الشيخ المفيد ، الذي وصف بانه مجلس نظر يحضره العلماء كافة من مختلف الطوائف. [2] وبيت الشيخ الطوسي ابي جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ) الذي كان مكاناً للدرس والمناظرة .[3]

ولكن هذا الازدهار الفكري والعلمي الذي هيمن على مدينة بغداد ، كانت له في بعض الاحيان ردود فعل مضادة من قبل بعض المتشددين والمتعصبين الذين استغلوا بعض الظروف ، والاجواء الخاصة لحمل السلطة على التراجع عن هذا الانفتاح لصالح الحرية الفكرية السائدة ، ومن ثم اصبح رجال العلم الذين يدرسون العلوم العقلية الى جانب العلوم الشرعية في خطر ماحق ، فقد عدهم هولاء خطراً على الدين ، فاخذوا يضطهدونهم ويطاردونهم ، ولعل ابا العلاء المعري واحد من هولاء ، فقد

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٤/١٢

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨/ ١٢

(٣) حسن الحكيم : الشيخ الطوسي ص ٧٤ – ص ٧٥

شعر بخطورة مثل هذا الاجواء الشاذة في بعض الاحيان ، وآثر العزلة ، وقد اشار الى هذه الظاهرة بالقول :[1]

((ان اخترت عزلة تجعلني من الناس كبارح الاروى من سانح النعام))

ويمكن القول ان الصراعات السياسية والاجتماعية التي عصفت بمدينة بغداد في القرن الرابع الهجري ، لعبت في بعض الاحيان دوراً في عرقلة مسيرة الحركة الفكرية ، ومن هنا يمكننا القول :ان العصر الذي عاشه ابو العلاء المعري وكانت تتقاذفه تيارات فكرية وسياسية وجتماعية مختلفة ، ولكن السمة البارزة فية هو الصراع ((العباسي – الفاطمي)) والصراع ((العقلاني – السلفي)) . وعلى الرغم من اتساع الهوة بين هذه الاطراف، ولد اثاراً سلبية على المجتمع ، غير ان الفكر العربي الاسلامي - عموماً – كان في نمو وازدهار ، وان كانت تنتابه في بعض الاحيان نوبات ركود ، بيد اننا لم نجد في اثار ابي العلاء المعري اشارة الى مضايقات فكرية في اثناء وجوده في مدينة بغداد ، واذا درسنا كتاب ((تاريخ بغداد)) لابي بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) والذيول التي صنفت عليه فيما بعد، نجد انعكاساً للنشاط العلمي والفكري لمدينة بغداد وتكشف التراجم المودعة فية اتصال بغداد العلمي باقطار العالمين العربي و الاسلامي .

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٥٤٧

بغداد في رسائل ابي العلاء المعري

كشفت رسائل ابي العلاء المعري وآثاره جانباً من الحركة الفكرية التي عاشتها مدينة بغداد في عصرها الذهبي العلمي ، كما كشفت عن خصائص المجتمع البغدادي ، فابو العلاء مدة مكوثه في بغداد ، واحتكاكه برجالها قد اطلع على بعض العادات والتقاليد البغدادية ، وقد بقيت تلك الذكريات عالقة في ذهنه ، تمازج احساساته النفسية بعد عودته الى معرة النعمان ، وقد لازم منزله ، وشرع في الكتابة والتصنيف ، واخذ عنه الناس بعض المعارف، وسار اليه الطلبة ، حتى كتب بعضهم تصانيفه من غير اجرة ، وذلك عام ٤٠٠ هـ .[١] وهكذا عوضت الاحساسات السمعية هذا المفكر الكبير ، بعد فقدانه حاسة البصر ، عن طريق اتصالاته الفكرية والعقلية ، سواء في بغداد او معرة النعمان ، فالمصادر تحدثنا انه قد قرئ عليه كتابه ((سقط الزند)) بمدينة بغداد .[٢] وقد شكك الدكتور طه حسين بهذا النص فيقول : انه يحتاج الى شيء من الرؤية . فان سقط الزند لم يجمع ولم يصر كتاباً ، الا بعد رجوع صاحبه من بغداد ، وفي هذا الديوان قصائد هي الجياد الغر لم ينظمهن الشاعر الا في عزلته ، كرثائه لامه ، وكالقصائد التي بعث بها الى اهل العراق ، فلعل البغداديين قد رووا عنه ماكان قد نظم من الشعر في شبيبته ، وليس ذلك بالشيء الكبير .[٣] والدكتور طه حسين كثيراً ما جعل الشك اساس اليقين ، فهو يرى ان الظن لايغني عن الحق شيئاً .

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٣٢

(٢) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٥٠

(٣) ن . م

ان ابا العلاء المعري دخل مدينة بغداد عام ٣٩٩ هـ على راي الكثير من المؤلفين . الا ان ابن خلكان جعل لابي العلاء رحلتين الى بغداد ، الاولى عام ٣٩٨ هـ ، والثانية عام ٣٩٩ هـ . [١] ولم نجد في آثار ابي العلاء ما يؤكد ذلك . وقد حاولت الدكتورة بنت الشاطئ ان توفق بين ماذكره ابن خلكان وغيره من المؤرخين ، بعد ان تطرقت لاراء ابن الانباري ، وياقوت الحموي ، والصفدي ، وابن حجر الذين حددوا رحلة ابي العلاء الى بغداد عام ٣٩٨ هـ ، وراي ابن العديم القائل انه ((رحلة الى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ، ودخلها سنة تسع وتسعين)) نقول : فيكون الاولون قد حددوا الرحلة بوقت بدئها من المعرة ، وحددها الاخرون بعام وصوله الى بغداد .[٢]

اما سبب رحلة ابي العلاء المعري الى بغداد ، فاننا ام نجد تعليلا لها في المصادر التي تطرقت الى حياة ابي العلاء ، سوى ابن العديم الذي يقول :

((لم يرحل لطلب دنيا ولا رفد))

وقد استشهد بابيات لابي العلاء منها :

ااخواننا بين الفرات وجلق	يد الله لاخبرتكم بمحال
انبئكم اني على العهد سالم	ووجهي لما يتذل بسؤال
واني تيممت العراق لغير ما	تيممه غيلان عند بلال
فاصبحت محسوداً بفضلي وحده	على بعد انصاري وقلة مالي

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان ١/ ١٤٤

(٢) بنت الشاطئ : ابو العلاء ص ٩٠ ـص ٩١ ، انظر المكي : نزهة الجليس ١/ ٤٢١

ولعل مافي طبع ابي العلاء المعري من الانفة ، منعه من ان يحصل رزقه في مدينة بغداد بطريقة المداحين المستجدين من الشعراء ، ولما كان المال ليس هو الهدف كما تؤكد ذلك ابيات ابي العلاء ، فاذاً لابد ان يكون العلم هو هدفه الاسمى ، وأمله المنشود، فهو لم يترك داراً من دور العلم ببغداد الا ولجه ، ولا مجلساً من مجالس الادب والمناظرة ، الا حضره ، ويقول ابو الفداء: ان ابا العلاء اثر الاقامة بمدينة بغداد مدة سنة وسبعة اشهر ، واستفادة من علمائها . [1] وقد اجتمع بالشريفين الرضي والمرتضى ، والقاضي ابي القاسم التنوخي وغيرهم ، ويقول الدكتور فيليب حتي : ان ابا العلاء قد اخذ ببعض اراء اخوان الصفا ، واراء هندية الاصل ، [2] ومن المحتمل ان ابا العلاء كان تواقاً لدراسة الاراء الفلسفية عند اصحاب المذاهب الكلامية في بغداد ، فقد كان يحضر المجتمع الفلسفي الخاص الذي كان يأتلف يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري ، واليه تشير قصيدته التي بعثها اليه منها :

تهيج اشواقي عروبة انها　　　اليك ذوتني عن حضور بمجمع

وكان هذا المجمع الذي سماه ((اخوان الصفا)) لشيوع هذا اللفظ بين الناس في ذلك العصر ، ودلالته الخاصة على جماعة فلسفية تشترك في الاغراض والاراء ، وذلك حيث يقول : [3]

كم بلدة فارقتها ومعاشر　　　يذرون من اسف عليّ دموعا
واذا اضاعتني الخطوب فلن ارى　　　لوداد اخوان الصفاء مضيعا

---

(١) ابو الفداء : المختصر في اخبار البشر ٢/ ١٧٦
(٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ٢ / ٥٥١
(٣) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص١٥١

خاللت توديع الاصادق للنـــوى فمتى اودع خلي التوديعــــــا

لقد احب ابو العلاء المعري مدينة بغداد واهلها ، وكشفت رسائله واثاره عن ذلك الحب ، غير انه في الوقت ذاته لم يطل المقام ببغداد ، ففارقها على الرغم ارتياحه واطلاعه على دور العلم ، وخزائن الكتب ، ولم نجد تبريراً لهذه العجالة من رحيله عن بغداد ، سوى مضايقة الحساد والمتطفلين له ، ممن نغصوا عليه عيشه ، وكدروا حياته ، بعد سماعه بعض الكلمات الخشنة القارصة كما تشير بعض المصادر، بانه لما قدم مدينة بغداد، دخل على علي بن عيسى الربعي ، احد ائمة النحو وحذاقهم ، ليقرأ عليه شيئاً من النحو ، قال له الربعي :ليصعد الاصطبل .[1] أي الاعمى بلهجة اهل الشام ، فعندما سمعها ابو العلاء ، انصرف مغضباً ، ولم يعد لمجلس ابى الحسن الربعي مرة اخرى ، وربما ان لفظة ((الاعمى)) قد جرحته ، واثارت شعوره .

وتشير بعض المصادر الى ان الشريف المرتضى قد نعت ابا العلاء بلفظ ((الاعمى)) عند مجادلته بشأن الشاعر المتنبي .[2]- وسوف نتعرض لهذه المسالة في مكان لاحق من هذا البحث – وقد ادت تلك المجادلة الى قطيعة بين الطرفين ، ومن المحتمل ان ابا العلاء المعري قد احس بالاهانة عندما اراد بعض البغداديين امتحانه، فاحضر دستور الخراج الذي في الديوان وجعلوا يوردون ذلك عليه مياوحة ، وهو يسمع ، الى ان فرغوا ، فابتدأ

---

(١) ذهب اللغويون الى ان كلمة ((الاصطبل)) معربة عن الارامية . الزبيدي : تاج العروس ٧/ ٢٠٨ ، دوزي: تكملة المعاجم العربية ١/ ١٤٨

(٢)ابراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط ١/ ١٩

ابو العلاء وسرد عليهم كل ما اوردوه عليه .[1] وهو على الرغم من اجتياز الامتحان بنجاح ، واقرار البغداديين له ، بانه اعجوبة زمانه في الحفظ وشهدوا شاعراً اصيلاً مبدعاً [2] ، على الرغم من كل ذلك ، رايناه يشد الرحال الى مسقط رأسه عام ٤٠٠ هـ ، وبينما هو يتهيأ للسفر ، وصلته انباء مرض والدته التي ماتت بعد ذلك قبل ان يدركها ، وقد ترك موتها في نفسه اثراً عميقاً بلغ معه تشاؤمه الذروة ، ومن الجدير بالذكر ان والدته منعته من السفر الى مدينة بغداد بادئ الامر ، فلما افهمها اغراضه قبلت منه واعانته ، ولعل هذه الحادثة كانت من اسباب اعتزاله الناس ، ولزومه البيت حتى سمى نفسه : ((رهين المحبسين)) وهو يعني منزله وبصره. [3]

ولكننا نحن لم نجد ابا العلاء المعري يكشف في رسائله وشعره هذه المضايقات التي اعترضته في مدينة بغداد ، والتي عجلت في عودته الى معرة النعمان ، بقدر حبه بغداد ، وثنائه على اهلها ، وان كان يفصح عن حنين عميق لمسقط راسه ، وربما جاء هذا الحنين – ان صح القول نتيجة تلك المضايقات فيقول :

فيا برق ليس الكرخ داري وانما ... رماني اليه الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرة ... تغيث بها ظمآن ليس بسال

وقد اراد ابو العلاء ان يقول : لاتحسب ايها البرق اني اتخذت الكرخ داراً، ورضيته لنفسي قراراً ، وانما انا مزمع للرحيل منه ، متوجع لفراق الشام ، غير سال عنه ، وكان ماء المعرة الذي يتمناه ابو العلاء ،ويتشوق

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٢٢٦

(٢) بنت الشاطئ : ابو العلاء ص ١٠٦

(٣) ابن حجر : لسان الميزان ١/ ٢٠٤

اليه، انما هو ماء ابار لايقاس الى مافي دجلة من عذب سلسبيل [1] وتشير بعض ابياته الى ما يشبه الحنق على بغداد ، لانه كان يمني نفسه باشياء يجدها فيها ، لكنه لم يحصل على ما يروم فيقول :[2]

بغداد لا سقيت ربوعك ديمة   وغدت رياضك حنظلاً ومراراً
انت العروس يروق ظاهر امرها   وتكون شيفافي اليقين وعارا
اضرمت قلبي باجتذابك ماجداً   كالسيف اعجب رونقاً وغرارا
منيته محضاً فلماشفه   ظمأ اتاك به سقيت مرارا
وجلبته فنحاك يعتسف الردى   ويخوض منه لجة وغمارا

وحفظ لنا ابو العلاء المعري في ديوانه ((اللزوميات))بعض الابيات التي تعبر عن سخطه على بعض البغداديين من جهة ، وعلى مدحهم وثنائه عليهم من جهة اخرى ، ففي معرض الذم يقول :

مالي وللنفر الذين عهدتهم   بالكرخ من شاش ومن يلاق
حلق مجادلة كشرب مهلهل   شربوا على رغم بكاس ملاق

ولكن ابا العلاء في الوقت نفسه لم ينس مجتمع بغداد ، وما قدموه من مساعدة ، فقد شكر لهم ذلك ، واظهر تولعه بهم عندما ارخ رحيله عن مدينة بغداد ، وقد ضمن تاريخه اهات وحسرات فيقول : [3]

((سرت عن بغداد لست بقيت من شهر رمضان سيراً تخط ابله ، وتئط نسوعه ، وتوقع الغرق سفنه ، يرد الماشي الرجيل فيه ، ان بعض الركب ،

---

(١) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٥٧
(٢) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٥٤٥
(٣) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٩٠

ولو كانوا ركبان الجذوع ، وانه انتقل ولو باديم الوجه والجبين . واضطجع وله على القصد والشبهات ، عند الصباح يحمد القوم السرى)).

وهذا ناتج من تردده على مكتبات بغداد ، ودور علمها . واجتماعاته برجالها ومفكريها ، وانتهاله من علومها بشغف وشوق ، نجده يكتب الى ابي عمرو الاسترابادي في امر شرح السيرافي فيقول : [١]

((اذا كانت عند طلاب العلم بمدينة السلام كشجر العرى لا يسقط ورقه ، والماء الصري لا يؤمن شرقه ، لا سيما من جمع نور الاداب من كل هضب وعواب ، كان ايسر من عنائه في ذلك ، قذف الشرح في سيح ، حتى يعشب خد شريح)).

وقد انشده قصيدة خاطب بها القاضي التنوخي ، علي بن ابي علي المحسن بن علي (٣٥٥ -٤٤٧هـ) جاء فيها :[٢]

هات الحديث عن الزوراء او هيتا	وموقد النار لاتكرى بتكريتا
ليست كنار عدي نار عادية	باتت تشب على ايدي مصاليتا
لنا ببغداد من نهوى تحيته	فان تحملتها عنا فحييتا
اجمع غرئب ازهار تمر بها	من مشئم وعراقي اذا جيتا
الى التنوخي واساله اخوته	فقبله بالكرام العز اخيتا
فذا لك الشيخ علماً والفتى كرماً	تلفية ازهار بالنعتين منعوتا
يا ابن المحسن ما انسيت مكرمة	فاذكر مودتنا ان كنت انسيتا
لست الكليم وفي دار مباركة	حللت والجانب الغربي نوديتا

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٩٥

(٢) ابو العلاء : سقط الزند ص ١٧٨ – ص ١٨٠

وكان ابو العلاء المعري قد انشد هذه الابيات مخاطباً بها ابا القاسم التنوخي ، وقد حمل اليه وهو ببغداد جزءاً من شعر تنوخ ، فخلفه عند عبد السلام البصري [١] وقد شبه القاضي التنوخي بنبي الله موسى عليه السلام، في بعض الاوجه فيقول : [٢]

((انت وان لم تكن موسى الكليم ، فقد حللت في دار مباركة ، كما حل ، ونوديت من الجانب الغربي كما نودي)) وانما قال هذا ابو العلاء لان ابن المحسن التنوخي ، كان يسكن في الجانب الغربي من مدينة بغداد ، وذكر نداء موسى من الجانب الغربي ، كقوله تعالى : ((وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر)) [٣] ويبدو ان مشاعر المعري كانت متضاربة و متعارضة تجاه بغداد تبعاً لما لقيه فيها من خير او شر ، وتبعاً لما يعتمل في نفسه من ذكريات مُرّة ، او حلوة ، وخاصة ان ابا العلاء عرف عنه ذلك القلق الفكري ، والاضطراب النفسي الذي جعلة يعتزل الناس ،ولكن حلاوة بغداد تبرز في اثاره اكثر من مرارتها ، ومحاسنها كانت تغطي على معايبها ، وقد تركت في نفسه اثاراً راسخة عميقة في احساسه ، فهو يتذكر ماء دجلة العذب ، الذي جعله لا يتذوق غيره فيقول :[٤]

سقياً لدجلة والدنيا مفرقة ... حتى يعود اجتماع النجم تشتيتا
وبعدها لا اريد الشرب من نهر ... كانما انا من اصحاب طالوتا

وهو بذلك يقول :

---

(١) ابو العلاء : شروح سقط الزند ٤ / ١٥٥٣
(٢) ن . م : ٤ / ١٥٩٢
(٣) القصص : ٤٤
(٤) ابو العلاء : شروح سقط الزند ٤ / ١٥٩٩

((قد حرمت على نفسي الشرب من غير دجلة ، كما حرم طالوت على اصحابه الشرب من النهر الذي ابتلاهم الله به))

وبقيت اجواء مدينة بغداد باقية في اعماق ابي العلاء ، وذكرياته مخزونة من احساساته ، بعد ان غادرها الى المعرة فيقول :

رحلت لم ات فرواشاً ازاوله ... ولا المهذب ابغي النيل تقويتا
والموت احسن بالنفس التي الفت ... عز القناعة من ان تسال القوتا

وقد احتل عدد من العلماء والمفكرين البغداديين من قلب ابي العلاء المعري موضعاً ، واخذ يتذكرهم في شعره ورسائله ، ومن هؤلاء عبد السلام بن الحسين البصري ، الذي ذكره في اكثر من موضع ، يقول :

اهدي السلام الى عبد السلام فما ... يزال قلبي اليه الدهر ملفوتا
سالته قبل يوم السير مبعثه ... اليك ديوان تيم الله ماليتا

ويقول ايضاً :

تحية تسري في الثناء وتبع ... لربعك لا ارضى تحية اربع
امير المغاني لم تزالي اميرة ... به للغواني في مصيف ومربع

اما العلاقة بين ابي العلاء المعري وبين القاضي التنوخي فكانت وثيقة ومتينة ، اذ فضله على بقية علماء عصره الذين التقى بهم في مدينة بغداد، وتبرز هذه الحقيقة من خلال قصائده ، ولعل السبب يعود الى الخدمة الجليلة التي قدمها التنوخي له في اثناء مكوثه في بغداد ، او نتيجة لانتماء كل منهما الى قبيلة تنوخ العربية ، يقول :

لـولا مـساعيك لم نعـدد مـساعينا ولم نـسام باحكـام العـلاء مـضرا
اذاكـر انـت عـصراً مـر عـنـدك لـي فـليس مثلـي بنـاس ذلـك العـصرا
ايـــام واصـــلتني وداً وتكرمـــة وبالقطيعــة داري تحـضر النهـــر ا
وصفت في الوارد المأمول تهنئـــة وجاء كالنجم اسقينا به المطـــــرا

وفي هـذه الابيـات ذكـر ابـو العـلاء علاقتـه الوثيقـة والحميمـة بالقاضـي التنوخي اولاً ، وحدد موضع داره التي كان يسكنها في مدينة بغـداد ثانياً ، فهو قد ذكر((القطيعة)) و ((النهر)) وقد اراد بهما : قطيعة الربيع ، ونهر القلائين كما يقول التبريزي .[1]

ونجد من خلال رسائل ابي العلاء اعجاباً بمدينة بغـداد ، فكـان يتـذكر اجواءها العلمية ، ومحافلها الفكرية ، ومنتدياتها الادبية ، ومجالسها العـامرة، يقول:

((ووجت العلم ببغداد اكثر من الحـصى ، عنـد جمهـرة العقبـة ، وارخـص من الصيحاني بالجابرة ،[2] وامكن مكن الماء غضارة و واقرب من الجريد باليمامة ، ولكن على كل خير وصانع ، ودون كل درة خرسـاء موحيـة ، او خضراء طامية)) ولم يجد ابـو العـلاء بـديلاً عـن بغـداد ، باعتبارهـا كعبـة العلم والادب ، وموئل العلماء والادباء، يقول :[3]

---

(١) ابو العلاء : شروح سقط الزند ٤ / ١٦٩٧

(٢) يقصد هنا جمرات المناسك ، والصيحاني : نوع من تمر المدينة ، والجابرة : اسم لمدينة طيبة ، والدرة : اللؤلؤة الخرساء

(٣) ابو العلاء : الرسائل ص ٧٤

((وقد كنت عرفته ، ان من رحل عن بغداد لم يجد عوضاً ، وان وجد محلاً مروضاً ، لان غابر العلم بها غريض ، وصحيح الادب في سواها مريض)) .

وكان قد انشد قصيدة عن رحيله عن مدينة بغداد مودعاً اياها ، يقول:[1]

نبي من الغربان ليس على الشرع يخبرنا ان الشعوب الى صدع
اصدقه في مرية ، وقد امترت صحابة موسى بعد اياته التسع

ثم يقول :

اودعكم يا اهل بغداد والحشا على زفرات مايفين من اللذع
وداع ضني لم يستقل وانما تحاميل من بعد العثار على ظلع
اذا اط نسع قلت والدوم كاربي اجدكم ولما تفهموا طرب النسع
فبئس البديل الشام منكم واهله على انهم قومي وبينهم ربعي
الازودوني شربة ولو انني قدرت اذ افنيت دجلة بالجرع
واني لنا من ماء دجلة نغبة على الخمس من بعد المفاوز والربع
وسامرة الاطراف يجني سرابها فتصلب حرباء برياً على جذع

وقد ختم ابو العلاء قصيدته بالقول :

لبست حداداً بعدكم كل ليلة من الدهر لا الغر الحسان ولاالدرع
اظن الليالي وهي خون غوادر بردي الى بغداد ضيقة الذرع
وكان اختياري ان اموت لديكم حميداً فما الفيت ذلك في الوسع

---

(١) ابو العلاء : ديوان سقط الزند ص ١٥٨ ـ ص ١٦٢

فليت حمامي حام لي في بلادكم   وجالت رماحي في رياحكم المسع
وليت خلاصاً ملعراق خلعتني   جعلن ، ولم يفعلن ذاك من الخلع
فدونكم خفض الحياة فاننا   نصبنا المطايا بالفلاة على القطع
تعجلت ان لم اثن جهدي عليكم   سحاب الرزايا وهي صائبة الوضع

ويعقب الدكتور طه حسين على رحيل ابي العلاء عن مدينة بغداد وما تركه هذا الرحيل من الم ممض بالقول:[1]

((لم يمنعه ان يحزن على بغداد حين فارقها حزناً اشد منه اثراً في النفس ، وابقى منه ندوباً في القلب ، حزناً الزمه طول حياته ، ولم تسله عنه فلسفته ولا حكمته ، ولم يرحل عنه استهزاؤه بالدنيا ، واطمئنانه الى احكام القضاء ، بل نطق به نثره ونظمه ، وظهره في نشوة الفلسفي فقال في اللزوميات :

يا لهف نفسي على اني رجعت   هذي البلاد ولم اهلك ببغدادا

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ : بل انه ودع بغداد ، وداع محزون لفراقها في قصيدة انشدها وهو في بغداد . تهنئة بمولود لصديقه ابي القاسم بن القاضي التنوخي ، يقول :[2]

ولو لا ماتكلفنا الليالي   لطال القول واتصل الروي
اذا نأت العراق بنا المطايا   فلا كنا وكان المطي
على الدنيا السلام فما حياة   اذا فارقتكم الا نعي

---

(١) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص١٥٨
(٢) بنت الشاطئ : ابو العلاء المعري ص١١٢- ص١١٣

ومن قصيدته لابي علي النهاوندي (محمد بن محمد بن قورجة) وهو بمدينة بغداد :

كفى بشحوب اوجهنا دليلا ... على ازماعنا عنك الرحيلا
ابت صنفا النواعب من نياق ... وطير ، ان نقيم وان تقيلا

وتبرز في رسائل ابي العلاء المعري التي بعثها الى اهل معرة النعمان من مدينة بغداد صورة حية لذلك الحب ، وافصاحاً عن تلك المشاعر يقول:(١)

((بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب الى السكن المقيم بالمعرة شملهم الله بالسعادة . من احمد بن عبد الله بن سليمان ، خص به من عرفه وادناه ، سلم الله الجماعة ولا اسلمها ، ولم شعثها ، ولا المها ، اما الان فهذه مناجاتي اياهم ، منصرفي عن العراق ، مجتمع اهل الجدل ، وموطن بقية السلف ، بعد ان قضيت الحداثة فانقضت ، وودعت الشبيبة فمضت وجلبت الدهر اشطره ، وجربت خيره وشره ، فوجدت اوفق ما اصنعه ايام الحياة عزلة تجعلني من الناس كبارح الاروى من سانح النعام)).

ويفسر بعض الباحثين لفظ ((المناجاة)) الواردة في رسالة ابي العلاء بلفظ ((النجوى)) التي يطلقها الفاطميون اصطلاحاً على مايؤخذ من المستجيب ، وان ابا العلاء المعري بموجب هذا يكون فاطمي المذهب والعقيدة ، وقد جاء الى بغداد للكشف عن احوال الدعوة الفاطمية فيها ، وقد اتصل بجماعة اخوان الصفا (٢) ، وذهب اخرون الى القول : ان ابا العلاء قد اخذ ببعض الاراء الهندية الاصل . ولعل هذا الراي هو اقرب الى

---

(١) ابو العلاء : الرسائل ص ٨١
(٢) مارون عبود : ابو العلاء زوبعة الدهور ص ٧٠

مزاج ابي العلاء الفكري كما توضحه رسائله ، اذ كان يتخذ من العقل طريقاً وهادياً له ، ومن التشاؤم والشك منهجاً .[1]

ويمضي ابو العلاء المعري يكشف في شعره ونثره نظراته الدفينة عن مدينة بغداد ، فيكتب الى اهله يقول :

وانـي تيممـت العـراق لغيرمـا تيممـه غـيلان عنـد بـلال
فاصبحت محسوداً بفضلي وحده علـى بعـد انـصاري وقلـة مـالي

وهو عند مغادرته لمدينة بغداد ، كتب رسالة اوضح فيها شعوره عند الرحيل يقول :[2]

((ورعاية الله شاملة ، لمن عرفته ببغداد فلقد افردوني بحسن المعاملة، واثنوا عليّ في الغيبة ، واكرموني دون النظراء والطبقة ، ولما انسوا تشميري للرحيل ،واحسو بتاهبي للضعن اظهروا كسوف البال، وقالوا من جميل كل مقال ، وتلفعوا من الاسف ببرد قشيب ، وذرفت عيون اشباح شيب ، فلا اله الا الله ، أي نابتة ، ليست لها راعية ، لا تخلو فاغية .[3] من سائغة و ولا تعدم الخرقاء ثلة ، ولا الثقال سائقة ، ولا السمجة قانية ، وامروني لرغبتهم في صقبي منهم بامور ، تنتهي عنها القناعة ، وتكشف دونها العادة، وما ابعد نضاد من جبال الضريب .[4] واشد اختلاف الغائر والمنجدين :

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ٢ / ٥٥١
(٢) ابو العلاء : الرسائل ص ٧٦ – ص ٧٨
(٣) الفاغية : زهر الحناء
(٤) نضاد : جبل بالعالية ، والضريب : الثلج

شـتان مـايومي علـى كورهـا ويـوم حيـان اخـي جـابر
على حين اذ ذكيت وابيض مفرقي اسـام الـذي اعييـت اذ انـا امـرد
امـادي مـا يغـني الثـراء عـن الفتـى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

والله يحسن جزاءهم ، ان كان ما فعلوه حفاظاً فهو منه عظيمة ، وان كان نفاقاً فهو عشرة جميلة ، وانصرفت وماء وجهي في سقاء غير سرب ، ما ارقت منه قطرة في طلب ادب ولا مال ، وقد فارقت العشرين من العمر ما احدثت نفسي باحتذاء علم من عراقي ولا شام ، من يهد الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلن يجد له ولياً مرشداً)).

ومن شدة تعلق ابي العلاء المعري بالبغداديين، كان يكرر عبارة . ((ويحسن الله جزائهم)) ، وهذا من باب الاعتراف بالجميل ، يقول :(١)

((ويحسن جزاء البغداديين ، فلقد وصفوني بما لا استحق ، وشهدوا لي بالفضيلة على غير علم ، وعرضوا عليّ اموالهم عرض الجد ، فصادفوني غير جذل بالصفات ، ولا هش الى معرفة الاقوام ، ورحلت وهم لرحيلي كارهون)) .

وقد انشد ابو العلاء في البغداديين ، قوله :(٢)

واجـار اهلـك في المعـاد فـانهم اوفـى الخلائـق ذمـة وجـوارا
لـولاك ماخطـت البريـة عيـه واثـرت مـن ذاك الحزيـز غبـارا

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٩٢
(٢) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٥٤٥

وكتب ابو العلاء الى خاله ابي القاسم علي بن سبيكة عند طلوعه من العراق ، ووجد امه قد فارقت الحياة ، ولم يعلم بها قبل مقدمه ، ووصف برسالته مدينة بغداد بالقول :

((ووجت بغداد كجناح الاخيل ، حسن وليس فيه ما حمل))

وانشد قائلاً :

ان العـراق لاهلـي لم يكـن وطنـاً	والبـاب دون ابي غـسان مـسدود
فـانم القتـود علـى عيرانـه اجـد	صـرية محظتهـا غرسـها الـصيد

ويقول ايضاً :

كـم دون مية من مـستعمل قـذف	ومـن فـلاة بهـا تـستودع العـيس
حنت الى نخلة القصوى فقلت لها	بـل حـرام الا تلـك الـدهاريس
امـي شـامية اذ لا عـراق لنـا	قومـاً تـودهم اذ قومنـا شـوس

وبقيت في ذهن ابي العلاء عند مكوثه في مدينة بغداد ، بعض العادات الاجتماعية ، والتقاليد البغدادية ، وا شار الى موقف اهالي بغداد من الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ) بعد ان تحدث عنه ، وما نسيت اليه من امور يقول :

((وفي الصوفية الى اليوم من يرفع شأنه ، ويجعل مع النجم مكانه ، وبلغني ان ببغداد قوماً ينتظرون خروجه ، وانهم يقفون بحيث صلب على دجلة يتوقعون ظهوره)) .

ولم ينس ابو العلاء بعض المناطق والطرقات التي مر بها في مدينة بغداد ، وقد بقيت عالقة في ذهنه ، وهذا ناتج عن ذكاء مفرط ، وذاكرة

قوية ، على الرغم من حرمانه نعمة البصر ، تذكر انه مر وهو في اثناء طريقه الى بغداد ، وهو راكب على جمل بشجرة فقيل له ، طأطىء راسك ففعل، وبعد عودته اجتاز ذلك الموضع ، وقد قطعت تلك الشجرة ، فطاطى ابو العلاء راسه ، فسئل عن ذلك فقال : ((هاهنا شجرة)) فقيل له : ما هاهنا شيء، فقال : بلى ، فحفروا ذلك الموضع ، فوجدوا اصلها .(١)

وتعقب الدكتورة بنت الشاطئ على هذه الحكاية فتقول : فان صح هذا الخبر ، فهذا هو يفعل من تلقاء نفسه ، فيسمع ان الشجرة قد اجتثت من موضعها . وما عاد الى ان يحترس .(٢)

ويذكر ابو القاسم عبيد الله بن علي الرقي : اخذ ابو العلاء المعري ، وهو في بغداد يوماً يدي فغمزها ، ثم قال لي : يا ابا القاسم هذا بلد عظيم لا يأتي عليك يوم وانت به الا رايت فيه من اهل الفضل من لم تره فيما تقدم .(٣)

علاقات ابي العلاء

بالشريفين الرضي والمرتضى

لاشك في ان السيدين الرضي (ت ٤٠٦ هـ) والمرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، قد بلغا مكانة فكرية واجتماعية كبيرة في عصرهما ، سواء على الصعيد الاجتماعي او الحكومي او الفكري ، فقد كانا من قمم الفكر والعلم ، طبقت شهرتهما الافاق ، وطرقت اسماع ابي العلاء المعري ، في الوقت

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٢٢٧

(٢) بنت الشاطئ : ابو العلاء ص ١٢٠

(٣) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١/ ٤٩ – ٥٠ ، ابن الجوزي : المنتظم ٨ / ورقة ٤٠أ

التي وصلت الى مدينة بغداد اخبار ابي العلاء ، قبل ان تطأ اقدامه ارض العراق، فلابد ان يكون اللقاء بين ابي العلاء وبين الشريفين حاراً يليق بمكانه ، ولكن الامر كما يبدو من بعض النصوص التي دونت هذا اللقاء ، كان على العكس ، وما يعضد ذلك ان ابا العلاء المعري لم يذكر الشريفين الرضي والمرتضى في رسائله وآثاره ، في حين انه كان يتحرق شوقاً الى لقاء غيرهما من العلماء والمفكرين الذين التقى بهم في بغداد بعد رحيله عنها ، فضلاً عن ان المصادر لم تذكر ان ابا العلاء قد استفاد من مؤسسة ((دار العلم)) العائدة للشريف الرضي ومن المكتبة الكبيرة العائدة للشريف المرتضى. والتي كانت تضم اكثر من ثمانين الف مجلد ، ولكن من المعروف ان ابا العلاء قد اجتمع بالشريفين وتناظر معهما في بعض المسائل الفلسفية ، وقد شهدا بفضله وفطنته وفرط ذكائه . (١)

وكانت بعض المصادر تورد نصوصاً توضح العلاقة القلقة والسيئة بين ابي العلاء المعري وبعض المترددين على مجلس الشريفين ، وتشير الى انه اتفق يوم وصول ابي العلاء الى مدينة بغداد ، موت الشريف الطاهر ابي احمد الحسين بن موسى والد الشريفين (الرضي و المرتضى) ، فدخل ابو العلاء الى مجلس العزاء ، وكان غاصاً بالناس ، فتخطى الجميع فقال له بعضهم : ((الى اين ياكلب)) . فاجابه ابو العلاء بالقول : ((الكلب من لا يعرف للكلب كذا كذا اسماً)) ثم جلس في اخريات المجلس ، الى ان قام الشعراء ، وانشدوا قصائدهم في رثاء الشريف الطاهر ابي احمد الموسوي ، وبعدهم تقدم ابو العلاء ، وانشد قصيدة التي مطلعها :

اودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٣١

فلما اتم ابو العلاء قصيدته ، قام اليه الشريفان ، ورفعا مجلسه وقالا له : لعلك ابو العلاء المعري ، قال : نعم ، فاكرماه واحترماه .[1]

ان الذي نراه في هذه الحادثة انها من الموضوعات ، ومن نسج الخيال - وان كانت جائزة في حد ذاتها - لان مجلساً بغدادياً يضم علية القوم من قادة العلم ، ورجال الفكر ، في عصر غلبت عليه سمة الوقار ، واحترام العلماء، لا يمكن ان تصدر فيه مثل هذا الهنات التي تمثل السواد من الناس، ثم مالذي فعله ابو العلاء حتى يجابه مثل هذا الجفاف والغلظة . ومما يشابه هذه الحادثة في الوضع ، ان ابا العلاء دخل يوماً الى مجلس الشريف المرتضى ، فعثر باحد الجالسين ، فقال من هذا الكلب ؟ فقال ابو العلاء : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً .[2] ونحن نستبعد من ابي العلاء المعري خلقه هذه في رده على ذلك الجالس في مجلس كبير وعظيم، في الروايتين المذكورتين ، ومن نقاط الضعف التي تحيط بالروايتين، هو عدم معرفة الشريفين بابي العلاء ، الابعد سماعهما شعره في رثاء ابيهما. ولكننا نميل الى حقيقة الصراع بين ابي العلاء والشريف المرتضى بصورة خاصة ، وذلك لتعصب ابي العلاء للشاعر المتنبي ، وكان يراه ((اشعر الشعراء)) وقد فضله على بشار بن برد ، ومن جاء بعده كابي نواس وابي تمام ، وكان الشريف المرتضى ينتقص من شعر المتنبي ، ويتتبع عيوبه ، وقد اخذ ابو العلاء يكيل المديح والثناء للمتنبي في مجلس الشريف المرتضى، حتى انه قال: لو لم يكن من شعره الا قصيدته التي يقول فيها :

((لك يا منازل في القلوب منازل))

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٢٢٣

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ٣ / ٩٨

لكفاه فضلاً . فلما سمع الشريف المرتضى هذا القول ، غضب وامر بابي العلاء ان يسحب من المجلس ، فسحب من رجله ، والتفت الشريف المرتضى الى الحاضرين قائلاً : اتدرون أي شيء اراد الاعمى بذكر هذه القصيدة ؟ فان للمتنبي ما هو أجود منها ، ولم يذكرها ، فقيل : النقيب اعرف ، فقال : اراد بقوله : [(1)]

واذا اتتك مذمتي من ناقص　　　فهي الشهادة لي باني كامل

ونحن في الوقت التي نميل الى حقيقة اختلاف الراي بين ابي العلاء والشريف المرتضى حول شاعرية المتنبي ، لكننا نستبعد ان يعامل الشريف المرتضى ، ابا العلاء المعري بهذه الخشونة ، وا ن كان التعصب للمتنبي ، والتعصب عليه ، قد يجر – في بعض الاحيان – الى الخصومة بين الشعراء والمفكرين ويقول الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ((نحن لاننكر تعصب ابي العلاء للمتنبي ، ولا تعصب الشريف عليه ، فكلاهما معروف بذلك ، ولا نستنكر على ابي العلاء المعري هذه الايماءة اللاذعة وعلى الشريف المرتضى تلك الانتباهة الخاطفة الفارعة ، ولكن الذي لا نراه يستق ومجرى الصلة بين الرجلين ، مع جواز ان يغضب المرتضى في نفسه – ان يأمر باخراج مناظره من مجلسه ، وان تتزيد بعض الروايات على ذلك فتقول : فسحب برجله واخرج . ويؤكد الدكتور محيي الدين تشككه حتى في قصيدة رثاء ابي العلاء للشريف للطاهر الموسوي والد الشريفين ، فانه ارسلها بعد عودته ، من مدينة بغداد ، فيقول : ((وجدنا ابا العلاء الطريد من مجلس الشريف على زعم الاخباريين ، بعد تسعة اعوام من عودته الى المعرة

---

(1) ياقوت الحموي : معجم الادباء ١ / ١٧٠ ، اليافعي : مراة الجنان ٣ / ٦٨ ، الصفدي: الوافي بالوفيات ٣ /٩٨ ، السيوطي : بغية الوعاة ١ / ٣١٦

لاينسى فضل هذا البيت ، ولا فضل الشريفين خاصة ، فبعث اليهم ، عند وفاة والدهما (ابي احمد) مواسياً معزياً ، بقصيدة من غرر ما في ديوانة (سقط الزند) ولا يفوته ان يسترد الى مدح المرتضى وولده ، بما يدل على كرم شيم ، ونبل نفس ، وان يستمد عذراً له مما تقدم من شعر في التعزية هو دون اهل هذا البيت مقاماً ومنزلة . (١)

اودى فيلت الحادثات كفاف   مال المسيف وعنبر المستاف
الطاهر الاباء والابناء والا   داب والاشواف والا لاف

ويذهب بعض الباحثين الى القول : ان ابا العلاء المعري كان من المختصين بخصيص اكرام الشريف المرتضى، ومسيس انعامه. (٢) واذا تاكدت هذا العلاقة الحميمة ، فانها لم تمنع مايدور بين الاثنين من مناظرات و مجادلات ومحاجات ، فابو العلاء كان يميل نحو العقل والنظر الفلسفي والنقدي الى الكون والحياة والدين والميعاد ، وان ايمان ابي العلاء بالله وسبيله العقل ، فهو يثبت وجود الله تبارك وتعالى ببراهين الفلاسفة ، فكل ما في الكون شاهد على وجوده وهذا الاعتماد على العقل جعله ينكر بعض القضايا الغيبية كقوله: (٣)

عاشوا كما عاش اباء لهم سلفوا   واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فيما يراعون ما قالوا وماسمعوا   ولا يالون من غي لمن سجدوا

---

(١) محيي الدين : ادب المرتضى ص ٩٢

(٢) الخوانساري ، روضات الجنات ١ / ٢٦٥

(٣) جورج غريب : العصر العباسي ص ٢٥٩

واذا صح الحوار الفلسفي بين الشريف المرتضى وابي العلاء المعري ، فان ذلك يعني وجود خلاف فكري عميق بينهما ، وبذلك يفسر اعراض ابي العلاء عن الاشارة الى الشريفين المرتضى و الرضى في رسائله وشعره اسوء بمن ذكرهم من العلماء . فتشير بعض المصادر الى ان ابا العلاء دخل على الشريف المرتضى فقال له :

((ايها السيد ماقولك في الكل)) فاجابه الشريف المرتضى ((ما قولك في الجزء)) .

وهكذا بدأ الحوار بين الشريف المرتضى وابي العلاء المعري ، حتى انبرى الشريف المرتضى بالقول : ((الاكل ملحد ملهد)) فقال ابو العلاء : من اين اخذته ؟ قال الشريف المرتضى : من كتاب الله عزه وجل ، قال الله تعالى : ((يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم)) . [1]

ويقول الدكتور محيي الدين : ان هذه المحاورة سيقت للتدليل على الحاد ابي العلاء ، ضمن الكتب الكلامية المعنية بهذ القضايا ،ومع انه لا يوجد ما يمنع من وقوع هذه المحاورة لمشاركة الشريف المرتضى وابي العلاء المعري في القضاية الفلكية ، ولان الحوار جرى فيها باسلوب مهذب ، لكنني غير مطمئن الى صحة نسبتها لانها لم ترد ضمن فهرست كتبه الذي احتوى مؤلفاته جميعاً .[2]

(١) لقمان : ١٣

(٢) محيي الدين : ادب المرتضى ٩٧

وتدل المحاور الفقهية بين الشر يف المرتضى وابي العلاء المعري على ذكائهما اولاً . والى اعطاء صورة لها بعض الدلالة على الحاد ابي العلاء ، وهي تتعلق بحد السارق المقرر في الشريعة الاسلامية ، يقول ابو العلاء:[1]

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض مالنا الا السكوت له ... وان نعوذ بمولانا من النار

وقد رد عليه الشريف المرتضى قائلاً :

صيانة النفس اغلتها وارخصها ... خيانة المال فانظر حكمة الباري

والذي يبدو لي ان ابا العلاء المعري على ثقافته الموسوعية ليس جاهلاً بالحكم الشرعي ، ولا بنصوص القران الكريم ، وانما اراد في البيتين المذكورين من قبيل تجاهل العارف ، وفي سبيل جر الشريف المرتضى وغيره للرد عليه ، وقد تنجلي ازاء ذلك بعض الشبهات .

وكان بعض الباحثين قد عد سبب التحامل على ابي العلاء الى حسد الحساد ، وحقد الحاقدين ، وخليق بمثله ان يكون حسوداً ، ثم لم يسلم ان يتلقاه بعض الناس بما يكره ، اما لخطأ منه ، او لحسد من خصومه.[2] لان مجلس الشريف المرتضى كان يضم رجال الفكر والعلم . وتثار فيه المسائل الادبية ، والفقهية ، والكلامية ، وغيرها ، وان ابا العلاء المعري كان من رواده يوم حضوره الى بغداد ، وان طرائف من الجدل والحوار الادبي كان بينه وبين الشريف المرتضى ، وان ابا اسحاق الصابي ، وعثمان بن جني

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٤١٨

(٢) ن . م ص ١٣٥

كانا يلازمان مجلسه. [1] ولعل مقامه الرفيع هذا جعله غرضاً للحساد ، وقد اشار الى هذه الظاهرة بقوله :

فاصبحت محسوداً بفضلي كله　　　على بعد انصاري وقلة مالي

ومن المحتمل ان ابا العلاء قد اثاره بعض البغداديين ، مما جعله يعجل بالعودة الى معرة النعمان والنار تكوي احشاءه ، فحاول ان يشكر بعض الناس ، و يوجه نقداً لاذعاً الى عادات وأخلاق آخرين مؤرثاً للنار التي اوقدها اعداؤه حوله . [2]

---

(١) محيي الدين : ادب المرتضى ص ١٢٢

(٢) زكي المحاسني : ابو العلاء ناقد المجتمع ص ٩٥

ابو العلاء المعري في دار العلم

اتخذا ابو العلاء المعري من مؤسسة ((دار العلم)) التي اسسها الوزير سابور بن اردشير في بغداد معتكفاً له ، لما كانت تضم من مصنفات قديمة بعضها بخطوط اصحابها ، وقد قال عنها ياقوت الحموي :

((لم تكن في الدنيا احسن كتباً منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة، واصولها المحررة)) [١]

وكانت هذا المكتبة تضم عشرة الاف مجلد ، ووقف عليها مؤسسها الوقوف ، [٢] في سبيل بقائها واستمراريتها ، وقد اختار محلة بين السورين في الجانب الغربي من بغداد ، مقراً لها ، ومن الجدير بالذكر ان منطقة الكرخ من بغداد كانت من احسن المحال واعمرها ، [٣] وقد اشار ابو العلاء الى ذلك القول : [٤]

مالي وللنفر الذي عهدتم ... بالكرخ من شاش ومن ايلاف

وقد ذهب بعض المعاصرين الى ان ((دار العلم)) هذه تحمل صفة ((الاكاديمية)) ، [٥] باعتبارها مؤسسة فكرية يجتمع فيها الباحثون من كل مكان ، ويقصدونها من كل البلدان ، وقد اوضح ابو العلاء سبب مجيئه الى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ١ / ٧٩٩ ، انظر الجندي : الجامع في اخبار ابي العلاء ١ / ٢٠٨

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ / ٢٢

(٣) ياقوت / معجم البلدان ١ / ٧٩٩

(٤) ابو العلاء : لزوم مالايلزم (اللزوميات) ٢ / ٢١٢

(٥) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ، تسترشين : دائرة المعارف الاسلامية ١١ / ٢٥

بغداد ، لاجل زيارة هذه الدار ، والارتشاف من علوم خزانتها ، والالتقاء يراودها ، يقول :[1]

((والذي اقدمني تلك البلاد مكان دار الكتب بها :

ولست ان احببت من يسكن الغضا   بـاول راج حاجـة لاينـا لهـا

شـرفاً لـذلك المنـزل منـزلاً ، وللسـاكنين بـه نفـراً ، ولمـاء دجلـة واديـاً ومشرباً.

وانـي وتهيـامي بعـزة بعـد مـا   تخليـت مـن حبـل الهـوى وتخلـت
لكـالمرتجي ظـل الغمامـة كلمـا   تبـوأ منهـا للمقيـل اضـمحلت

وكنـت اذ خبـرت رجـلاً بمسيري بانـت فيـه كآبـة وبـدت عليـه كبـوة ، فكتمـت ذلـك عنهم كتمان المراة ضرتها بالغيب ، مـافي جسدها مـن سـوء وعيب ، فلما علق حرباء البين تنضبته ووقف ضرد الفراق موقفه ، كنت واياهم كابي قابوس وبني رواحة :

قـال لهـم خـيراً واثنـى علـيهم   وودعهـم وداعـاً ان لا تلاقيـا

وكانت تعرض على ابي العلاء المعري، وهـو في مدينة بغـداد ، الكتـب المودعة في خزائنها ، وجعـل لا يقـراء عليه كتـاب الا حفـظ جميع مـا يقـراء عليه .[2] حتى انه شغف بـدار العلـم شغفاً كبيراً ، ووقـع في حـب الـذين يشرفون عليها يقول :[3]

---

(١) ابو العلاء : الرسائل ص ٧٨ – ص ٧٩

(٢) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٢٢٤

(٣) ابو العلاء : سقط الزند ص ٥٤٥

شغفاً بدار العلم فيك وقلبه ... مازال ربعاً للعلوم ودارا
ما زدت عما عنده فسقاك من ... رفع السماء نقيصة وعثارا
واجار اهلك في المعاد فانهم ... اوفى الخلائق ذمة وجوارا
لولاك ما خطت البدية عيه ... واشرف من ذاك الجزيز غبارا

وبقى ابو العلاء في اشتياق لدار العلم بعد رحيله عن بغداد ، ولم يلفت نظره شيء في هذا المدينة عدا مؤسساتها الفكرية ، وما تضم من علم وعلماء كقوله :[1] ((معرس معشر))

وقد عنى ابو العلاء اولئك النفر من العلماء الذين التقى بهم في مدينة بغداد ، وفي دار العلم على وجهه الخصوص ، يقول :[2]

لمن جيرة سيموا النوال فلم ينطوا ... يظللهم ماظل ينبته الخط
رجوت لهم ان يقربوا فتباعدوا ... وان لا يشطوا بالمزار فقد شطوا
يمانون احياناً ، شآمون تارة ... يعالون عن غور العراق لينحطوا
بنازلة سقط العقيق بمثلها ... دعا ادمع الكندي في الدمن السقط
ولي حاجة عند العراق واهله ... فان تقضياها فالجزاء هو الشرط
سلا علماء الجانبين وفتية ... ابنوهما حتى مفارقهم الشمط
اعندهم علو السلو لسائل ... به الركب لم يعرف اماكنه قط
وما اربي الا معرس معشر ... هم الناس، لاسوق العروس ولا الشط
وما سار بي الا الذي قد عزا دماً ... وهواء حتى ادك الشرف الهبط

---

(١) ابو العلاء : شروح سقط الزند ٤ / ١٦٣١ – ١٦٣٢

(٢) ابو العلاء : سقط الزند ص ١٨٢ – ص ١٨٤

وكان ابو العلاء المعري قد عرف محتويات ((دار العلم)) وما فيها من كتب الادب والشعر ، والعلوم الاخرى ، وما كانه فيها من منتسبين قد تذوقوا حلاوة العلم ، يقول [١]

((كنت بمدينة السلام فشاهدت بعض الوراقين يسأل عن قافية عدي بن زيد التي مطلعها :

بكر العاذلات في غلس الصبح يعاتبنه اما تستفيق
وداعاً بالصبوح فجراً فجاءت قينة في يمينها ابريق

وزعم الوراق ان ابن حاجب النعمان (ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم) سأل عن هذا القصيدة ، وقلبت في نسخ من ديوان عدي فلم توجد ، ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من اهل استراباد يقرأ هذه القافية في ديوان العبادي ، ولم تكن في النسخة التي في دار العلم .[٢]

وبقيت تلك الصفوة المختارة من المثقفين الذين جمعتهم ((دار العلم)) ومنتدياتها الفكرية ، واما سيها العامرة في نفس ابي العلاء ، فكتب بعد سفره من بغداد الى ابي بكر محمد بن احمد الصابوني البغدادي يقول:[٣]

((وشوقي اليه ، والى الجماعة الذي عرفتهم بمدينة السلام كالنسيم لايجمد ، ونار فارس ليست تخمد))

---

(١) ابو العلاء : رسالة الغفران ص ١٣٩

(٢) ابو العلاء : رسالة الغفران ص ١٣٩

(٣) ابو العلاء : سقط الزند ص ١٨٥

وقد اوضح ابو العلاء المعري تعلقه الشديد باهل دار العلم وخازنها ، يقول :[1]

اخازن دار العلم كم من تنوفة   اتت دوننا فيها العوازف واللغط
ومحواة ارض سد محواة بعدها   وحي المنايا من اساورها نشط

ثم يقول :

وقد طرحت حول الفرات جرانها   الى نيل مصر فالوساع بها تقطو
فوارس طعانون مازال للقنا   مع الشيب يوماً في عوارضهم وخط

وكان ابو العلاء قد عنى بخازن ((دار العلم)) في هذا الابيات هو ((الهلال بن المحسن الصابي)) الذي كان شيخ مدينة بغداد في عصره على حد تعبير شراح كتاب ((سقط الزند)) [2] . ولكن بعض المصادر تشير الا ان الهلال الصابي قد تولى وظيفة ((دار الانشاء)) الذي كتب في اثناء تولية هذه الوظيفة كتاب ((رسوم دار الخلافة)) [3] ولم يشير ابو العلاء في رسائله التي بعثها الى خزان ((دار العلم)) الى هلال الصابي ، ولكنه اشار الى ابي منصور الخازن (محمد بن علي بن اسحاق بن يوسف المتوفي عام ٤١٨ هـ) يقول : [4]

((لقد طربت من اللوعة لا من الجذل ، حتى قال ابو العذل ، امن جهل ام حلم ، طربك الى دار العلم)) .

(١) ابو العلاء : سقط الزند ص ١٨٥
(٢) شروح سقط الزند ٤ / ١٦٣٣
(٣) الصابي : رسوم دار الخلافة ص ٣ – ص ٤
(٤) ابو العلاء : الرسائل (الرسالة التاسعة عشرة)

فوا الله ما ادري اذا ما ذكرتها اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

واوضح ابو العلاء في احدى رسائله ، مشاهداته في ((دار العلم)) تلك المشاهدات السمعية التي كشفت عن محتويات هذه الدار ، ومنتسبيها ، اذ انه لم يغفل ذكر الفتاة السوداء ، التي كانت تعير الكتب للقرء ، فقال عن لسانها : [1]

((انا توفيق السوداء التي كانت تخدم في دار العلم ببغداد على زمان ابي منصور محمد بن علي الخازن ، وكنت اخرج الكتب الى النساخ)) .

ثم اردف ابو العلاء قائلاً :

((لا اله الا الله ، لقد كنت سوداء ، فصرت انصع من الكافور ، وان شئت القافور ، فنقول من هذا ، والشاعر يقول لبعض المخلوقين :

لو ان نوره مثقال خردلة في السود كلهم لا ابيضت السود

وبقيت اصداء ((دار العلم)) ترن في اذن ابي العلاء ، ولم ينس اصداء تلك القينة التي سمعها في احدى الاماسي يقول :[2]

وغنت لنا في دار سابور قينة من الورق مطراب الا صائل ميهال
رات زهراً غضا فهاجت بمزهر مثانية احشاء لطفن واوصال
فقلت تغني كيف شئت فانما غناؤك عندي ياحمامة اعوال

وكان المقصود بهذا القينة ((حمامة سمعها تهدل على شجرة مزهرة من اشجار دار العلم المذكورة)) .[1]

---

(١) ابو العلاء : رسالة الغفران ص ٢٧٩

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٨ / ١٨٤ ، ابو الفداء : المختصر ٢ / ١٧٦

وقد قال عنها انها ((تطرب بالعشيات)) . [٢]

ويبدو ان علاقة ابي العلاء كانت وثيقة بالخازن ابي منصور ، فقد اشار الى هذا العلاقة بقوله :[٣]

((ولكن اثرت الاقامة بدار العلم ، فشاهدت انفس مكان لم يسعف الزمن باقامتي فيه))

كما كانت صلته بالخازن ابي احمد عبد السلام بن الحسين البصري حميمة ، وصداقته معه متينة ، اضافة الى كونه عالماً اديباً ، وقارئاً للقران الكريم ، وكان من احسن الناس تلاوة و انشاداً للشعر ، وربما اعتراه السائل ، وليس معه ما يعطيه فيدفع اليه بعض كتبه ، وقد تولى عبد السلام البصري ((دار الكتب)) في بغداد حتى وفاته عام ٤٠٥ هـ . [٤] وخزانة الكتب هذه هي نفسها ((دار العلم)) كما يقول ابن الاثير : [٥]

وكان ابو العلاء قد حضر خزانة الكتب التي كانت بيد عبد السلام البصري وعرض عليه اسماء كتبها فلم يستغرب فيها شيئاً لم يره بدار العلم بطرابلس سوى ديوان ((تيم اللات)) فاستعار منه ، ولم يرجعه الى هذه الدار عند مغادرته مدينة بغداد ، ولما صار بمعرة النعمان تذكره فاعاده اليه مع قصيدته التائية التي تذكر فيها اجواء بغداد العلمية ، ومحافلها الادبية جاء فيها.

---

(١) مصطفى جواد : مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الثاني ، الجزء الثاني ص ٥٠٤

(٢) ابو العلاء : شروح سقط الزند ٣ / ١٢٣٩

(٣) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص ٩٢

(٤) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١١ / ٥٨

(٥) ابن الاثير : الكامل في التاريخ

هات الحديث عن الزوراء او هيتا ومـوقد النار لاتكري بتكريتا

واعتقد بعض الباحثين المعاصرين ان الذي عناه ابو العلاء بخازن دار العلم في شعره هو((هلال الصابي)).[1]

ولكن النصوص تميل الى احد الخازنين : محمد بن علي بن اسحاق ، او عبد السلام بن الحسين البصري ، وقد شكك الدكتور طه حسين . في النص الذي اورده كل من ((القفطي)) و ((الذهبي)) ان ديوان ((تيم اللات)) اخذه ابو العلاء الى معرة النعمان ، فيقول :[2]

((وهذا الخبر خطأ من غير شك ، يكذبه سقط الزند نفسه ، فان ابا العلاء انما استعار تيم اللات من صاحبه وتلميذه ابي القاسم التنوخي القاضي ، ولم يأخذ الكتاب معه الى معرة النعمان ، وانما تركه عند عبد السلام واوصاه ان يرده الى صاحبه فلما وصل الى المعرة ، واشفق ان يكون عبد السلام قد نسى امر هذا الكتاب ، فنظم هذه القصيدة ، وبعث بها الى ابي القاسم يقص عليه القصة ، لا الى عبد السلام)) . وكان ابو القاسم التنوخي قد روى عن ابي العلاء المعري ، ومن اقرانه ، [3] وان علاقته الحميمة جعلته يكشف اسرار ابتعاده عن بغداد في ابيات بعثها اليه ، يقول:[4]

---

(١) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ص ١٥٣

(٢) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٥٠

(٣) ابن حجر : لسان الميزان ١ / ٢٠٦

(٤) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٥٤

اثــارني عــنكم امــران والــدة　　لم القهــا ، وثــراء عــاد مــسفوتا
احياهما الله عصر البين ثم قضى　　قبل الاياب الى الذخرين ان موتا
لــولا رجــاء لقائيهــا لمــا تبعــت　　عـني دلـيلاً كـسر الغمـد اصـليتا

فابو العلاء قد حدد سببين ، صرفاه عن مدينة بغداد ((دار السلام)) وقد كان عازماً على ان يقيم فيها اخر الدهر . احدهما مرض والدته ، وثانيهما فقره وفاقته .

ومما يبدو ان علاقة ابي العلاء بعبد السلام البصري كانت عميقة ووثيقة، بحيث تأثر به فلسفياً ، يقول بروكلمان : ((ادى اتصاله بعبد السلام البصري ، خازن دار الكتب هناك ، وكذلك اتصاله باصدقائه المفكرين الى ان يوجه شعره الى الاسلوب الفلسفي)) . [1] ويقول الدكتور طه حسين: كان يحضر المجمع الخاص الفلسفي الذي كان ياتلف يوم الجمعة بدار عبد السلام البصري ، وفيه يقول من قصيدة بعث بها اليه . [2]

تهــيج اشــواقي عروبــة انهــا　　اليك ذوتني عن حضور بمجمع

وكان هذا المجمع الفلسفي الذي سماه ((اخوان الصفا)) لشيوع هذا اللفظ بين اوساط البغداديين ، ودلالته الخاصة عن جماعة فلسفية كانت تشترك في الاغراض والاراء ، وذلك حيث يقول :

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٥ /٣٦
(٢) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٥١ ، الجندي : الجامع في اخبار ابي العلاء ١ / ٢٥٩

كـــم بلـــدة فارقتهـــا ومعاشـــر يـذرون مـن اسـف علـيّ دموعـا
واذا اضاعتني الخطوب فلن ارى لــوداد اخــوان الــصفا مــضيعا
خاللـت توديـع الاصـادق للنـوى فمتـــى اودع خلـــي التوديعـــا

وكان ابو العلاء في مؤلفاته : ((اللزوميات)) و ((رسالة الغفران)) يتخذ العقل هادياً له ، والتشاؤم والشك منهجاً ، وان رسالة الغفران هذه قد تركت فيما يرى بعض المستشرقين اثراً بيناً في رواية دانتي ((الملهاة الالهية)) وقد نقلت بعض رباعياته الى اللغة الانكليزية ، كما لاحظ كثير من الباحثين الذين درسوا شعر ابي العلاء ، وشعر عمر الخيام ، تشابهاً ، وصلة بينهما ، بل رأوا ما يدل على ان عمر الخيام قد تأثر باراء ابي العلاء[1] .

ويذهب فريق من الباحثين الى ان ابا العلاء كان فاطمي العقيدة ، وما ذهابه الى مدينة بغداد الا للكشف عن احوال الدعوة الفاطمية هناك ، واتصل بجماعة اخوان الصفا لهذا الغرض .[2]

ويقول نكلسن : ((لم تظهر مواهبه الفريدة الا من كتبه المتاخرة التي كتبها بعد عودته الى المعرة مثل كتاب : اللزوميات ورسالة الغفران ، ولا نستطيع ان نشك انه اشرب في بغداد كثيراً من الاراء والتأملات الجريئة التي يتميز بها هذان الكتابان)) .[3]

(١) فيليب حتى : تاريخ العرب ٢٠ / ٥٥١
(٢) مارون عبود : ابوالعلاء ص ٦٨
(٣) نيكلسن : دائرة المعرف الاسلامية (مادة ابو العلاء) ١ / ٣٨٠

وكانت ((دار العلم)) التي شغلت جانباً من فكر ابي العلاء ، كانت تضم مجموعة مختارة من العلماء والفلاسفة والمفكرين ، ويشرف عليها عدد من الخزان من ذوي المعرفة والدراية ، وقد رد النظر في امرها الى الحسين بن ابي شيبة ، وابي عبد الله محمد بن احمد الحسني ، والقاضي ابي عبد الله الحسين بن هارون الضبي ، وكلف الشيخ ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي فضل عناية بها وقد الت هذه الدار بعد ذلك الى الشريف المرتضى(١) . ومن الجدير بالملاحظة ان مؤسس هذه الدار الوزير سابور بن اردشير كان من اكابر الادباء ، وقد جمعت فيه الدراية والكفاية ، وكان بابه محط الشعراء والادباء .

ويبدو ان خزانة دار العلم كانت في نمو واتساع ، بحيث ان بعض المؤلفين يهدون تصانيفهم الى هذه الدار ، وكان يسر المؤلف تقبل دار العلم نسخة من كتابه هدية ، وهذا ما يسمى في الوقت الحاظر باسم ((الايداع)) اما يوم ذاك فيدعى باسم ((التخليد)) (٢) .ويذكر ياقوت الحموي عند ترجمته لاحمد بن خيران الكاتب ، ان الشريف المرتضى تسلم بعض الكتب المهداة من مصر الى ((دار العلم)) . (٣)

ونتلمس من خلال بعض الرسائل التي ارسلها ابو العلاء المعري ، الى رجال العلم والفكر في مدينة بغداد ، جوانب من النشاط العلمي والفكري فيها ، فكتب الى ابي طاهر المشرف بن سبيكة ، يذكر له امر شرح السيرافي، وما جرى فيه من التعب ، وكانت تربط بابي سبيكة خؤولة ومراسلات

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٧ / ١٧٢ ، انظر شلبي : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٣١

(٢) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الاسلام ص ١٣٠

(٣) ياقوت : معجم الادباء ١ / ٥-٦

شأن نسخ من شرح السيرافي لكتاب سيبويه في النحو في خطوط مختلفة ، والرسالة تستهل عن شوقه العميق لخاله ، واسفه لبعده كقوله : [1]

((شوقي الى سيدي الشيخ ، شوق البلاد المحلة الى السحابة المسحلة، وانتقاعي بقربه ، انتفاع الارض الا ريفية با لامواه القريضة)).

وتطرق ابو العلاء الى فضل ابن سبيكة عليه ، كما انه ارسل الى القاضي ابي الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر يقول. [2]

((سيدي القاضي شافي العي ، وخليفة الشافعي ، ما جاز خيار مجلس، ووجب حجر على مفلس))

وقال ايضاً :

((واعلم سيدي القاضي انني اوده ود افتراض غير محدود المدة فهو كالقراض ، اثبت عليه ثبات المؤمن على الايمان))

وكانت لابي العلاء المعري رسائل مع ابي حامد الاسفرائيني ، وقصائد ضمنها قضايا فقهية و بعثها الى الفقيه الاسفرائيني ، وقد راى هذا الفقيه منه اطلاعاً على الفقه الكبير ، ويبدو انه ارسل قصيدة لابي حامد قبيل مجيئه الى بغداد ، ذكر فيها ظلم العمال وجورهم عليه ، ويعرض على ابي حامد الاسفرائيني اخلاقه ، ويطلب مودته منها .[3] الحكمة التي يرد ذكرها في رسالة الغفران على لسان الجارية توفيق السوداء ؟ [4] . وان هذا

---

(١) ابو العلاء : الرسائل ص ٨٥

(٢) ن . م ص ٩٩

(٣) طه حسين : تجديد ذكرى ابي العلاء ص ١٤٥

(٤) احمد امين : ضحى الاسلام ٢ / ٦٥

التساؤل غريب في بابه ، لان ((دار العنم)) اشهر مؤسسة علمية في القرن الرابع الهجري في مدينة بغداد ، ولم تدع ببيت الحكمة ، ولكن الشك قد يحصل فيها اذا ذكرت نصوص دار العلم دون ان تنسب الى احد، لان هناك ((دار العلم السابورية)) وهي التي اسسها الوزير سابور بن اردشير، و ((دار العلم الشريفية)) وهي التي اسسها الشريف الرضي، فذكر ابن ابي اصيبعة : ان جبرائيل بن عبيد الله بن بختشيوع ((ت٣٩٦هـ)) اوقف نسخة على دار العلم ببغداد . [١] وان علي بن فضال المجاشعي المغربي كان يدرس النحو في دار العلم ببغداد [٢] . وان احمد بن خيران الكاتب ((ت ٤٣١ هـ)) سلم ابا منصور الشيرازي جزئين من شعره ورسائله لتخليدها دار العلم . [٣]

لا وضع للرحل الا بعد ايضاع ... فكيف شاهدت امضائي وازماعي
ياناف جدي فقد افنت اناتك بي ... صبري وعمري واحلامي وانساعي

ويقول :

وبالعراق رجال قربهم شرف ... هاجرت في حبهم رهطي واشياعي
على سنين تقضت عند غيرهم ... اسفت لا بل على الايام والساع
اسمع ابا حامد فتيا قصدت بها ... من زائر لجميل الود مبتاع

ومن المحتمل ان العلماء الذين ذكرهم ابو العلاء المعري في رسائله واثاره ، هم الذين التقى بهم في مدينة بغداد ، وفي ((دار العلم)) على وجه

---

(١) القفطي : عيون الانباء ١ / ١٤٦

(٢) ياقوت : معجم الادباء

(٣) ن . م ١ / ٥-٦

الخصوص ، تلك الدار التي ورد ذكرها في مواضع عديدة من كتبه وشعره، ومن الغريب ان يتساءل الاستاذ احمد امين ، هل هذه هي بيت؟.

الفصل الرابع
الحقول المعرفية عند الامامية

القسم الاول: الحقول المعرفية في المدرسة البغدادية

بلغت مدرسة بغداد نضجها العلمي والفكري في القرن الرابع الهجري ، الموافق للقرن العاشر الميلادي ، فبرز على الساحة اعلام حملوا رايات الحقول المعرفية (التفسير ، والحديث ، والفقه ، والاصول ، و الفقه المقارن ، والرجال ، والفلسفة والكلام ، و اللغة والادب ، و الفلك والطب ، والتاريخ والبلدان) وغيرها من العلوم والمعارف والفنون واصبحت مؤلفات الاماميين في بغداد مصادر اساسية للباحثين والمؤلفين ، وقد ادى محيط بغداد العلمي والفكري دوراً اساسياً في تطور الحقول المعرفية ، وقد لعبت المناظرات و المحاججات الكلامية دوراً اخر في النشاط العلمي ، واتسعت دائرة كتب المتناقضات وهي تعبر عن اجتهادات فقهية واصولية وكلامية ، وساعدت على فتح باب الاجتهاد الذي حاولت بعض المذاهب الاسلامية اغلاقه في الوقت الذي حرص الاماميون على ابقائه مفتوحاً ولم يحفل الاماميون بوجهات النظر المختلفة ، وان كانت بين صفوف مفكريهم ، مما ساعد على اتساع افاق العلم في بلدان العالم الاسلامي ، وفي مدينة بغداد في العصر العباسي ، وقد صاحب هذا الحركة المعرفية بناء المؤسسات الثقافية والعلمية ، التي كان لها اسهامة اخرى في بلورة العلوم والفنون والاداب ، بما كانت تحتضن من اعلام مبدعين ، وان حديثنا عن الحقول المعرفية في الفكر الامامي سوف يكشف على هذا الواقع الذي عاشته مدينة بغداد ، وفق الحقول الاتية :

الحقل الاول : علم التفسير

اعتمد الاماميون في تفسير القرآن الكريم على ائمة ال البيت عليهم السلام ، وام يصدر عنهم بمدينة بغداد في العصر العباسي الاكتاب ((التبيان في تفسير القرآن)) للشيخ الطوسي (ت٤٦٠ هـ) . وقد اشارة الى هذا الجانب الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) في كتاب ((مجمع البيان في تفسير القرآن)) بقولة : ((ان اصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل اليهم في ذلك من الاخبار، ولم يعنوا ببسط المعاني وكشف الاسرار . الاما جمعه الامام الشيخ الاجل السعيد ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان ، فانه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ، ويلوح عليه رواء الصدق ، قد تضمن من المعاني والاسرار البديعة ، واقتضى من الالفاض اللغة الوسيعة ، ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ، ولا بتنميقها دون تحقيقها ، وهو القدر استضى بانواره، واطأ مواقع آثاره)) [1] . وكتب الشيخ الطوسي ايضاً ((المسائل الرجبية في تفسير القرآن)) . ولم يصنف مثله . [2] ومن المحتمل ان الشيخ الطوسي اراد بذلك ، الى حين تأليف كتاب ((التبيان)) الذي جاء متأخراً في التأليف بدليل انه لم يذكر في كتاب ((الفهرست)) في حين ان الشيخ ابن شهر آشوب ذكر المسائل الرجبية في كتابه ((معالم العلماء)) [3] واورد

---

(١) الطبرسي : مجمع البيان ١/١٠ .

(٢) الطوسي : الفهرست ص١٨٩ .

(٣) ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص١٠٢ .

الشيخ الطهراني ((المسائل الوجيعة في تفسيراي من القرآن)) [1] ولكن لم اجد من يؤيد هذه المسائل في المصادر التاريخ او الرجال او التفسير ، ومن المحتمل انها ((المسائل الرجبية)) وقد صحفت الى المسائل الوجيعة ، ويبدو ان الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) قد تطرق لتفسير جانب من القرآن الكريم ، وبخاصة عند حديثه عن القضايا العقائدية ومنها مسالة ((خلق القرآن)) الذي اكد عليها الاجماع . [2] وفي كتابه ((اوائل المقالات)) وغيره من كتب الشيخ المفيد التي تضم اراء تفسيرية ، وفي كتاب ((الامالي)) للشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) تأويلات قرآنية ، وتفسير واضح لبعض الايات الكريمة ، ومناقشات بعض الاراء الدائرة حولها . [3] ويقول الاستاذ احمد امين : ان في امالي الشريف المرتضى فوائد قيمة في التفسير والحديث وعلم الكلام ممزوج بعضها ببعض . [4] وقد ميز امالي الشريف المرتضى عن امالي علماء الامامية الذين سبقوه كالشيخ الصدوق ، والشيخ المفيد ، هو اهتمامه بالتفسير وتأويل الايات الكريمة ، وان كان لا يحيط بتفسير القرآن كله ، بل ببعض اياته التي يدور اغلبها حول العقيدة . [5] ويقول الاستاذ الدكتور عبد الله فياض : ان الشريف المرتضى عالج في اماليه قضايا عدة اهمها

---

(١) الطهراني : الذريعة ٢٦٦/٤ – ٢٦٧ .

(٢) المفيد : اوائل المقالات ص١٨ – ص١٩ .

(٣) حسن الحكيم : نظرت في كتب الامالي الرئيسة عند الامامية ص٨ .

(٤) احمد امين : ظهر الاسلام ٢٤١/١ .

(٥) الذهبي : التفسير والمفسرون ٤٠٤/١ .

تاويل عدد من ايات القرآن الكريم ، في حين ان الامالي التي سبقتة اقتصرت على ذكر الحديث غالباً . [1]

وقد حظي كتاب ((التبيان)) للشيخ الطوسي بالريادة في التفسير عند الامامية ، وان كتاب ((حقائق التنزيل ودقائق التأويل للشريف الرضي (ت٤٠٦ هـ) لم يصلنا الا الجزء الخامس منه ، وهذا لم يجعلنا نقف عنده لمعرفة منهجه ومضامينه ، وان غياب هذا الكتاب عن الساحة التفسيرية للقرآن الكريم ، جعل المؤلفين والباحثين وضع كتاب (التبيان) موضع الاعجاب والتقدير ، حتى وصف الشيخ الطوسي بانه (صاحب التفسير الكبير) و (التفسير المشهور) و (التفسير الكثير) [2]. ويقول الشيخ الشربامي برز في القرن الخامس الهجري عدة رجال في التفسير منهم : شيخ الطائفة الامامية ، وفقيهها الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، صاحب كتاب (البيان الجامع لكل علوم القرآن) [3]. وفي الحقيقة ان تفسير الشيخ الطوسي اسمه ((التبيان في تفسير القرآن)) . وقد وقف ابو الحسن العمري على تفسيري الشريف الرضي والشيخ الطوسي وقال : رايت تفسير الشريف الرضي للقرآن الكريم ، فرايته احسن التفاسير ويكون في كبر

---

(١) فياض : من كتب الامالي عند الشيعة الامامية ، مجلة الايمان ، العدد الثالث والرابع، السنة الثالثة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص١٤٢ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ٨٢/٥ ، السيوطي : طبقات المفسرين ص٢٩ .

(٣) الشرباصي : قصة التفسيرص٩٠ .

تفسير ابي جعفر الطوسي او اكبر ، وكان له هيبة وجلاله ، وفيه ورع وعصمة [1].

ولكن وصول كتاب (التبيان) للشيخ الطوسي لعلماء الامامية من بعدة، جعله موضع دراسة ، وكان الشيخ محمد بن ادريس العجلي الحلي (ت ٥٩٨ هـ) مع كثرة وقائعه مع الشيخ الطوسي ، يقف عند كتاب (التبيان) فيعترف بعظم شانه ، واستخدام بنيانه . [2] وكان للشيخ ابن ادريس اجتهادات في بعض القضاية الفقهية والأصولية وفي مقدمتها حجية خبر واحد ، وقد وجه نقداً لاذعاً للشيخ الطوسي ، ومع هذا فانه اختصر كتاب (التبيان) كما واختصره الفقيه ابو عبد الله محمد بن هارون الكال[3].

ويمكننا القول : ان القرنين الرابع والخامس الهجريين شهدا حركة تفسيرية للقرآن الكريم ، حمل لواءها الشريفان الرضي والمرتضى والشيخ الطوسي ، وقد كان هؤلاء الاعلام قد جمعوا بين التفسير والحديث والفقة والاصول وعلم الكلام والادب .

(١) سيد الشفيع : الروضة البهية ص٢٠٥ .

(٢) بحر العلوم : الرجال ٢٢٨/٣ – ٢٢٩ .

(٣) الحر العاملي : امل الامل ٣١١/٢ ، الطهراني : الذريعة ١٨٤/٢٠ .

الحقل الثاني : علم الحديث الشريف

روي الحديث الشريف عن الائمة عليهم السلام عن طريق (الاصول الاربعمائة) . وهي اربعمائة مصنف لاربعمائة مصنف ، كان كثيراً منها مروية عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام . [1] وتعد الاصول الاربعمائة بداية الفكر الامامي المستمد من احاديث ال البيت عليهم السلام.[2] وقد حفظت في الموسوعات الحديثية المطولة عند الامامية في مدينة بغداد ، في اواخر القرن الرابع ، واوائل القران الخامس الهجريين ، في الوقت الذي كانت الحرية الفكرية متوفرة لدى رجال العلم والفكر والادب بين (٣٣٤ – ٤٤٧ هـ) ، وقد تبنت الاسر العلمية في بغداد رعاية العلم والفكر ، واصبحت منطقة الكرخ محوراً للمناظرات الكلامية والفقهية . [3] وقد عاش المحمدون (الكليني والصدوق والطوسي) بمدينة بغداد .

واتخذوها مدرسة للفكر الامامي ، وفيها كتبت الأصول الحديثية المعتمدة وهي :

١- كتاب الكافي للشيخ ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) وقد اشتمل على (١٦١٩٩ حديثاً).

---

(١) المفيد : الارشاد ص٢٧١ ، البهائي : مشرق الشمسين ص٣ ، المحقق الحلي : المعتبرص٤ .

(٢) الحكيم :الشيخ الطوسي ص٣٢٣ .

(٣) الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٥ .

٢- كتاب من لا يحضره الفقية للشيخ ابي جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت٣٨١هـ) وقد اشتمل على (٩٠٤٤ حديثاً) .

٣- كتاب تهذيب الاحكام للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وقد اشتمل على (١٣٥٩٠ حديثاً) .

٤- كتاب الاستبصار فيما اختلف من الاخبار للشيخ الطوسي ايضاً وقد اشتمل على (٥٥١١حديثاً) .

وان هذه الكتب الاربعة هي اعتماد الامامية في علم الحديث ، وهي بمثابة الصحاح والسنن عند اهل السنة وهي : صحيح البخاري ، وصحيح مسلم وكتاب السجستاني ، وكتاب الترمذي ، وكتاب ابن ماجة ، وكتاب النسائي . ويقول الاستاذ الدكتور عبد الكريم زيدان : ان الكتب الاربعة هي من كتب الحديث والاثار المعتبرة . [1] وقد الفت في عصر يمتاز بالحرية الفكرية بمدينة بغداد ، فقد وجد اصحاب الكتب الاربعة مجالاً واسعاً لنشر تعاليم اهل البيت عليهم السلام ، وقد جمعت الاحاديث النبوية الشريفة ، واحاديث الائمة عليهم السلام في هذه الكتب لاجل تسهيل مهمة الفقيه في سعيه للوصول الى الحكم الشرعي ، بواسطة الرجوع الى اخبار الائمة عليهم السلام .[2]

---

(١) عبد الكريم زيدان : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ص١٧٧ .

(٢) حسن الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٢٦ .

وكان الشيخ ابو جعفر الكليني قد استقر بمدينة بغداد ، ونزل درب السلسلة في منطقة الكرخ ، ولقب بالبغدادي السلسلي . [1] ونسب ايضاً الى موطنه الاصلي في كلين التابعة لمنطقة الري فقيل له: الكليني الرازي ، فقد تلقى تعليمه هناك ، وتبوأ مكانة في علم الحديث فيقول الشيخ النجاشي : انه كان اوثق الناس في الحديث واثبتهم . [2] وقد عد مجدداً للفكر الامامي في المائة الثالثة من الهجرة . [3] وقد اشار الشيخ الطوسي الى مكانته العلمية والفكرية بقوله : ((ثقة عارف بالاخبار ، جليل القدر)) . [4] وقد استمر عطاء الشيخ الكليني في مدينة بغداد حتى وفاته فيها عام ٣٢٩ هـ ، وفي رواية عام ٣٢٨ هـ . ودفن بباب الكوفة من منطقة الكرخ (بغداد الغربية) وفي محلة (صراة الطائي) ويقول الشيخ الطوسي : ((رايت قبره في صراة طائي ، وعليه لوح مكتوب فيه اسمه واسم ابيه)) [5]، وفي اثناء استقرار الشيخ الكليني في بغداد ، تتلمذ عليه عدد من الفقهاء والمحدثين ، منهم :

١- ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ابن ابي زينب) المعروف بالكاتب النعماني .

٢- علي بن احمد الرازي .

---

(١) النجاشي : الرجال ص٢٩٣ ، العلامة الحلي : الرجال ص١٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٦٦ .

(٣) ابن الاثير : جامع الاصول ٢٢٠/١٢ .

(٤) الطوسي : الفهرست ص١٦١ ، الرجال ص٤٩٥ .

(٥) الطوسي : الفهرست ص١٦٢ .

٣-احمد بن ابراهيم الصيمري .

٤- احمد بن محمد الرازي .

٥- جعفر بن محمد قولويه .

٦- محمد بن احمد القضاعي .

٧- هارون بن موسى التلعكبري .

واصبح الشيخ الكليني مجدد الفكر الامامي في عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ) ، واول من جمع احاديث الائمة من ال البيت عليهم السلام في الحقبة التي عاشها السفراء الاربعة بمدينة بغداد ، وهم :

١- ابو عمرو عثمان بن سعيد العمري (ت٢٨٠هـ).

٢- ابو جعفر محمد بن عثمان العمري (ت ٣٠٥ هـ) .

٣- ابو القاسم الحسين بن روح النوبختي (ت ٣٢٠ هـ) .

٤- ابو الحسن على بن محمد السمري (ت ٣٢٩ هـ) .

وتعطي معاصرة الشيخ الكليني للائمة عليهم السلام ، ومن المحتمل (الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام) . والسفراء الاربعة مؤشراً انه قد استقى كثيراً من النصوص عن الائمة عليهم السلام ، واودعها في كتابه

(الكافي) في الحديث الذي لم يعمل مثله عند الامامية حتى عصر الشيخ الكليني . [1]

وقد اطلقت المصادر على الشيخ الكليني الفاظاً لها دلالة على موقعه العلمي منها: ((امين الاسلام وثقة الاسلام)). [2] ويقول السيد بحر العلوم: انه ثقة الاسلام . وشيخ مشايخ الاعلام ومروج المذهب في غيبة الامام عليه السلام .[3]

ويقول الشيخ الطهراني : ان لقب (ثقة الاسلام) يصح اطلاقه على كل عالم جليل في الاسلام ، موثوق به عند المسلمين ، واول من اطلق عليه هو الشيخ الكليني . [4] وكانت احاديث كتاب (الكافي) تتصل بالائمة عليهم السلام مباشرة او بواسطة او واسطتين ، وهذا مما جعل الشيخ الكليني اوثق الناس في الحديث واثبتهم . [5] ويقول المستشرق بروكلمان : ان الشيخ الكليني مجدد فقه الامامية ، وان كتاب الكافي قد تناول جميع عقائد الامامية ومذاهبها ويعد احد الكتب الاربعة للشيعة ، ويشتمل على

---

(١) حسن الحكيم : الشيخ الكليني مجدد الفكر الامامي في القرن الرابع الهجري، مجلة النبأ العظيم ، العدد ١٤٩، لسنة ٢٠٠٥ م .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ١٠٩/٦ ، الكاظمي : مقابس الانوار ص٨ .

(٣) بحر العلوم : الرجال ٣٢٥/٣ .

(٤) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / نوابغ الرواة ٢٧٣/١ .

(٥) النجاشي : الرجال ص٢٩٢ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٣٨٧ ، محمد طه نجف: اتقان المقال ص١٣٤ .

اكثر من ستة عشر الف حديث .[1] وقد اشار الشيخ الكليني الى منهجه بقوله : ((انك تجد ان يكون عندك كتاب كاف يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، مايكتفي به المتعلم ، ويرجع اليه المسترشد ، و يأخذ منه من يريد علم الدين ، والعمل به بالآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام، والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدي فرض الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه واله وسلم .[2] واصبح كتاب (الكافي) موضع الدراسة في المؤسسات العلمية بمدينة بغداد، فيقول الشيخ النجاشي : ((كنت اتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي ، وهو مسجد نفطويه النحوي اقرأ القرآن على صاحب المسجد ، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي على ابي الحسين احمد بن احمد الكوفي الكاتب))[3] وقد توزعت احاديث كتاب الكافي على اثنين وثلاثين كتاباً ، فكان الكتاب الاول في العقل والجهل ، والكتاب الاخير بالوصايا والمواريث ، وقد وضع الشيخ الكليني الاحاديث الضعيفة في باب الشواذ والنوادر في محاولة لفرزها عن الاحاديث الصحيحة، اضافة عن التزامه بالأسانيد الانادراً ، وقد يحيل بعض الاسانيد على ما ذكره سابقاً .

وعلى الرغم من ذلك ، فان الامامية لم يأخذوا بحجية جميع الاحاديث في كتاب الكافي فقد كان الشيخان المفيد والطوسي لا يعاملان

---

(١) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٣٤٣/٣ .

(٢) الكليني : الكافي ٥٥/١ .

(٣) النجاشي : الرجال ص٢٩٢ .

احاديث كتاب الكافي معاملة الاخبار القطيعة ، فان كان راويها من الضعفاء ، او كانت الرواية مرسلة طرحاها.[1] ويقول السيد الامام ابو القاسم الموسوي الخوئي : ((ذهب جماعة من المحدثين الى ان روايات الكتب الاربعة قطعية الصدور ، وهذا القول باطل من اصله اذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد ولاسيما في رواة الكتب الاربعة من هو معروف بالكذب والوضع))[2] . وقد حدد علماء الحديث والرجال ارقاماً لكتاب الكافي من حيث توزيع احاديثه على انواع الحديث وهي :

١- الحديث الصحيح : ٥٠٧٢ حديثاً

٢- الحديث الموثق : ١١١٨ حديثاً

٣- الحديث القوي : ٣٠٢ حديثاً

٤- الحديث الضعيف : ٩٤٨٥ حديثاً

وتخضع هذا الأرقام الى اجتهادات الفقهاء والمحدثين ، واخضاع الأسانيد الى مصطلحات الجرح والتعديل ، ولاشك ان في الاسانيد مجاهيل وضعفاء .[3] وقد اشار الشيخ الطوسي الى بعضهم بالقول : ((لا يلتفت

---

(١) الخوئي : معجم رجال الحديث ٤٨/١ .

(٢) الحكيم : مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث ص١٣٤ .

(٣) الطوسي : التهذيب ٤١/٩ .

اليه)).[1] وقد عقب الامام السيد الخوئي على رأي الشيخ الطوسي ببعض رواة كتاب (الكافي) بقوله : ((وهذا تصريح من الشيخ الطوسي بان روايات الكافي ليست كلها صحيحة ، فضلاً عن كونها مقطوعة الصدور)).[2]

وكتب الشيخ الكليني في العقائد والرجال والادب كتباً لم تصل الينا .

و اصبحت في عداد الكتب المفقودة وهي :

١-تعبير الرؤيا ، او كتاب الرجال .

٢- الرد على القرامطة .

٣-رسائل الائمة .

٤-ماقيل من الائمة من الشعر.

وقد تتلمذ بعض اعلام الامامية على الشيخ الكليني ، وقد اعتمدت المدرسة البغدادية على جهودهم العلمية والفكرية خلال القرن الرابع الهجري ، الموافق للقرن العاشر الميلادي ، وان الشيخ ابا جعفر محمد بن علي بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق قد اكمل المسيرة التي ابتدأها الشيخ الكليني في الفكر الامامي ، فانه قد ولد بمدينة قم ، عام ٣٠٥ هـ ، في السنة التي توفى فيها السفير الثاني ابي جعفر محمد بن عثمان العمري.[3]

---

(١) الخوئي : معجم رجال الحديث ٤٣/١ .

(٢) النجاشي : الرجال ص٢٩٢ .

(٣) بحر العلوم : الرجال ٣٠١/٣ .

وذكرت المصادر : ان والده قد التقى بالسفير الثالث الحسين بن روح النوبختي واخبره انه سوف يرزق بولدين بدعوة من الامام الغائب (عجل الله تعالى فرجه) . فكان الشيخ الصدوق احدهما ، وقد اشار الى ذلك بقوله : ((انا ولدت بدعوة صاحب الامر عليه السلام)) [1] وكانت المرحلة الاولى لثقافة الشيخ الصدوق على والده ، الذي تولى تربيته و رعايته ، فكان شيخ القميين وفقيههم وثقتهم. [2] وقد احتل الشيخ الصدوق موقعاً علمياً متقدماً في البلاد ، فيقول الشيخ الطوسي : اصبح عالماً جليل القدر ، حفظة بصيراً بالفقة والاخبار والرجال. [3] وان الالقاب التي اطلقت عليه منها : ((الامام الاعظم ، ورئيس المحدثين ، وشيخ المحدثين)) دلالة على عمق ثقافته ، واصالة فكره ، وقد فرض وجوده على حكام عصره من سلاطين الدولة البويهية ، حتى استعان بعضهم بالشيخ الصدوق في ادارة الدولة ، وقد ساعدته الحركة الفكرية في عصره على تجواله في المدن الاسلامية ، واصبحت مدينة بغداد محطة لنشر افكار ال البيت عليهم السلام عن طريق مؤلفاته في العلوم والفنون والاداب ، وقد ترجمه الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) بقوله :((كان من شيوخ الشيعة

---

(١) النجاشي : الرجال ص١٨٥ ، ابن داود الرجال ق ١٣٧/١ ، العلامة الحلي : الرجال ص٩٤ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ٩/٦ ، الحكيم : مذاهب الاسلاميين ص١٣٩ .

(٣) الطوسي : الرجال ص٤٩٥ .

ومشهوري الرافضة)). [1] وقد روى عن الشيخ الصدوق بمدينة بغداد اعلام الفكر الامامي في عصره ، ومنهم : [2]

١-الحسين بن عبيد الله الخضائري .

٢- الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان .

٣-الشيخ النجاشي علي بن احمد الاسدي .

٤-هارون بن موسى التلعكبري .

٥- جعفر بن الحسين القمي .

٦- محمد بن سليمان الحمراني .

وكان الشيخ الصدوق مكثراً في التاليف في المجالات المعرفية المتعددة .

حتى وصلت مؤلفاته الى مايربو على اربعمائة كتاب ، كان ابرزها في علم الحديث كتاب ((من لا يحضره الفقيه)) الذي ضم الاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت عليهم السلام ، وقد اصبح هذا الكتاب مصدراً أساسياً للتشريع الاسلامي ، وذكر ابن النديم : ان الشيخ الصدوق من فقهاء الشيعة وثقاتهم [3]، فانه الف كتباً في الفقه والتشريع والتفسير وغيرها من العلوم.[4] ويبدو ان المدة التي قضاها الشيخ الصدوق في بغداد ، بدءاً من

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٨٩/٣ .

(٢) بحر العلوم : الرجال ٢٩٦/٣ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص٢٩١ .

(٤) ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص٥٨ .

عام ٣٥٥ هـ كانت خصبة في عطائها العلمي ، زاخرة بعلمائها ومؤسساتها ، وقد وصلت الى عصرها العلمي الذهبي في ميادين المعرفة ، ولعل لقب (الامام الاعظم) [١] الذي اطلق عليه كان يلتقي مع الطور العلمي لمدينة بغداد ، فيقول المستشرق بروكلمان انه من اشهر مؤلفي الامامية في المائة الرابعة للهجرة ، [٢] بما كتبه في الحديث والفقه والتاريخ والعقائد والاخلاق والادب والتفسير والامالي وغيرها ، وقد اراد من كتابه (من لا يحضره الفقيه) ان يكون في متناول كل طالب علم ، وان لم يحضر مجالس الفقه ، فيرجع اليه في المسائل والاحكام ، وجاء تاليفه على غرار تاليف كتاب (من لا يحضره الطبيب) لمحمد بن زكريا الرازي ، واشار الى ذلك بقوله : ((فذاكرني الشريف ابو عبد الله المعروف بنعمة ، وهو محمد بن الحسن بن اسحاق بن الحسين بن الحسين بن اسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ، بكتاب صنفه محمد بن زكريا المتطبب الرازي ، وترجمه بكتاب من لا يحضره الطبيب ، وذكر انه شاف في معناه ، وسالني ان اصنف له كتابا في الفقه والحلال و الحرام والشبهات والاحكام ، موفياً على جميع ما صنفت في معناها ، واترجمه بكتاب من لا يحضره الفقيه ليكون اليه مرجعه ،وعليه معتمده وبه اخذه ، ويشترك في امره من ينظر فيه ، وينسخه ويعمل بمودعه. [٣] وكان الشريف

(١) البحراني : الدرة البهية ، ورقة ٤ ب .

(٢) بروكلمان : تاريخ الادب العربي ٣٤٣/٣ .

(٣) الصدوق : من لا يحضره الفقيه ٤/١ ـ ٥ .

الملقب (نعمة) قد نسخ مائتين وخمسة و اربعين كتاباً للشيخ الصدوق ، ويبدو ان صلات الشيخ الصدوق به كانت وثيقة كما يقول : ((فدام بمجالسته سروري ، وانشرح بمذاكرته صدري ، وعظم بمودته تشر في لاخلاق قد جمعها الى شرفه من ستر وصلاح وسكينة ووقار وديانة وعفاف، وتقوى واخبات)). [١]

وقد اوضح الشيخ الصدوق منهجيته في الكتابه وحذفه للأسانيد ((لئلا تكثر طرقه ، وان كثرت فوائده)) واشار الى طريقته في الكتابة بقوله : ((ولم اقصد فيه قصد المصنفين في ايراد جميع ماروؤه بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به واحكم بصحته ، واعتقد فيه انه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره وتعالت قدرته)). [٢] وقد استقى كثيراً من النصوص ومن الكتب الفها علماء الامامية وهم :

١- حريز بن عبد الله السجستاني .

٢- عبيد الله بن علي الحلبي .

٣- علي بن مهزيار الاهوازي .

٤- الحسين بن سعيد .

٥- احمد بن محمد بن عيسى .

---

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ١/٤-٥ .

(٢) الصدوق : من لا يحضره الفقيه ١/٤ – ٥ .

٦- محمد بن احمد الأشعري .

٧- سعد بن عبد الله .

٨- محمد بن الحسن بن الوليد .

٩- محمد بن ابي عمير .

١٠- احمد بن ابي عبد الله البرقي .

١١- علي بن الحسين بن بابويه (والده) .

وقد اطلق على مؤلفات هؤلاء الاعلام لفظ (كتب ونوادر وجامع ورسالة) وختم الشيخ الصدوق حديثه بقوله : ((الاصول والمصنفات التي طرقي اليها معروفة في فهرس الكتب التي رويتها عن مشايخي واسلافي رضي الله عنهم)). [(١)] ويبدو انه لم يعتمد جميع الاحاديث التي رواها ، المحدثون قبله ، وبخاصة بعض روايات الشيخ الكليني بكتابه (الكافي). [(٢)] ويقول الامام السيد الخوئي ((الظاهر في ان كتاب الكافي في اعتقاد الصدوق كان مشتملاً على الصحيح وغير الصحيح كسائر المصنفات)) . [(٣)]

---

(١) الصدوق : من لا يحضره الفقيه ٤/١ – ٥ .

(٢) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٢٧ ، الشيخ الصدوق ومكانتة في الفكر الاسلامي ص١٢ .

(٣) الخوئي : معجم رجال الحديث ٤٠/١ .

وكانت بعض مؤلفات الشيخ الصدوق قد خصصت للائمة عليهم السلام والحوادث التي عاصرتهم ، كما في كتابه (عيون اخبار الرضا). (١) وقد اشكل على بعض الفرق الخارجة عن التسلسل الامامي كالواقفة كما ناقش الفرق الكلامية . في مسالة الامامة وغيرها من المسائل التي خالفت فيها الفرق والمذاهب ، الفكر الامامي ، وان بحثنا ((كتب الامالي الرئيسة عند الامامية)) اوضحنا فيه اراء الشيخ الصدوق في الحديث والتاريخ وغيرهما من العلوم .

وكان للشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد الحارثي العكبري البغدادي الدور البارز في علم الحديث ، والعلوم الانسانية والدينية الاخرى ويمكننا القول انه ((فقية بغداد ومفيدها)) فقد لمع نجمه العلمي في عهود ثلاثة من الخلفاء العباسيين وهم :

١- المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ) .

٢- الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١ هـ) .

٣- القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) .

وكانت وفاة الشيخ المفيد في بغداد عام ٤١٣ هـ في عهد القادر بالله .

وقد عاصر اعلام الفكر والعلم في مدينة السلام ، الذين كان لهم دور الريادة في المجتمع البغدادي ، ومنهم :

---

(١) الصدوق : عيون اخبار الرضا ٦٠/١ .

١- ابو بكر محمد بن عمر الجعابي التميمي البغدادي (ت ٣٥٥ هـ) .

٢- ابو غالب احمد بن محمد الشيباني الزراري (ت ٣٦٨ هـ) .

٣- ابو القاسم جعفر بن محمد البغدادي (ت ٣٦٨ هـ) .

٤- ابو عبد الله محمد بن عمران الكاتب المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) .

٥- ابو الحسن محمد بن جعفر الكوفي التميمي (ت ٤٠٢ هـ) .

وقد اشار الشيخ المفيد بتلمذته على هؤلاء الاعلام بالفاظ هي : ((حدثنا، واخبرنا ، وسمعنا منه)) ونحو ذلك من الفاظ التلمذة ، من استماع وقراءة ، وحصل على القاب لها دلالة على علميته وموقعه الفكري والاجتماعي منها : ((شيخ الاسلام ، والامام ، والاستاذ ، والشيخ ، والمفيد))[1] . وقد اجتمعت بالشيخ المفيد الرئاسة الدينية ، والزعامة الاجتماعية في مدينة بغداد ، ويقول الشيخ الطوسي : ((انتهت اليه رياسة الامامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاظر الجواب)) [2] . وكان الشيخ المفيد يحاضر وفق المذاهب الاسلامية والمتعبد بها في زمانه ، وله مجلس نظر بداره الواقعة في درب رباح في منطقة الكرخ ، يحضره كافة

---

(١) الصدوق : عيون اخبار الرضا ١٠١/١، ٢٠١/٢ .

(٢) الشهيد الاول : كتاب الاربعين حديثاً ص١٨٤ ، ص٢٠٥ ، القزويني : اثار البلاد ص٣١٢ .

العلماء [1] . وعند قدوم الشيخ الطوسي الى بغداد عام ٤٠٨ هـ بدأ في حضور دروس الشيخ المفيد حتى عام ٤١٣ هـ ، وهي السنة التي توفى فيها الشيخ المفيد ، وان الفاظ الشيخ الطوسي التي دونها في كتبه : (اخبرني ، واخبرنا ، واملى علينا ، وذكر الشيخ ايده) لها دلالات على تلمذته عليه، وان ابواب كتاب ((الامالي)) للشيخ الطوسي تبتدئ بالشيخ المفيد وكان كتاب ((المقنعة)) في علمي الفقه والحديث قد شرحه الشيخ الطوسي بكتابه ((تهذيب الاحكام)) ، وقد سمع الشيخ الطوسي معظم مؤلفات استاذه الشيخ المفيد ، البالغة مائتي مصنف كبير وصغير [2] . فيقول : ((سمعنا منه هذه الكتب كلها بعضها قراءة عليه ، وبعضها يقرأ غير مرة وهو يسمع))[3].

وقد ناظر الشيخ المفيد شيوخ المعتزلة بمدينة بغداد وهم : [4]

١- القاضي عبد الجبار بن احمد .

٢- ابو بكر الباقلاني .

٣- علي بن عيسى الرماني .

٤- ابو الطيب الطبري .

---

(١) الطوسي : الفهرست ص١٨٦ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١١/٨ .

(٣) الطوسي : الفهرست ص١٨٦ .

(٤) المصدر نفسه ص١٨٧ .

٥- ابو الحسن الطالقاني .

وقد اشار تلميذ الشيخ المفيد ، الشريف المرتضى في كتابه ((الفصول المختارة)) الى جانب من مناظرات الشيخ المفيد، وقد حضر هذا المناظرات اعلام الامامية ومنهم :

١- الشريف الرضي .

٢- الشريف المرتضى .

٣- الشيخ النجاشي .

٤- الشيخ الطوسي .

٥- ابو يعلى الجعفري .

٦- الشيخ الكراجكي .

وقد كانت اقتباسات هؤلاء الاعلام العلمية من الشيخ المفيد واضحة في رواياتهم وذلك عن طريق التحديث والاملاء والقراءة وان مؤلفات الشيخ المفيد في ابواب المعرفة توضح موسوعيته في العلوم والاداب ، وقد اعطتنا المصادر احصائية عن مؤلفاته وهي على النحو الاتي :

٨٨ كتاباً في علم الكلام .

٥٨ كتابا في الفقه والفقه المقارن .

٤٥ كتابا في المسائل والجوابات .

٣٤ كتابا في علوم متفرقة .

١٩ كتاباً في علوم الحديث .

١٩ كتاباً في علم الرجال والتاريخ .

١٣ كتاباً في علوم القرآن .

٥ كتب في الادب .

وقد قام بعض تلاميذ الشيخ المفيد بشرح قسم من كتبه او تلخيصها بما فيها من ابداع واصالة ، وقد تناول في كتابه (اوائل المقالات) اراء الفرق الكلامية باسلوب علمي دقيق ، اما كتاب (الامالي) فانه يضم اثنين واربعين مجلساً ، ويقول ابن كثير ((فكان يحضره خلق من العلماء من سائر الطوائف)) [١] . وقد اغاظ هذا الاقبال الشديد على مجلس الشيخ المفيد ، بعض المتشددين والسلفيين فيقول الخطيب البغدادي : انه شيخ الرافضة ، والمتعلم على مذاهبهم ، صنف كتباً كثيرة في ضلالاتهم ، والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم ، والطعن على السلف الماضين من الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء والمجتهدين ، وكان احد ائمة الضلال ، هلك به خلق من الناس الى ان اراح الله المسلمين منه [٢]. ويقول الصفدي : كان الشيخ المفيد راس الرافضة ، صنف كتباً في الضلالات والطعن على

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٤/١٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ١٥/١٢ .

السلف[1]. وفي الحقيقة اذا كنا محايدين ومنصفين وبعيدين عن التحيز المذهبي والعقائدي ، انه كان هادئ الطبع في طروحاته واحاديثه ، فلم يسيء لاحد، او يشتم صحابيا او تابعيا ، او فقيها ، او كلاميا ، وان مناظراته لرئيس المعتزلة في عصره ، علي بن عيسى الرماني حول بعض الحوادث التاريخية من انها ، رواية ام دراية [2]. وان كتابه (الفصول المختارة) صورة لفكر الشيخ المفيد وعقلانيته ، ولكن ظروف مدينة بغداد في الاعوام (٣٩٣ – ٣٩٨ – ٤٠٣ هـ) ادت الى تأزم الوضع بين طوائف المسلمين ، وقد ادى الى نفي الشيخ المفيد من مدينة بغداد [3]. بعد ان وجدت العناصر المتشددة تقارباً نسبياً بين مذاهب المسلمين ، فجندت عناصرها لتعكير صفو الامن ، واظهروا كل ما تكنه نفوسهم من تعصب مقيت ضد خصومهم في المذهب [4].

فما كان من السلطة البويهية الحاكمة الانفي الشيخ المفيد من بغداد في محاولة لتهدئة الاوضاع السائدة [5].

---

(١) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٣١/٣ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ١١٦/١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ٢٤/١٢ .

(٤) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٧٤/٩ ، ٧٦ .

(٥) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٧٨ .

وكان الشيخ المفيد من أساتذة الاماميين في علم الحديث في بغداد بعد الشيخين الكليني والصدوق ، وكان كتابه (المقنعة في الفقه) قسم فيه الاحاديث عند الامامية الى ثلاثة اقسام وهي : [1]

١- الاخبار المتواترة .
٢- الاخبار الاحاد .
٣- الاخبار المرسلة .

وقد اعطى الشيخ المفيد رايه بالخبر الواحد ، ومدى حجيته بقوله : ((لايجب العلم ولا العمل بشيء من اخبار الاحاد ، وانه لا يجوز لاحد ان يقطع بخبر الواحد في الدين الا ان يقترن به ما يدل على صدق الرواية على البيان)) [2] . وكان حديث (اخبار الاحاد) موضع اجتهاد في صفوف فقهاء الامامية في مدينة بغداد ، فالشريف المرتضى ، لم يأخذ برأي أستاذه الشيخ المفيد بقوله : ((ابطلنا في الشريعة العمل بأخبار الاحاد لانها لا توجب علماً ولا عملاً)) [3] . وكان الشيخ الطوسي قد اقترب من استاذه الشيخ المفيد ، وابتعد عن استاذه الشريف المرتضى في كتابه (العدة في الاصول) فيقول : ((انا لا نقول ان جميع اخبار الاحاد يجوز العمل بها بل لها شرائط)) [4] الا اذا كانت اخبار الاحاد محفوفة بقرائن موجبة للعلم ، وانه وارد عن طريق العلماء القائلين بالامامة، وان الخبر مروي عن النبي

(١) Encyelopaedia oF Islam , VoL.1.P. 1452 .
(٢) المفيد : اوائل المقالات ص١٠٠ .
(٣) ابن ادريس: السرائر ص٣ .
(٤) الطوسي : عدة الاصول ص٥٤ .

الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) او عن واحد من الائمة عليهم السلام، وكان ممن لا يطعن في روايته ويكون شديداً في نقله [1]. وكان كتابا الشيخ الطوسي (التهذيب والاستبصار) من اهم كتب الحديث عند الامامية، في الوقت الذي ((صنف في كل فنون الاسلام)) [2]. وكان الشيخ الطوسي في علم الحديث تشد اليه الرجال ، وبه تبلغ رجاله غاية الامال ، وان لكتابي التهذيب والاستبصار مزية ظاهرة باستثناء ما يتعلق بالفروع بالاخبار ، خصوصاً كتاب (التهذيب) فانه كان للفقيه فيما يبتغيه من روايات الاحكام مغنيا عما سواه في الغالب ، ولا يغني عنه غيره في هذا المرام ، مضافاً الى ما اشتمل عليه التهذيب والاستبصار من الفقه والاستدلال والتنبيه على الأصول والرجال ، والتوفيق بين الاخبار ، والجمع بينها بشاهد النقل والاعتبار [3] . ويبدو ان تأليف كتاب (تهذيب الاحكام) جاء استجابة لطلب من رجال العلم فيقول: "ذاكرني بعض الاصدقاء ايده الله ممن اوجب حقه علينا باحاديث اصحابنا ايدهم الله ورحب السلف منهم ، وماوقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر الا وبازائه ما يضاده ، ولا يسلم حديث الا وفي مقابلته ما ينافيه ، حتى جعل مخالفونا ذلك من اعظم الطعون على

---

(١) الطوسي : عدة الاصول ص٥١ .

(٢) العلامة الحلي : الرجال ص١٤٨ .

(٣) بحر العلوم : الرجال ٣/٢٢٩ ، الخوانساري : الاجازة ورقة ١ ب .

مـذهبنا ، وتطرقـوا بـذلك الى ابطـال معتقـدنا [1] . وكـان الـشيخ الطوسـي شديد الحساسية ازاء هذا الظاهرة الغريبة في بابها في المأثورات الامامية وما تثير على الدوام في وجه الفقهاء وانصاف المتعلمين من اختبارات قاسية حيال بعض المواقف المتخاذلة في الاشخاص الذين لم يتعمقوا اصول المذهب ، ولم يتفهموا ظروف الاختلاف في الحديث ودوافعه ، فيحملهم جهلهم على التحول عن الجادة ، فوجد الشيخ الطوسي ان واجبه الديني في هذا الاختلاف ، كتابة (التهذيب) لإزالة ما في اذهان الخصوم من شوائب وغوامض ، وقد اعطى مثالاً سمعه من استاذه الشيخ المفيد يدور حول ابي الحسن الهاروني العلوي الذي كان يعتقد الحق ويدين بالامامة فرجع عن عقيدته لما التبس عليه الامر في اختلاف الاحاديث ، ودان بعقيدة اخرى ، وقد عقب الشيخ الطوسي على هذا المثال بقوله : ((وهذا يدل على انه دخل فيه على غير بصيرة ، واعتقد المذهب من جهة التقليد ، لان الاختلاف في الفروع لا يوجب ترك ما ثبت بالادلة من الاصول)) [2] ، وان المثال الذي قدمه الشيخ الطوسي يكشف عن الاضطراب العقائدي الذي كان يسود المجتمع البغدادي ، وتصدي المخالفين للمذهب الامامي ، والتشكيك جاء في تأليفه في مرحلة مبكرة من حياة الشيخ الطوسي العلمية في مدينة بغداد ، ومنذ تلمذته على الشيخ المفيد ، وربما جاء باشارة منه ، وقد كرسه في الاساس لشرح (المقنعة في الفقه) للشيخ المفيد ، وتوضيح

---

(١) الطوسي : تهذيب الاحكام ٢/١ – ٣ .

(٢) الطوسي : تهذيب الاحكام.

مسائلها ، وتقريب قضاياها الى المستفيدين منها من الطلاب والدارسين [١]. ويقول السيد الخوانساري : ان الشيخ الطوسي جعل كتاب تهذيب الاحكام بمنزلة العنوان لمسائل ذلك الكتاب ، ثم ليعلم ان رواية الشيخ الطوسي غالباً عن شيخة الجليل (الشيخ المفيد) [٢]. وقد انجز فصوله الاولى في حياة استاذه الشيخ المفيد كما يدل عليه دعاؤه لاستاذه بالتأييد ، ولكن المنية عاجلت الشيخ المفيد، ولم يطلع الا على جزء من مجهود تلميذه الشيخ الطوسي ، وان قوله (رحمه الله تعالى) [٣] له دلالة على ان بقية كتاب التهذيب الذي كتب بعد وفاة الشيخ المفيد. ويبدو ان الشيخ الطوسي قد ابتدأ بكتابه التهذيب في مرحلة نضجه العلمي، وقد اشار اليه عند تعداد مؤلفاته[٤]. واصبح هذا الكتاب احد الاصول الحديثية الاربعة المعول عليها عند الامامية ، فهو والاستبصار اصلان كبيران في الفكر الامامي [٥]. ويقول السيد حسن الصدر : ((فانه كاف للفقيه فيما يبتغيه من روايات الاحكام عما سواه في الغالب ، ولا يغني عنه غير فيه هذا المرام)) [٦]. وقد جاء تاليف كتاب ((تهذيب الاحكام)) استجابة لطلاب العلم في بغداد ، وقد اشار الشيخ الطوسي الى ذلك بقوله : ((ذاكرني بعض الاصدقاء ايد الله

---

(١) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٣١ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ص٥٦٣ .

(٣) الطوسي : التهذيب ١٢/٢ .

(٤) الطوسي : الفهرست ص١٨٨ .

(٥) ابو زهرة : الامام الصادق ص٤٥٩ .

(٦) الصدر : نهاية الدراية ص٢٣٨ .

ممن اوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا ايدهم الله ورحم بالعقائد التي امن بها الشيعة ، فلا بدّ من ايضاح الموقف الصحيح ازاء هذا التخرصات، وذلك بتاليف الكتب ووضعها امام الناس، ولذا انجز كتابه الاخر (الاستبصار فيما اختلف من الاخبار) بعد فراغه من تأليف كتابه (تهذيب الاحكام) ، وقد اراد من كتابه الاستبصار هو ابراز الاخبار المختلف عليها، واعطاء رايه فيها ، وايجاد نقاط التوفيق بينها [1]. وقد جاء الكتاب استجابة الى حاجة الدارسين في الفقه والحديث للاطلاع على الاراء التي جدت في هذا الباب، وعلى خبرات ذوي المعرفة ، ممن لهم احاطة وافية بمصالح الناس اليومية [2].

وكان الشيخ الطوسي في كتاب (الاستبصار) يقف من بعض روايات الشيخين الكليني والصدوق موقف المتفحص الناقد ، ولم يعتبرها قطعية الصدور ، فانه اعترض على بعض الروايات ان كانت ضعيفة الاسناد او مرسلة ونحو ذلك .

---

(١) الطوسي : الاستبصار ٥٤/٢ ، ٣/٢- ٣ .

(٢) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٥٩ .

الحقل الثالث : علم الفقه والفقه المقارن

اخذ الاماميون في الفقه والفقه المقارن بمبدأ الاجتهاد ، وهو بذل الجهد في استخراج الاحكام الشرعية ، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الاحكام من ادلة الشرع اجتهاداً لانها تبتني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الاكثر سواء كان ذلك الدليل قياساً او غيره ، ومعنى ذلك ان الاجتهاد هو استخراج الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي[1]. وقد اباح ائمة اهل البيت عليهم السلام لانصارهم هذا الجانب ، وقد اشار اليه الامام الصادق عليه السلام بقوله : ((علينا ان نلقي إليكم الاصول ، وعليكم ان تفرعوا)) [2] . ولذلك انه لا يجوز الاجتهاد بوجود النص ، وهذا مما ساعد على الابتكار في التشريع ومسايرة حالات التطور في المجتمع، ومن المؤسف ان اغلاق باب الاجتهاد عند فرق المسلمين -عدا الامامية- ادى الى اغلاق الراي المستقل ، وقد شهدت مدينة بغداد هذا الاتجاة الفكري منذ القرن الرابع الهجري ، ويقول المستشرق ادم متز : ((لقد توقف التكوين المستقل للتشريع الاسلامي المبني على الاجتهاد المطلق، وعلى الحكم بالراي في فهم القرآن والحديث ، ومضى عصر الابتكار في التشريع)) [3] . وان راي الاستاذ (ادم متز) يصدق على مذاهب المسلمين، عدا المذهب الامامي ، فقد اغلق باب الاجتهاد بوجه الفقهاء والمحدثين ،

---

(١) المحقق الحلي : معارج الاصول ص١١٧ – ص١١٨ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ١/١٢٤

(٣) ادم متز : الحضارة الاسلامية ١/٣٦٩.

ويقول الاستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين: ((شهد القرن الرابع الهجري ضعفاً في الحياة الفقهية عند اهل السنة نتيجة سدهم باب الاجتهاد، بعد فتحهم اياه في القرون التي سبقته ، ولكنه شهد نشاطاً فقهياً هائلاً لدى الامامية [1] . وتعود بدايات عصر الاجتهاد عند الامامية في القرن الثالث الهجري ، وقد حافظ عليه الشيخان : الحسن بن ابي عقيل العماني ، ومحمد بن احمد بن الجنيد [2] .ويقول السيد حسن الصدر : ان الشيخ العماني هو المؤسس في الفقه ، والمحقق في العلوم الشرعية ، والمدقق في العلوم العقلية [3] . ويعود التوسع في الاجتهاد للشيخ ابن الجنيد ومن جاء بعده من فقهاء الامامية ، ويقول السيد الخوانساري : ان ابن الجنيد اول من ابدع اساس الاجتهاد في احكام الشريعة ، واحسن الظن باصول فقه المخالفين من علماء الشيعة [4] . ولكن كتبه لم يعول عليها ، لانه كان يرى القول بالقياس [5] . وقد حافظ الشيخ المفيد على حركة الاجتهاد في المدرسة البغدادية ، واصبح عصره يشكل مرحلة جديدة في الفقه الامامي منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، وفرضت مؤلفاته في الفقه والاصول والفقه المقارن على المجتمع البغدادي ، واصبح كتاب المقنعة في الفقه يمثل الفكر الامامي بكل ابعاده ، واحتل كتاب ((احكام النساء)) موضعاً في اجتهاداته

---

(١) محيي الدين : ادب المرتضى ص٣٦ ، السبحاني : تاريخ الفقه ص٢٢١ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ٣٣/١ ، ٥٦٠/٢ .

(٣) الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٠٣ .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات ص٥٦١ .

(٥) الطوسي : الفهرست ص١٦٠ .

الفقهية، وقام تلميذه الشيخ الطوسي بشرحه في كتابه ((تهذيب الاحكام))، وقد انجزجزاءًمنه في حياة استاذه الشيخ المفيد ، واكمله بعد وفاته .

وكان الشريف المرتضى قد سلك منهج الشيخ المفيد في كتبه الفقهية والاصولية والكلامية ، واصبح مجدد الفكر الامامي في القرن الرابع الهجري[١] . وفرض وجوده العلمي والاجتماعي على المدرسة البغدادية وكتب في اكثر ابواب المعرفة الاسلامية ، ومنها الفقه المقارن ، وقد ضم كتابه الانتصار، ثلاثمائة وست وعشرين مسالة ، وقد انجزه عام ٤٢٠ هـ [٢] . وكتابه (الناصريات) وقد ضم مائتين وسبع مسالة فقهية وعقائدية وقد الفه لجده لامه السيد الحسن الاطروش ، صاحب طبرستان والديلم ، وكان زيدي المذهب [٣] .

وقد ورث الشيخ الطوسي من استاذيه المفيد والمرتضى ثقافته الفقهية واصبح رائد المدرسة البغدادية بعدهما ، ويقول الشيخ القمي : كان ابو عذرة هذه الصناعة ، المرسى اليه زمام الانقياد والطاعة [٤] . وقد تناول في كتابه (النهاية) جميع ابواب الفقه ، وكان كتاب (المبسوط) اخر مؤلفاته الفقهية[٥] .وكتب في الفقه المقارن كتاب(الخلاف) ، وهكذا استطاع الشيخ

---

(١) الكاظمي : مقابس الانوار ص٨ .

(٢) محيي الدين : ادب المرتضى ص١٣٤ .

(٣) الافندي : رياض العلماء ورقة ٦٩ .

(٤) القمي : تحفة الالباب ص٣٢٤ .

(٥) ابن ادريس : السرائر ص١٣ .

الطوسي ان يصب كل تلك الطاقات في بناء علمي واحد ، ويضيف اليها من عطائه وابداعه ، واهبا للعلم اسباب الانتقال الى مرحلة جديدة من مراحل النمو والتطور[1] . واصبح الشيخ الطوسي في طليعة فقهاء عصره في مجال الاجتهاد المطلق ، وقدرته على استنباط الاحكام الفعلية من امارة معتبرة او اصل معتبر عقلاً او نقلاً في الموارد التي لم يظفر فيها بها [2] .وقد رسم الشيخ الطوسي طريقاً للفقهاء الذين اعقبوه ، واوضح لهم طريق النظر والاستنباط ، حتى اصبحت اراؤه الفقهية مسلماً بها ، ومن الصعب ان يتعداها احد من الفقهاء قرابة قرن ونصف من الزمن حتى كاد ان يسد باب الاجتهاد عنده الامامية ، لولا حركة الشيخ ابن ادريس الحلي التي فتحت الباب على مصراعيه ، وذلك بمناقشة اراء الشيخ الطوسي وتنفيذ بعضها [3]. ولكن بقيت اراؤه موضع اعتماد الفقيهين الكبيرين (المحقق والعلامة) الحليين ، ويقول السيد بحر العلوم : ان الشيخ الطوسي خريت هذه الصناعة، والملقى اليه زمام الانقياد والطاعة ، وكل من تأخر عنه من الفقهاء والاعيان ، فقد تفقه على كتبه واستفاد منه نهاية اربه ومنتهى طلبه[4]. فقد كان يقف عند الاحكام الفقهية والاصولية موقف الشارح لها، حيث يتوسع فيها توسعاً كبيراً ، ونتلمس ذلك ايضاً في تفسيره الكبير

(١) الامام الخوئي : رسالته للمرجان الالفي للشيخ الطوسي ص١ – ص٢ .
(٢) الرشتي : شرح كفاية الاصول ٣٤٨/٢ .
(٣) الحكيم : الاجتهاد الفقهي والواقع المعاصر للمجتمع الاسلامي ص٣٠ .
(٤) بحر العلوم : الرجال ٢٢٩/٣ – ٢٣٠ .

(التبيان) عند تعرضه لبعض الاحكام الفقهية [1] .وكان السيد ابو الفضائل احمد بن طاووس (ت٦٧٣هـ) يوصي ولده بالرجوع الى كتب الشيخ الطوسي بقوله: ((واذا اردت الاشتغال بالفقه فعليك بكتب جدك ابي جعفر الطوسي فانه رحمه الله ما قصر فيما هداه الله جل جلاله اليه ودله عليه)) [2] . فقد كان كتاب (النهاية) في مجرد الفقه والفتاوى ، وقد تناول فيه كل ابواب الفقه مرتبه حسب الفروع المستنبطة ، وهو اول مصنفات الشيخ الطوسي في الفقه[3] . وقد اشار اليه الشيخ الطوسي بقوله : ((ما عرفت لاحد من الفقهاء كتاباً واحداً يشتمل على الاصول والفروع مستوفياً مذهبنا بل كتبهم وان كانت كثيرة فليس يشتمل عليها كتاب واحد ، واما اصحابنا فليس لهم في هذا المعنى شيء يشار اليه بل لهم مختصرات واوفى ما عمل في هذا المعنى كتابنا النهاية ، وهو على ما قلت فيه)) [4] . وقد كشف الشيخ الطوسي عن اولوية قام بها في كتابة الفقه بصوره وافية ، بعيداً عن المختصرات التي كتبها فقهاء الامامية قبله ، واصبح المرجع الاول في التدريس حتى قيام الشيخ المحقق الحلي (ت٦٧٦هـ) بتأليف كتابه الشهير

---

(١) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٤٥٢ .

(٢) ابن طاووس : كشف المحجة ص١٣٧ .

(٣) بحر العلوم : الرجال ٢٣٣/٣ .

(٤) الطوسي : المبسوط ص٤ .

((شرائع الاسلام))[1] . وقد شرح كتابه النهاية للشيخ الطوسي عدد من اعلام الامامية ومنهم :[2]

١- الشيخ ابو علي بن الشيخ الطوسي .

٢- الشيخ سليمان بن الحسن الصهرشتي .

٣- الشيخ سعيد بن هبة الراوندي .

٤- الشيخ المحقق الحلي جعفر بن الحسن الهذلي .

ويعد كتاب (المبسوط) للشيخ الطوسي ، من كتب الفقه المهمة التي صدرت بمدينة بغداد في القرن الخامس الهجري ، وقد اشتمل على ثمانين كتاباً ، قد ضم فروع الفقه كلها ، ولم يصنف مثله [3] . ويقول السيد حسن الصدر : ان كتاب المبسوط من الكتب الاولوية في مضمار الفقه ، لم يسبقه احد في الإسلام الى مثله في التفريع على الاصول الفقهية ، وعلى غاية من الاستقصاء[4] .وله اصالة في العلم ، وعمق في الاستدلال ، وهو بذلك يمثل التطور الذي وصل اليه الفقه في زمن الشيخ الطوسي في تنقيحه [5] . ويقول الامام السيد الخوئي : ان الفقه قد نشأ في احضان الحديث ، ولم يكن قد خطا في مسيرته الفكرية حين ظهور الشيخ الطوسي على المسرح العلمي ،

---

(١) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٦٢ .

(٢) النوري : مستدرك الوسائل ٣/٥٠٦ .

(٣) الطوسي : الفهرست ص١٨٩ .

(٤) الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٠٤ .

(٥) الخوئي : رسالته للمهرجان الالفي للشيخ الطوسي ص٢ .

الابضع خطوات ، ولم يكن قد اكتسب طابعه العلمي المحدد ، ولهذا كانت الكتب الفقهية عبارة عن تجميع لمتون الروايات وتبويب لهذا المتون مع شيء بسيط من التفكير والموازنة ، وقد فرض هذا الواقع المرحلي على الفقه الشيعي من الناحية الموضوعية الاقتصار - تقريباً- على القضايا المثارة في اسئلة الرواة ، واجوبة الائمة سلام الله عليهم وفرض من الناحية المنهجية الاقتصار -غالباً- على الاستدلال بالنص في استنباط الحكم الشرعي. ويقول السيد بحر العلوم : ان كتاب المبسوط للشيخ الطوسي قد وسع فيه التفاريع ، واودعه دقائق الانظار [(١)] . وقد اعتمد العلامة الشيخ ابن ادريس الحلي في كتابه (السرائر) وفي باب ذكر الانفال ومن يستحقها وقد استطاع الشيخ الطوسي ان يقدم في نتاجه الفقهي الدليل المحسوس على ان الاصول الفكرية لمدرسة اهل البيت عليهم السلام قادرة على تزويد الفقه الشيعي بالمناهج والادوات الفكرية التي تمكنه من استنباط أي حكم في جميع الوقائع التي بحثها الفقه السني [(٢)] .ويبدو ان ظروف بغداد التي عايشها الشيخ الطوسي ومعاصرته لفقهاء مذاهب المسلمين جعلته يقدم للفكر الاسلامي نتاجا فكريا وفقهيا جديداً ، يعبر عن اصالة فكر ال البيت عليهم السلام ، ومن المحتمل انه استمع الى نقد لاذع للمدرسة الشيعية عند رفضها للقياس والاستحسان ، واصرارها على الاستغناء عن ذلك بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وقد اشار الشيخ الطوسي الى هذه الظاهرة بقوله :

---

(١) بحر العلوم : الرجال ٢٣٠/٣ .

(٢) الخوئي : رسالته للمهرجان الالفي ص٣ .

((فاني لا ازال اسمع معاشر مخالفينا من المتفقهة والمنتسبي الى علم الفروع يستحقرون فقه اصحابنا الامامية ويستنزونه وينسبونهم الى قلة الفروع وقلة المسائل ، ويقولون انهم اهل حشو ومناقضة وان من ينفي القياس والاجتهاد لا طريق له الى كثرة المسائل ولا التفريع على الاصول ، لان جل ذلك وجمهوره ماخوذ من هذين الطريقين ، وهذا جهل منهم بمذهبنا وقلة تأمل لاصولنا ، ولو نظر وا في اخبارنا وفقهنا لعلموا ان جل ما ذكروه من المسائل موجود في اخبار منصوص عليه عن ائمتنا)) [1] . وكان السبب العقائدي في مقدمة الاسباب التي دفعت الشيخ الطوسي الى تأليف كتاب (المبسوط) ، وانه في هذا الجانب قد قطع شوطاً كبيراً في تطور الكتابة الفقهية ، ودفع الفقه الامامي الى اوساط المذاهب الاسلامية لدراسته ، وذلك لاحتوائه على الفروع والتفصيلات في الفقه السني ، وعند ذلك نقل الشيخ الطوسي البحث الفقهي الى اوسع نطاق ، وقد اوضح منهجه بقوله : ((فعدلت الى عمل كتاب يشتمل على عدد بجميع كتب الفقه التي فصلها الفقهاء ، وهي نحو من ثمانين كتابا اذكر كل كتاب منه على غاية ما يمكن تلخيصه من الالفاظ واقتصرت على مجرد الفقه دون الادعية والاداب ، واعقد فيه الابواب ، واقسم فيه المساءل واجمع بين النظاير واستوفيه غاية الاستيفاء واذكر اكثر الفروع التي ذكرها المخالفون ، واقول ما عندي على ما تقتضيه مذاهبنا وتوجبه اصولنا بعد ان اذكر جميع المسائل)) [2] . وقد

---

(١) الطوسي : المبسوط ص٣ .

(٢) الطوسي : المبسوط ص٣ .

اعطت مقدمة كتاب (المبسوط) للشيخ الطوسي بواعث واهداف الكتاب، وهي تكشف عن انه صاحب مدرسة فقهية اخذت على عاتقها اخراج الفقه من محيطه الضيق الى مجاله الاوسع ، بحيث يتناسب مع ما بلغته مدرسة بغداد من تطور وتجديد في مختلف مجالات المعرفة ، ويقول الامام السيد محمد باقر الصدر: ان البحث الفقهي الذي سبق الشيخ الطوسي وادركه هذا الفقيه العظيم وضاق به ، كان يقتصر في الغالب على استعراض المعطيات المباشرة للاحاديث والنصوص ، وهي ما سماها الشيخ الطوسي باصول المسائل ، ويتقيد في استعراض تلك المعطيات بنفس الصيغ التي جاءت في مصادرها في تلك الاحاديث ، ومن الطبيعي ان البحث الفقهي حين يقتصر على اصول المسائل المعطاة بصورة مباشرة في النصوص ويتقيد بصفتها المأثورة ، يكون بحثاً منكمشاً لا مجال فيه للابداع والتعمق الواسع النطاق [1] . وقد اعطى كتاب (المبسوط) دليلاً على اجتهاد الشيخ الطوسي وذلك باستدلالاته العقلية ، وكان الشيخ الطوسي في كتابه (الخلاف) وهو في الفقه المقارن، قد ناظر فيه فقهاء المذاهب الإسلامية ، وذكر فيه ما اجتمع عليه الاماميون من مسائل الدين [2] . ويقول الشيخ محمد ابو زهرة : ان الشيخ الطوسي مع علمه بفقه الامامية ، وكونه من اكبر رواته كان على علم بفقه السنة ، وله في هذا دراسات مقارنة ، وكان عالماً في الاصول على

---

(١) الصدر : المعالم الجديدة للاصول ص٦٠ .

(٢) بحر العلوم : الرجال ٣/٢٣٠ .

المنهـاجين الامـامي والـسني ولـذا تتلمـذ عليـه اعـلام مـن كـل مـذاهب المسلمين[1] . وكان قد تفقه في بغداد على اعلام من اهل السنة وهم : [2]

١- ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت الاهوازي .

٢- ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى الفحام السامرائي .

٣- ابو الحسين بن سوار المغربي .

٤- ابو الطيب الطبري الحويري .

٥- ابو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي .

٦- ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدل .

٧- ابو الحسن محمد بن احمد بن شاذان .

٨- ابو الفتح محمد بن احمد بن ابي الفوارس .

٩- ابو الحسين محمد بن علي بن خشيش .

١٠- ابو الحسن محمد بن محمد بن محمد بن مخلد .

١١- محمد بن سنان .

١٢- ابو منصور السكري .

---

(١) ابو زهرة : الامام الصادق ص٢٦٠ .

(٢) الحكـيم : الـشيخ الطوسـي ص١١٨ ، ص١٢٧ ، ص١٣٧ ، ص١٤٠ ، ص١٥٤ ، ص١٥٦ ، ص١٥٧ ، ص١٥٩ ، ص١٦٠ ، ص١٦٨ ، ص١٦٩، ص١٧٠ .

١٣- ابو الفتح هلال بن محمد الحفار .

ويعطي اعلام اهل السنة الذين تتلمذ عليهم الشيخ الطوسي في مدينة بغداد ، صورة على انفتاح اعلام الامامية على المذاهب الاسلامية الاخرى، وهذا مما اسهم في سعة التأليف في الفقه المقارن ، وكان كتاب (الخلاف) شاهداً على ذلك . فأنه لا يستغني عنه الفقيه والقانوني والمحدث، وقد جمع فيه الاراء الفقهية المختلفة وتقييمها والموازنة بينهما بالتماس ادلتها ، وترجيح بعضها على بعض [١] . ويعد كتاب (مصباح المجتهد) من اهم كتب الادعية للشيخ الطوسي ، وقد اثار حسد المناوئين للفكر الامامي وبخاصة دعاء يوم عاشوراء [٢] . وكان الشيخ ابو عبد الله احمد بن عبد الواحد بن احمد البزاز المعروف بابن عبدون والملقب بابن الحاشر (ت٤٢٣هـ) قد عاصر علماء الامامية الكبار بمدينة بغداد كابن قولويه ، والشيخ الصدوق ، والشيخ المفيد ، والسيدين الشريفين الرضي والمرتضى، واصبح من كبار علماء الامامية ، واكتسب لقب (الحافظ) وقد تتلمذ عليه الشيخان النجاشي والطوسي في بغداد [٣] . وقد وثقه علماء الرجال [٤] . ويقول الشيخ الطوسي : ((سمعنا منه ، واجاز لنا بجميع ما رواه)) [٥] وكان

---

(١) الحكيم : الفقه المقارن ص١٣ .

(٢) الطوسي : المصباح ص٥٤٢ ، مختصر المصباح ورقة ٢٠٧ .

(٣) الطهراني : مصفى المقال ص١٨ .

(٤) العلامة الحلي : الرجال ص٢٠ ، ابن داود : الرجال (باب الممدوحين) .

(٥) الطوسي : الرجال ص٤٥٠ .

يشير اليه بلفظي (اخبرني واخبرنا) في كتابيه (الاستبصار والفهرست) ويروي عنه بالاشتراك مع شيخيه : المفيد والغضائري [1] . ويعد الشيخ ابن عبدون امام الفقه والحديث في عصره ، فضلاً عن موقعه في الادب ، وكان من مشايخ الاجازة العلمية ، ولم يضعفه احد من علماء الحديث والرجال، وكان قد تتلمذ على اعلام الفقه والحديث في القرن الرابع الهجري ، ومنهم:

١- ابو الحسن محمد بن علي الشجاعي الكاتب .

٢- ابن ابي الزبير القرشي .

٣- الحسن بن محمد بن حمزة الحسيني الطبري .

٤- ابو طاهر محمد بن عبد الله الزراري .

٥- ابو طالب عبد الله بن احمد الانباري .

وقد التقى الشيخ ابن عبدون بابن ابي الزبير القرشي بمدينة بغداد عام ٣٤٨ هـ الذي كان اعلى مشايخ عصره سنداً لتقدم طبقته ، وقد احتل في المدرسة البغدادية موقعاً متقدماً ، وكانت كتبه تدور حول التفسير والتاريخ والحديث والفقه ومنها : [2]

---

(١) الطوسي : الفهرست ص٤٣ ، ص٤٥ ، ص٥٢ ، ص٥٦ ، ص٥٧ وغيرها .

(٢) الحكيم : ابن عبدون امام الفقه والحديث في عصره ، جريدة الاستاذ الجامعي ، العدد الاول ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

١- كتاب التفسير .

٢- كتاب التاريخ (تاريخ ابن عبدون او ابن الحاشر) .

٣- كتاب الحديثين المختلفين .

٤- كتاب اداب الخلفاء .

٥- كتاب خطب فاطمة عليها السلام .

٦- كتاب عمل الجمعة .

٧- كتاب اخبار السيد الحميري .

وقد اطلق على الشيخ ابن عبدون لفظ (شيخ الشيعة ، والشيخ الاقدم)، ولكن الذي يؤسف عليه ، ان مؤلفاته اصبحت في عداد الكتب المفقودة .

الحقل الرابع : علم الاصول

ارتكز علم الاصول عند الامامية على اعمدة رئيسية وهي : القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والاجماع ، والعقل ، وهذه الاعمدة هي التي تستمد منها الاحكام الشرعية ، ويقول الامام السيد محمد باقر الصدر : ان بروز علم الاصول جاء بعد ابتعاد عملية الاستنباط عن عصر التشريع ، وانفصالها عن ظروف النصوص الشرعية وملابساتها ، لان الفاصل الزمني عن ذلك الظرف هو الذي يخلق الثغرات والفجوات في عملية الاستنباط ،

وهذه الثغرات هي التي توجد الحالة الملحة الى علم الاصول والقواعد الاصولية [1] . وقد توسع علم الاصول في المدرسة البغدادية في اواخر القرن الرابع الهجري على يد الشيخ المفيد في كتابه (التذكرة بأصول الفقه).

وقد ادرجه الشيخ ابو الفتح الكراجكي في كتابه (كنز الفوائد) وجاء كتاب (الذريعة) للسيد المرتضى ، وهو اوسع من كتاب استاذه الشيخ المفيد، حيث استوفى فيه كل مباحث علم الاصول [2] . ولكن الشيخ الطوسي قد اوصل علم الاصول الى دور جديد من النضج الفكري ، كما انه تمكن من نقل علم الفقه ال مستوى ارفع من التفريع والتوسيع [3] . وقد اشار العلامة الشيخ محمد ابو زهرة الى هذه النقلة النوعية في علم الاصول بقوله : ((جاء القرن الخامس الهجري وهو عصر الموسوعات الفقهية ، بل الموسوعات في كل العلوم الاسلامية ، فكان للشيعة اعلام كتبوا المبسوطات في الفقه واصوله ، وكان على رأس أولئك الاعلام الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي [4])) ولم تكن دراسة الشيخ الطوسي لعلم الاصول امتداداً للخط الذي سلكه علماء الامامية قبله ، وانما كانت تعبر عن تطور جديد لجزء من تطور شامل في التفكير الفقهي

(١) الصدر : المعالم الجديدة للاصول ص٥٢ .

(٢) ابو زهرة : الامام الصادق ص٢٨١ .

(٣) الصدر : المعالم الجديدة ص٥٦ .

(٤) ابو زهرة : الامام الصادق ص٢٨١ .

والعلمي كله ، اتيح لهذا الفقيه الرائد ان يحققه [1] . وبخاصة في كتابه الكبير (العدة في اصول الفقه) ، بعد ان راى فراغا في علم الاصول عند الامامية ، ولا بد من تأليف كتاب واف ، فيقول : ((لم تعهد لاحد من اصحابنا في هذا المعنى الا ما ذكره شيخنا ابو عبد الله -ويقصد الشيخ المفيد- في المختصر- أي كتاب التذكرة باصول الفقه والمختصر للشيخ الكراجكي- الذي له في اصول الفقه ولم يستقص ، وشذ منه اشياء يحتاج الى استدراكها وتحضيرها، وان سيدنا الاجل المرتضى-ادام الله علوه- وان كثر في اماليه وما يقرأ عليه شرح ذلك فلم يصنف في هذا المعنى شيء يرجع اليه ويجعل ظهراً يستند اليه ، وقلتم ان هذا فن من العلم لابد من شدة الاهتمام به لان الشريعة كلها مبنية عليه ، ولا يتم العلم بشيء منها من دون احكام اصولها، ومن لم يحكم اصولها فانما يكون حاكياً ومقلداً ،ولا يكون عالماً ، وهذه منزلة يرغب اهل الفضل عنها)) [2] . وقد جاء كتاب العدة فريداً في بابه ، ولم يصنف مثله، وكان في غاية البسط والتحقيق [3] . ويقول السيد محمد باقر الصدر : ان كتاب العدة يعبر عن تطور ملحوظ في التفكير العلمي والاصولي ، بينما كان كتاب المبسوط في الفقه تعبيراً عن التطور العظيم في البحث الفقهي على صعيد التطبيق بالشكل الذي يوازي التطور

---

(١) الصدر : المعالم الجديدة ص٥٦ .

(٢) الطوسي :العدة في اصول الفقه ص٢ .

(٣) الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ص٥٧ .

الاصولي على صعيد النظريات [1] .ويقول الامام السيد الخوئي : ان الشيخ الطوسي في كتابه (العدة) قد واكب التوسع الفقهي نحو محسوس في الفكر الاصولي تمثل هو الاخر في كتاب العدة ، ولم يحقق هذا مرحلة جديدة في تطوير الفكر الفقهي الشيعي ومناهجه الاصولية فحسب ،بل حقق مكسبا عقائدياً كبيراً ، اذ رد على ذلك الاتهام الذي وجهه الخصوم الفكريون الى مدرسة اهل البيت عليهم السلام، وتحميلها مسوؤلية عجز الفقه الشيعي عن النمو والامتداد [2] . واشار الشيخ الطوسي الى حالة التوسع في الدراسات الاصولية ، وابتعادها عن التقليد بقوله : ((ومن لم يحكم اصولها ، انما يكون حاكياً ومقلداً ، ولا يكون عالماً)) [3] . وقد احدثت اراء الشيخ الطوسي الاصولية في كتابه (العدة) اختلافاً في الراي في صفوف الامامية، وبخاصة في مسالة (اخبار الاحاد) .

وقد خالف الشيخ الطوسي استاذه الشريف المرتضى في رايه ((ابطلنا في الشريعة العمل باخبار الاحاد لانها لا توجب علماًولا عملاً)) [4] . وقد ادعى الشيخ الطوسي ان الامامية اجمعت على العمل باخبار الاحاد ، وفق شروط معينة ، وعند ذلك انشطر الاماميون الى شطرين هما :

---

(١) الصدر : المعالم الجديدة للاصول ص٥٦ .

(٢) الخوئي : رسالته الى المهرجان الالفي للشيخ الطوسي ص٣ .

(٣) الطوسي :العدة ص٢ .

(٤) ابن ادريس : السرائر ص٢ .

١-المقلدة : وهم الذين يرون ان اراء الشيخ الطوسي اصلاً مسلماً ويعدون التأليف في قبالها ، واصدار الفتاوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ الطوسي واهانة له [1] . وقد اخذ بارائه العالمان الكبيران : المحقق والعلامة الحليان .

٢- المعارضة : وهم الذين يرون ان باب الاجتهاد سوف يغلق عند الامامية ما لم توخذ اراء الشيخ الطوسي بالنقد والمناقشة ، وقد حمل راية المعارضة الشيخ ابن ادريس الحلي .

الحقل الخامس : علم الرجال

ان الاصول الرجالية المعروفة عند الامامية ، قد كتب اغلبها بمدينة بغداد ، في اواخر القرن الرابع الهجري ، واواسط القرن الخامس الهجري، وهي :

١- الرجال للشيخ محمد بن عمر الكشي ، المتوفى في اواخر القرن الرابع الهجري .

٢- الرجال للشيخ الحسين بن عبد الله الغضائري ، المتوفى عام ٤١١ هـ .

٣- الرجال للشيخ احمد بن الحسين الغضائري .

٤- الرجال للشيخ احمد بن علي النجاشي ، المتوفى عام ٤٥٠ هـ .

٥- الرجال للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، المتوفى عام٤٦٠هـ.

---

(١) الامين : اعيان الشيعة ٣٦/٤٤ .

وقد اشار الرجاليون الى كتاب (الفهرست) للشيخ النجاشي الذي هو نفسه كتاب الرجال في حين ان للشيخ الطوسي كتاب (الفهرست) فضلاً عن كتاب (الرجال) ، وقد وصلتنا هذا الكتب الرجالية عدا كتابي الكشي والغضائري ، وقد استطاع الشيخ الطوسي تهذيب رجال الكشي وتلخيصه فيقول : ((هذه الاخبار اختصرتها عن كتاب الرجال لابن عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز واخترت ما فيها)) [1] . ويقول الشيخ النجاشي : ان في كتاب الكشي اغلاط كثيرة [2] . ولذا تصدى له الشيخ الطوسي وازال منه هذه الاغلاط في الوقت الذي وصف الكشي بقوله : ((ثقة بصير بالرجال والاخبار)) [3] . وكان الشيخ الكشي قد قسم الرجال الى طبقات ، فكانت الاولى الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم وقد ابتدا بالصحابي الجليل سلمان الفارسي ، ومن بعدهم اصحاب الائمة عليهم السلام منتهياً باصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام ، وقد قام السيد جمال الدين ابو الفضائل احمد بن موسى بن طاووس ، المتوفى عام ٦٧٣ هـ بجمع الاصول الرجالية عند الامامية بكتابه (حل الاشكال في معرفة الرجال) بقوله : ((قد عزمت على ان اجمع في كتابي هذا اسماء الرجال المصنفين وغيرهم ، ممن قيل فيه مدح او قدح من كتب خمسة : كتاب الرجال لشيخنا ابي جعفر محمد بن الحسن رضي الله عنه ، وكتاب فهرس

---

(١) ابن طاووس : فرج المهموم ص١٣١ .

(٢) النجاشي : الرجال ص٢٨٨ .

(٣) الطوسي : الرجال ص٤٩٧ .

المصنفين له ، وكتاب اختيار الرجال من كتاب الكشي ابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز له (ويقصد الشيخ الطوسي) وكتاب ابي الحسين احمد بن العباس النجاشي الاسدي ، وكتاب ابي الحسين احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري في ذكر الضعفاء خاصة رحمهم الله جميعا ، ناسقا للكل على حروف المعجم ، وكلما فرغت من مضمون كتاب في حرف شرعت في الاخر ضاماً حرفا الى حرف منتهيا على ذلك الى اخر الكتاب ، وبعد الفراغ من الاسماء شرعت كذلك في اثبات الكنى ونحوها من الالقاب، ولي بالجميع روايات متصلة عدا كتاب ابن الغضائري واختص كتاب الاختيار من كتاب الكشي بنوعي عناء لم يحصلا في غيره [1]

وقد علل العلامة الشيخ اغابزرك الطهراني سبب الاستثناء هذا من كلام ابن طاووس بقوله : ((فيظهر منه لم يروه على احد ، وانما وجده منسوباً اليه ولم يجد السيد كتاباً أخر للممدوحين منسوباً الى ابن الغضائري، والالكان يدرجه ايضا ولم يقتصر على الضعفاء)) [2] . اما عن تلف كتاب ابن الغضائري ، فيبدو ان السيد ابا الفضائل ابن طاووس وجد كتاباً اخر لابن الغضائري وهو في الرجال الضعفاء والمذمومين ، فادرجه في كتابه (حل الاشكال) وعده من الاصول الخمسة الرجالية عند الامامية ، وقد جمع العلامة القهبائي عناية بن علي هذه الاصول في كتابه (مجمع الرجال) وكانت للشيخ الطوسي تصويبات على بعض الهفوات التي وقع

---

(١) الكنتوري : كشف الحجب ص١٩٩ ، الطهراني : الذريعة ٦٥/٧ .

(٢) الطهراني : الذريعة ٢٨٨/٤ .

فيها الشيخ الكشي عند حديثه عن بعض رجال الائمة عليهم السلام [1] .

واشار الشيخ القهبائي الى اهمية اختيار الرجال للشيخ الطوسي ، بعد اختفاء كتاب الرجال للشيخ الكشي بقوله : ((فلما كان كتاب اختيارالرجال المتجزئ على سبعةاجزاء للشيخ الاجل شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي قدس سره الموضوع لذكر الرجال الخاصة وبيان حالهم بالروايات الواردة فيهم واقوال المعتمدين في هذا الفن المنتخب من كتاب الشيخ المقدم ابي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي رحمه الله في معرفة الرجال من العامة والخاصة المشتمل على بعض اقوال منتخبة في تعيين بعض حال الرجال كما يظهر عند الناظر المتأمل فيه المشهور بكتاب الاختيار لانتخابه منه غير مرتب، وكان يترتب عليه الامور من الاشتباه في الرجال وعدم سهولة تحصيل المطلوب وتمام معرفة حاله حيث كانت متفرقة فيه وغيرها ، تشرفت بترتيبه على حروف الهجاء بعين عبارته بغير تغيير فيها الامايلزمه من ذكر كل رجل متصل بآخر في عنوان بما يخص به والتزام ذكر كل رجل غير معنون يفهم مدحه في الكتاب من رواية ، واقول بعنوان في المحل المناسب له ايفاء لحقه وكذلك المذكور بالذم خوفاً من وقوعه في رواية فيعلم حاله [2] .

وكتب الشيخان : الحسين بن عبيد الله الغضائري ، وابنه احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري وقد عرفا برجال (ابن الغضائري) وقد

---

(١) الطوسي : الفهرست ص١٥٥ .

(٢) القهبائي : مقدمة اختيار الرجال ورقة ١ .

التبس الامر على بعض الباحثين بين احمد الغضائري وابيه ، وقد كان الشيخ احمد بن الحسين بن عبيد الله الغضائري معاصراً للشيخ الطوسي ، وبحكم هذه المعاصرة ازال الالتباس بين شخصيتي الغضائري بقوله : ((ولم يتعرض احد منهم لاستيفاء جميعه -أي علم الرجال- الاما قصره ابو الحسين احمد بن عبيد الله رحمه الله)) [1] . ولكن كتاب ابن الغضائري قد تلف ، ولم يبق له اثر سوى ماورد ذكره في المصادر الرجالية الاخرى .

وقد عقب العلامة الشيخ اغابزك الطهراني على كلام الشيخ الطوسي بقوله : ((الظاهر من كلامه -يعني الشيخ الطوسي- انهما غير الكتابين الذين يقال انه الفهما صاحب الترجمة -يعني ابن الغضائري- وكان احدهما في الرجال الممدوحين والموثقين ، والاخر في الضعفاء والمذمومين ، وقد اخرج الاخير بتمامه وعين عبارته على ما وجدنا منسوباً اليه السيد ابو الفضائل احمد بن طاووس المتوفى ٦٧٣ هـ في كتابه حل الاشكال المجموع في الاصول الخمسة من الكتب الرجالية)) [2] وقد تتلمذ الشيخ ابو العباس احمد بن علي الاسدي النجاشي ، المتوفى عام ٤٥٠ هـ ، على ابن الغضائري الحسين بن عبيد الله المتوفى عام ٤١١ هـ ، في مدينة بغداد وكان يحضر مجالسها العلمية وفيها مجلس الشيخ هارون التلعكبري ، ومجلس الشيخ المفيد ، ومجلس الشريف المرتضى ، وقد تتلمذ عليهم ، وعلى اخرين

---

(١) الطوسي : الفهرست ص٢٤ .

(٢) الطهراني : مصفى المقال ص٤٦ .

من علماء بغداد ويقول تلميذه الشيخ سليمان بن الحسن الصهرشتي : ((كان شيخا بهياً ، ثقة صدوق اللسان ، عند الموافق والمخالف)) [١] . وقد برز في علم الرجال في المدرسة البغدادية، وتفوق على علماء عصره في هذا الجانب المعرفي ، ويقول الشهيد الاول (ت٧٨٦هـ) : ((وظاهر حال النجاشي انه اضبط الجماعة ، واعرفهم بحال الرجال)) [٢] . ويقول العلامة الحلي : انه ثقة معتمد عليه ، وثقة معظم [٣] . وقد جعله الرجاليون في مقدمة اعلام عصره في علم الرجال ، فيقول الشيخ القمي : ((انه شيخ ثقة مسلم الكل ، يقدم قوله على الاقوال عند التعارض حتى الشيخ ابي جعفر الطوسي)) [٤]. وبخاصة في مجال الجرح والتعديل ، فانه قد تضلع في ذلك كما يبدو من خلال تراجم كتابه ، ويقول الشيخ النوري : ((انه من اعظم اركان الجرح والتعديل ، واعلم علماء هذه السبيل اجمع علماً وان على الاعتماد عليه ، واطبقوا على الاستفادة من احواله الرجالية)) [٥] . ويقول علماء الرجال : انه العالم النقاد ، البصير المضطلع الخبير الذي هو افضل من خط فن الرجال بقلم او نطق بفم ، فهو الرجل كل الرجل لا يقاس بسواه ولا يعدل به من عداه كلما زدت به تحقيقا ازددت به وثوقا ، وهو

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٦٠/١ .
(٢) النوري : مستدرك الوسائل ٥٠١/٣ ، الكلباسي : سماء المقال ص٦٥ .
(٣) العلامة الحلي : الرجال ص٢١ .
(٤) القمي : سفينة البحار ٣٠٢/١ – ٣٠٣ .
(٥) النوري : مستدرك الوسائل ٥٠١/٣ .

صاحب الكتاب المعروف الداير الذي اتكل عليه الاصحاب [1] . وفي كتابه هذا تبرز شخصيته العلمية في اعطاء الرجال ما يناسبهم من مصطلحات الجرح والتعديل بدقة وموضوعية [2] . فانه قد رتب كتابه وفق حروف المعجم ، ولم يكتف بترجمة الرجل ، بل ذكر الى جانبه مؤلفاته ، ومدى وثاقته ، وتسلسل رواته ، وقد افرد في نهايته باباً لمن اشتهر بالكنية [3] . وقد وضع العلامة الطهراني كتاب (الرجال) للشيخ النجاشي في مقدمة كتب الرجال وقال : انه عمدة الاصول الرجالية ، نظير كتاب (الكافي) للشيخ الكليني ، بانه عمدة الاصول في علم الحديث [4] .

وقد اعطى محيط بغداد العلمي في القرن الرابع الهجري للشيخ النجاشي فرصة التحلق في المؤسسات العلمية والفكرية ، وحصوله على الاجازات العلمية ، فكان يحضر دور العلماء ، ويستمع اليهم ، وفي مقدمتهم والده الذي اشار اليه بقوله : ((سمعنا منه ببغداد)) [5] . ويقول السيد محسن الامين : ((ان كثرة المشايخ العارفين بالحديث والرجال تفيد زيادة الخبرة في هذا المجال ، فانه علم منوط بالسماع ولمراجعة الشيوخ الكثيرين مدخل عظيم في كثرة الاطلاع ، والذي يظهر من طريق النجاشي

---

(١) القمي : الكنى والالقاب ٢٠٧/٢ ، الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٢٦٧.

(٢) الحكيم : الشيخ النجاشي ص٢٤ .

(٣) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٦٧ .

(٤) الطهراني : الذريعة ١٥٤/١٠ .

(٥) النجاشي : الرجال ص٢٧٩ .

رعاية علو السند وتقليل الوسائط ، وهذا هو السبب في عدم روايته عمن هو في طبقته من العلماء الاعاظم كالسيد المرتضى ، وابي يعلي سلار بن عبد العزيز وغيرهم)) [1] . ولكن لو تصفحنا بدقة كتاب (الرجال) لوجدنا رواياته عن اعلام عصره كثيرة ، ويقول السيد بحر العلوم : ان الشيخ النجاشي روى عن ثلاثين شيخاً ، وقد ذكرهم في الطريق الى اصحاب الاصول والكتب [2] . وكتب الشيخ النجاشي كتبا في التفسير والانساب والفقه والاثار ، ولكن كتبه لم تصل الينا ، واصبحت في عداد الكتب المفقودة .

وبما اننا قد اعددنا في كتابنا هذا دراسة الحركة العلمية في بغداد من بنائها عام ١٤٥ هـ ، حتى سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦ هـ ، فاننا نجد الشيخ النجاشي في كتابه (الرجال) قد غطى جانباً كبيراً من تاريخ مدينة بغداد ، فانه قد حدد بعض معالمها العلمية ، وترجم لعدد كبير من اعلامها، وحدد بعض مراكزها العلمية ومنها (المسجد الؤلؤي ومشهد العتيقة) [3] . وعند حديثه عن بعض اعلام بغداد يقول : ((قدم بغداد ولقيه شيوخنا)) ونحو ذلك من المصطلحات .

---

(١) الامين : اعيان الشيعة ٨٤/٩ .

(٢) بحر العلوم : الرجال ٨٣/٢ – ٨٥ .

(٣) النجاشي : الرجال ص١٨٣ ، ص٢٦٧ ، ص٢٧١ ، ص٢٨٣ .

وقد اكمل الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي كتابة الاصول الرجالية عند الامامية بكتابيه (الفهرست والرجال) وقد جمعها العلامة القهبائي في كتابه (مجمع الرجال) ورمز لكل واحد فيها رمزاً ، وهي :[1]

١- كش : نسبه لكتاب الكشي .

٢- غض : نسبه لكتاب الغضائري .

٣-جخ : نسبه لرجال الشيخ الطوسي .

٤- جش : نسبه لرجال الشيخ النجاشي .

وقد فرغ العلامة القهبائي من تأليف كتابه عام ١٠١٦ هـ[2] . وتعد هذه الكتب الخمسة هي الاصول الرجالية المعتمدة في الرجال عند الشيعة الامامية ، وقد ذكرنا ان الشيخ الطوسي قد هذب كتاب الكشي واصدره بعنوان ((اخنيار معرفة الرجال)) وقد سلك الشيخ الطوسي في كتابه ((الفهرست)) طريقة الشيخ النجاشي في كتابيه ((الرجال اوالفهرست)) ، فقد رتب على ابواب حروف المعجم ، وكان يشير احيانا الى وثاقة الرجل مع ذكر كتبه ، وما قيل فيه من جرح وتعديل ، واحيانا يتعرض الى مذهبه وعقيدته ، ومدى علاقته بالائمة عليهم السلام ، اما كتاب (الرجال) فانه قسمه الى طبقتين من الرجال ، فمنهم من روى عن النبي الكريم ، والائمة عليهم السلام ، ومنهم من لم يرو عنهم ، وافرد في نهاية الكتاب بابا

---

(١) القهبائي : مجمع الرجال ٣/١ .

(٢) الطهراني : الذريعة ٦٥/٤ .

للنساء، وقد اشار الشيخ محمد ابو زهرة الى اهمية كتاب (الفهرست) بقوله: ((كان اول كتاب في علم الرجال عند اخواننا الامامية ، ويعتمدون عليه كل الاعتماد ، وذلك لانه سد فراغاً في ذلك المذهب ، ما كان لغير الطوسي ان يسده))[1]. وفي الحقيقة ان كتابي الغضائري والنجاشي كانا في مقدمة الكتب المؤلفة في الرجال عند الامامية ، ويمكننا القول : انه استوفى هذا الجانب المعرفي الكبير اكثر من غيره من الاعلام ، وقد اراد الشيخ الطوسي من كتاب (الفهرست) هو (فهرست اسماء مصنفي الامامية ، وخاصة في العصور المتأخرة) [2]. وقد اشار اليه الشيخ النجاشي بقوله : ((فهرست كتب الشيعة واسماء المصنفين)) [3]. ويقول ابن شهر اشوب : انه فهرست كتب الشيعة واصولهم واسماء المصنفين منهم واصحاب الاصول [4] . فهو يعد كتاب احصاء للمؤلفين من اصحاب الائمة عليهم السلام وتلاميذهم [5]. ويقول الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ : لقدا استودع الشيخ الطوسي في فهرسته النفيس اسماء رجال التاليف من الشيعة في مختلف البلدان ، واستوفى ذكر مصنفاتهم واصولهم مع بيان اسانيدها ، ومقدار التأويل على روايتها ، وطرائق أصحابها وتواريخهم وما قيل فيهم،

---

(١) ابو زهرة : الامام الصادق ص٤٥٨ .

(٢) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٦٩ .

(٣) النجاشي : الرجال ص٣١٦ .

(٤) ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص١٠٢ .

(٥) الحسني : المبادئ العامة ص٥١ .

ولعله اول من رتب هذا العمل الجغرافي الكبير على حروف المعجم[1] وقد اعطى كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي صفة الانفرادية في التاليف عند الامامية ، حتى قيل : ((لم يصنف بعد شيء من ذلك)) [2] . وقد استطاع الشيخ الافندي في كتابه (رياض العلماء) اضافة اسماء من تأخر زمانهم عن الشيخ الطوسي ، وكان عامل الاستيفاء للرجال سمة بارزة في كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي ، فقد جاء في مقدمة الفهرست ((فاني لما رايت جماعة من شيوخ طائفتنا من اصحاب الحديث عملوا فهرست كتب اصحابنا ، وما صنفوه من التصانيف ورووه من الاصول ، ولم اجد احداً استوفى ذلك ولا ذكر اكثره بل كل منهم كان غرضه ان يذكر ما اختص بروايته واحاطت به خزانته من الكتب)) [3] . ولذا جاء تاليف كتاب(الفهرست) بدافع الحاجة اليه لعدم وجود كتاب ما يماثله عند الامامية ، وقد استجاب الشيخ الطوسي لرغبة بعض الاعلام في بغداد الى تأليف هذا الكتاب وقد رتبه على حروف المعجم من الهمزة الى الياء ((ليقرب على الطالب الظفر بما يلتمسه دليلاً على من يريد حفظه)) [4] . ولكنه لم يستطيع استيعاب جميع رجال الامامية ، وهذا راجع لعاملين : اولهما كثرة عددهم ، وهذا يتطلب بحثاً موسعاً كبيراً ، وهو اراد

---

(١) حسين محفوظ : طرائف من سيرة الشيخ الطوسي ، مجلة الايمان ، العدد (٣-٤) السنة الثالثة ، ص١٢٢ – ص١٢٣ .

(٢) الافندي : رياض العلماء ٣/ورقة ٤١٨ ، المجلسي : بحار الانوار ٣/٢٦ .

(٣) الطوسي : الفهرست ص٢٣ – ص٢٤ .

(٤) المصدر نفسه ص٢٤ – ٢٥ .

الاختصار، وثانيهما انتشارهم في اقطار عدة من المعمورة ، وهذا يتطلب وقتاً طويلاً لاستقصائهم ، وقد اشار الى هذا الجانب بقوله : ((ولم اضمن اني استوفي ذلك الى اخره)) . ولكن ((فيما اقدر عليه ويبلغه وسعي ووجدي)) . وبما ان الكتاب قد كتب بمدينة بغداد ، فان الشيخ الطوسي تعرض لخططها عند دراسته للرجال كسوق العطش في الجانب الشرقي ، وباب الكوفة ، وصراة الطائي [1] . وقد ذيل بعض الاعلام على كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي وهم :

١- الشيخ ابو الحسن منتجب الدين علي بن عبيد الله ، المتوفى عام٥٨٥هـ .

٢- الشيخ رشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب ، المتوفى عام٥٨٨هـ .

ولخص كتاب الفهرست اعلام من القرن السابع الهجري ، ومن جاء بعدهم وهم :

١- الشيخ ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (المحقق الحلي) (ت٦٧٦ هـ) .

٢-الشيخ زكي الدين عناية الله القهبائي علي (الذي كان حيا عام١٠١٦هـ) .

---

(١) الطوسي : الفهرست ص١٢٣ – ص١٦٢ .

وقد رتب كتاب الفهرست عدد من الاعلام ، وشرحه اخرون ، وهم :

١- الشيخ علي بن عبد الله المقشاعي (ت١١٢٧ هـ) .

٢- الشيخ سليمان بن عبد الله البحراني (ت١١٢١ هـ) .

وقام استاذنا الراحل الدكتور حسين علي محفوظ باحصاء دقيق لمحتويات كتاب (الفهرست) للشيخ الطوسي [١].

وقد اطلق على كتاب (الرجال) للشيخ الطوسي لفظ ((كتاب الابواب)) لانه مرتب على ابواب تشتمل على اصحاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة الاطهار عليهم السلام ، حيث افراد لكل امام اصحابه ، ويقصد بالأصحاب الذين سمعوا من الامام عليه السلام ، ورووا عنه [٢] . واشار الشيخ الطوسي الى كتابه بقوله : كتاب الرجال الذين رووا عن النبي والائمة الاثنى عشر عليهم السلام ، ومن تأخر عنهم[٣] . ويعد رجال الشيخ الطوسي علامة مضيئة في تطوير علم الرجال عند الامامية ، وذلك بتصنيف الرجال الى طبقتين بين من يروي عن الائمة عليهم السلام ، وبين من لم يرو عنهم ، بخلاف كتب الرجال التي سبقته ، فانها لم تصنف الرواة مثل هذا التصنيف ، وقد سد هذا الكتاب فراغاً في مجال الجرح والتعديل ، وتمييز طبقات الاعلام والمحدثين . واصبح مصدراً

---

(١) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٣٩٨ .

(٢) فياض : تاريخ التربية عند الامامية ص١٩٧ .

(٣) الطوسي : الفهرست ص١٨٩ .

اولاً للمشتغلين في هذا الحقل [١] . وقد جاء تأليف الرجال للشيخ الطوسي استجابة لطلب من رجال العلم ، والفكر في بغداد كما تشير مقدمة الكتاب، واوضح سبب تأليفه بقوله : ((ولم اجد لاصحابنا كتاباً جامعاً في هذا المعنى الا مختصرات قد ذكرنا كل انسان منهم طرقا الا ماذكره ابن عقدة- وهو ابو العباس احمد بن محمد الهمداني الكوفي- من رجال الصادق ، فانه قد بلغ الغاية في ذلك ، ولم يذكر رجال باقي الائمة عليهم السلام ، وانا اذكر ما ذكره واورد من بعد ذلك من لم يذكر)) [٢] .وقد رصد الامام السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي بعض الهفوات في كتاب الرجال للشيخ الطوسي [٣] .

الحقل السادس : علم الكلام

نشط علماء الامامية في مدينة بغداد بعلم الكلام ، ومناظرة الفرق والمذاهب السائدة في المجتمع البغدادي في القرنين الرابع والخامس الهجريين وكان موضوع الامامة والغيبة في مقدمة المواضيع التي دار حولهما الجدل والمناظرة ، وتحدث الشيخ الطوسي عن الاراء التي اتفق فيها الاماميون مع

(١) بحر العلوم : الدراسة وتاريخها في النجف ، موسوعة العتبات المقدسة / قسم النجف ٤٠/٢ .

(٢) الطوسي : الرجال ص٢ .

(٣) الخوئي : معجم رجال الحديث ١١٦/١ – ١١٨ .

المعتزلة ، والفرق الكلامية الاخرى ، والقضايا التي اختلف فيها الاماميون، وقد اوضحنا عند دراستنا للشيخ الطوسي المواضيع الكلامية وهي :

١- خلق القرآن .

٢- الوعد والوعيد .

٣- مرتكب الكبيرة .

٤- غفران الشرك .

٥- سهو الانبياء .

٦- الاحباط .

٧- التوحيد .

٨- الامامة والعصمة .

٩- الامر بالمعروف والنهي عن النكر .

١٠- المعاد .

١١- التقية .

١٢- الشفاعة .

١٣- وراثة الانبياء .

١٤- ايمان ابي طالب .

١٥- الرؤية والتجسيم .

١٦- قدم الله وصفاته .

١٧- تكليف البهائم والطيور .

١٨- معرفة الله ضرورة .

١٩- الظلم والفساد .

٢٠- افعال العباد .

٢١- الباطل والضلال .

٢٢- القدرة والاستطاعة .

٢٣-تكليف ما لا يطاق .

٢٤- ليس له على الكافر نعمة .

٢٥- تعذيب الاطفال بذنوب الاباء .

وقد اراد الشيخ الطوسي ان يكون الجدل والنظر مبنياً على الحجة والاقناع لان الجدال هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه ، وفي ذلك دلالة على حسن المجادلة لانها لو كانت قبيحة على كل حال ، لما قال تعالى : (الا بالتي هي احسن) [1] . وقال تعالى : ((ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن)) [2] . ولا شك ان المجادلة المبنية على الحجة والدليل ، والبرهان ، تقود الى الاقناع ، والوصول الى طريق الصواب ، ودعا الشيخ

---

(١) النحل: آية ١٢٥.

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

الطوسي الى استخدام العقل في امر النظر والمجادلة بقوله : ((لأن النظر المراد به الفكر دون نظر العين ، لان البهائم ايضاً تنظر بالعين ، وكذلك الاطفال والمجانين ، والفكر موقوف على العقلاء)) [1] . وقد ناظر علماء الامامية المعتزلة والمجبرة والمشبهة ، وغيرهم من انصار المذاهب الكلامية ، والفت كتب كلامية ورسائل جوابية وردت من مدن اسلامية ، وقد كان كتاب ((اوائل المقالات في المذاهب والمختارات)) قد ضم مسائل فلسفية وكلامية واصولية وفقهية ، وفي مقدمتها مسالة (الامامة) فيقول الشيخ المفيد: ((فقد اتفق اهل الامامة على انه لابد في كل زمان من امام موجود يحتج الله عز وجل على عباده المكلفين ، ويكون بوجوده تمام المصلحة في الدين)) [2] . وقد ناقش الشيخ المفيد اعلام المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وفرق الكلام الاخر حول الامامة والعصمة ، واكد على ان الامام لابد ان يكون معصوماً ، عالماً بجميع العلوم كاملاً في الفضل ، بايناً من الكل بالفضل عليهم في الاعمال التي يستحق بها النعيم المقيم [3] . واكد على ان الائمة عليهم السلام قد تولوا منصب الامامة بالنص .

وقد اجمعت الامامية على اثنى عشر اماماً بعد النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) [4] .

---

(١) الطوسي : التبيان ٥/٥٢ .

(٢) المفيد : اوائل المقالات ص٣٩ .

(٣) المفيد : اوائل المقالات ص٤٠ .

(٤) المصدر نفسه ص٤١ .

وقد تصدى الشريف المرتضى لشيخ المعتزلة الحافظ عبد الجبار، المتوفى عام ٤١٥ هـ في مسألة الامامة وغيرها في كتابه (الشافي) الذي رد فيه على اراء الحافظ عبد الجبار في كتابه (المغني) ولا سيما الجزء الخاص منه بالإمامة، وقد لخص الشيخ الطوسي كتاب استاذه الشريف المرتضى بكتاب سماه (تلخيص الشافي).

وقد امتاز هذا التلخيص بالدقة والاصالة، وقد ابطل فيه كثيراً من اراء المعتزلة بالحجة والمنطق وقد نقض ابو الحسن البصري كتاب الشافي للشريف المرتضى، وقد رد عليه ابو يعلى سلار بن عبد العزيز بكتابه (النقض على النقض) [1].

وقد حاولة شيوخ الامامية في القرنين الرابع والخامس الهجريين في مناظراتهم وكتبهم ورسائلهم على مواضيع التوحيد والنبوة والامامة، وقد رد الشريف المرتضى في رسالته: ((انت مني بمنزلة هاون من موسى)) ورسالته في الوعيد على اسئلة وردت اليه من مدينة الموصل [2].

وقد حاول الشيخ الطوسي تقريب كتاب شيخه الشريف المرتضى لاذهان الناس بكتاب (تلخيص الشافي) فيقول: ((ورايت جماعة من اصحابنا ايدهم الله متشوقين الى تلخيص هذا الكتاب، واسقاط ما تكرر منه، ورد كل شيء منه الى نظيره، والجمع بين متفرقه وترتييه وترتيب

---

(١) الافندي: رياض العلماء، ورقة ٢٧٩.

(٢) الشريف المرتضى: الشافي ٧٦/١، ١٨٨.

المصنفين)) [١] . وقد اكد على موضوع الامامة لاهميتها العقائدية ، واختلاف الناس فيها وجاء تأليف الكتاب في حياة السيد المرتضى ، وقد اشار الشيخ الطوسي في المقدمة بعبارة ((اطال الله بقاءه وعضد المسلمين واهل العلم بطول ايامه وعلاه)) ، ويبدو ان كتاب ((الشافي)) للسيد المرتضى اصبح مصدراً للباحثين ، فيقول الشيخ الطوسي ((وان كل من الف فعليه ينزل ، ومنه يأخذ وبساحته يحل)) [٢] . وقد جاء للرد على الشبه التي اثيرت حول الامامة ، ومن ثم الرد عليها بادلة مقنعة ونقض الاراء المخالفة ، وقد وقف الشيخ الطوسي عند الغيبة وعلة استتار الامام عليه السلام ، وقد احاط في موضوع العصمة احاطه تامة فيقول : ((لابد للامة من حافظ معصوم يؤمن من جهته التغيير والتبديل والسهو ، ليتمكن المكلفون من المصير الى قوله ، وهذا الامام الذي نذهب اليه)) [٣] . وقد ربط الشيخ الطوسي بين الامامة والعصمة والنص وجعلها متصلة الحلقات مخصوصة بالائمة عليهم السلام ، وقد التقى الشيخ الطوسي في كتابه (تلخيص الشافي) مع السيد المرتضى في كتابه (تنزيه الانبياء) حول تنازل الامام الحسن عليه السلام عن السلطة الدنيوية ، وبقاء الامامة بمحتواها الديني والعقائدي مرتبطة به ، وانه عليه السلام قد كف عن القتال مع

---

(١) الطوسي : تلخيص الشافي ٦٢/١ .

(٢) الطوسي : تلخيص الشافي ٦١/١ .

(٣) الطوسي : تلخيص الشافي ١٣٣/١ .

معاوية((لفقدان الأعوان وإعواز ألنصار وتلاؤ الفتنة)) [1] . وكان الشيخ الطوسي قد الف كتاباً سماه (المفصح في الامامة) قبيل تأليف (تلخيص الشافي) وقد اشار اليه في كتاب (الفهرست) وفي كتاب (تلخيص الشافي) .

وقد وقف عليه العلامة الشيخ اغابزرك الطهراني بخط ابي المحاسن بن ابراهيم بن الحسين في يوم الثلاثاء ، الخامس من ربيع الاخر ، سنة٥١٧هـ[2]. وكان كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي من الكتب العقائدية المهمة التي تضمنت الحجج والبراهين والادلة على الغيبة ، ويبدو ان حساسية هذا الموضوع دفعت الشيخ الطوسي الى تأليفه بقوله : ((املاء كلام في غيبة صاحب الزمان ، وسبب غيبته والعلة التي لا جلها طالت غيبته ، وامتداد استتاره ، مع شدة الحاجة اليه ، وانتشار الحيل ووقوع الهرج والمرج ، وكثرة الفساد في الارض ، وظهوره في البر والبحر ، ولم لم يظهر ، وما المانع منه ، وما المحوج اليه ، والجواب عن كل ما يسأل في ذلك من شبه المخالفين ومطاعن المعاندين)) [3] . وقد رد الشيخ الطوسي على هذه التساؤلات بدقة ، وان كانت مؤلفاته في الامامة ، ومؤلفات اعلام الفكر الامامي في عصره وماقبله قد استوفت هذه المواضيع التي تثار في كل وقت، وقد ركز الشيخ الطوسي على الغيبة لانها مثال جدل عنيف بين المسلمين ، وحاول ابطال اراء الفرق الشيعية والمتشعبة عن التسلسل

---

(١) الشريف المرتضى : تنزيه الانبياء ص٢١٩ .

(٢) الطهراني : مقدمة كتاب (التبيان) .

(٣) الطوسي : الغيبة ص٢ .

الامامي كالكسانية والزيدية والإسماعيلية والناووسية والفطحية والواقفة والمحمدية ، وقد اثبت امامة الائمة عليهم السلام ، وابطال الفرق الاخرى عدا الامامية وقد خص الشيخ الطوسي كتابه ((الاقتصاد فيما يجب على العباد)) لموضوع التوحيد والعدل ، وتنزيه الله تعالى من فعل القبيح والاخلال بالواجب ، فاذا حصل العلم بذلك حصل العلم بالعدل ، والطريق الموصل الى ذلك ان نبين انه تعالى قادر على القبيح ثم نبين بعد ذلك انه لا يفعله (١) . وقد خصص الشيخ الطوسي قسماً من كتابه هذا لمسألة الوعد والوعيد وكان الشيخ الطوسي قد اتفق مع اراء المعتزلة في مسالة الوعد ، وخالفهم في مسالة الوعيد ، بموجب نظرية الشفاعة ، والعفو عن الكبائر ، فهو قد اتفق مع المعتزلة في مسائل الثواب ، وخالفهم في مسائل العقاب (٢) . ومن الغرابة ان ابن تيمية قد اتهم علماء الامامية كالمفيد والمرتضى والطوسي والكراجكي بأخذهم بعض اراء المعتزلة (٣) .

وللشيخ الطوسي كتب كلامية اخرى وعقائدية نقض فيها اراء اصحاب المذاهب الكلامية ومنها مسالة الامامة والعصمة وغيرهما ، وكتب في هذا الجانب ما يلي : (٤)

---

(١) الطوسي : الاقتصاد فيما يجب على العباد ، ورقة ١٦ أ .
(٢) الحكيم : الشيخ الطوسي ص٤٤٣ .
(٣) ابن تيمية : منهاج السنة ٣١/١ .
(٤) الطوسي : الفرست ص١٨٩ ، ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص١٠٢ ، النجاشي: الرجال ص٣١٦ .

١- النقض على ابن شاذان في مسالة الغار .

٢- المدخل الى علم الكلام .

٣-رياض العقول وهو شرح لمقدمة المدخل الى علم الكلام .

٤- ما يعلل وما لا يعلل .

٥- اصول العقائد .

٦- المسائل في الفرق بين النبي والامام .

٧-المسائل الرازية في الوعيد .

٨-مالا يسع المكلف الاخلال به .

٩- تمهيد الاصول .

١٠-الكافي في علم الكلام .

١١-تعليق ما لا يسمع .

١٢- مسالة في الحسن والقبح .

١٣- ثلاثون مسألة كلامية .

١٤- اصطلاحات المتكلمين .

١٥- الاستيفاء في الامامة .

وقد اسهمت الكتب الكلامية في بغداد على عمق التفكير ، وبعد النظر، وهذا له دلالة على طموح الشيخ الطوسي الفكري للتجديد [1] . ولكن الذي يؤسف له ان كثيراً من مؤلفات الامامية في علم الكلام لم تصل الينا ، ومن المحتمل اصبحت نهبا بيد المتشددين والسلفيين في مدينة بغداد ، وقد حفظت لنا بعض المصادر نصوصاً في علم الكلام ، وكان بعضها مبهماً كمنا قشة الشيخ المفيد لرجل من انصار ابي علي الحسين بن علي الكرابيسي (ت٢٤٥هـ) ، ومناقشته لشيخ من شيوخ المعتزلة ، ونحو ذلك من النصوص التي لم تكشف عن مضامين هذه المناقشات ، او الاشخاص الذين تصدى لهم الشيخ المفيد للمناقشة ، وقد اكتفى ابن الجوزي بالقول : كان للشيخ المفيد مجلس نظر بداره الواقعة في درب رباح ، يحضر كافة العلماء [2] .

الحقل السابع : كتب الامالي

ان الامالي عبارة عن محاظرات يمليها الشيخ او الاستاذ على تلاميذه في مجلس ، او عدة مجالس ، وفي ايام معينة او في مواسم خاصة ، وان القاء مثل هذا المحاضرات تكون عن ظهر قلبه او عن كتابه ، او الغالب عليها ترتيبه على مجالس السماع ، ولذا يطلق عليها المجالس او عرض المجالس [3].

---

(١) الشبيبي : مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢١٥/١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ١١/٨ .

(٣) الطهراني : الذريعة ٣١٦/٢ .

وقد حاول بعض الباحثين التفريق بين مصطلحي (الامالي والمجالس) بالقول : ان الامالي ما يميلها الشيخ او من ينيبه عنه بحضرته ، فيتلقفها الطلاب بالتقييد في دفاترهم ، وفي هذا يكون الشيخ قد اعد مايميله او يلقي الى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه، اما المجالس فانها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء ، ففيها يلقي الشيخ ما يشاء من تلقاء نفسه ، وفيها كذلك يسأل الشيخ فيجيب ، فيدون كل ذلك فيما يسمى مجلساً [(١)] . ويسهم الطلبة في حفظ هذا المحاضرات وتدوينها وروايتها ، ومن ثم تصبح كتاباً يطلق عليه اسم الاملاء او الامالي [(٢)] . وهي على هذا النحو تشسبه المحاضرات التي تلقى في الجامعات الحديثة [(٣)] . وقد لعبت هذه الامالي دوراً في نمو الفكر الاسلامي ، واتساع افاقه ، وقد يتصدى الدارسون لاراء شيوخهم بالنقد والراي المخالف ، واصبح لمدينة بغداد في العصر العباسي سبق التاليف في الامالي ، حتى قيل ان عددها يزيد على المائة [(٤)] . ومنها عند الامامية اربعة كتب حملت اسم ((الامالي)) وهي :

١- امالي الشيخ الصدوق .

٢- امالي الشيخ المفيد .

٣- امالي السيد المرتضى .

---

(١) الخرسان : مقدمة امالي الشيخ الصدوق ص١٦ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ١٦١/١ .

(٣) عطية الله : القاموس الاسلامي ١٧٣/١ .

(٤) الطهراني : الذريعة ٣٠٥/٢ – ٣١٨ .

٤- امالي الشيخ الطوسي .

واطلق على امالي الشيخ الصدوق ، ابي جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ) اسم ((الامالي والمجالس))[١] . وقد تناولت اخبار النبي الكريم ، والائمة الاطهار ، عليهم السلام ، وبيان فضائلهم ومناقبهم وخطبهم ووصاياه ، فقد احتلت الجزء الاكبر من الامالي ، ومن ثم ذكر الفرائض والعبادات وقد استغرقت امالي الشيخ الطوسي مدة عامين من الزمن بين ٣٦٧ – ٣٦٨ هـ . وكان عددها سبعة وتسعين مجلساً ، وكان اغلبها يلقي في يومي الجمعة والثلاثاء من كل اسبوع ، الانه قد يخرج عن هذا الالتزام ، اذا كان ثمة مناسبة تستدعي تأخير مجلسه ، وكان الشيخ الصدوق يراعي المناسبات الزمانية والمكانية اكثر من تلميذه الشيخ المفيد ، وتلميذ تلميذه الشيخ الطوسي [٢] . وقد خصص الشيخ الصدوق المجلس السادس والعشرين ليوم الغدير الاغر ، وبما ان لهذا اليوم اهمية بالغة ، وقدسية عظيمة عند الامامية ، اراد الشيخ الصدوق ان يخصه بمجلس من اماليه تكريماً وتعظيماً له ، وعقد المجلس التاسع والعشرين في اليوم الثامن من شهر محرم الحرام ، فأسهب في موضوع استشهاد الامام الحسين عليه السلام ، وال بيته الكرام، فعقد في هذه المناسبة مجلسين متتاليين في اليومين التاسع والعاشر من المحرم ، ويستفاد من امالي الشيخ الصدوق في هذه المناسبة الاليمة رأيه في مأساة ألطف

(١) ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص١٠٠ ، الحر العاملي : أمل الأمل ق٢/٢٨٤ .
(٢) الخرسان : مقدمة امالي الشيخ الصدوق ص٣٤ .

تصلح ان تكون كتاباً للمقتل الحسيني يمتاز عن سائر كتب المقاتل باسناده ووثاقة مؤلفه [1] . ويقول الدكتور عبد الله فياض : ان نوعاً من التنظيم الدراسي العالي اتبع دروس القمي بدايتها ونهايتها في سنه كاملة ولارتباطها بايام وتواريخ معينة من كل اسبوع [2] . وكتب ابو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي ، المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) كتاب الامالي ، وقد ضم مواضيع مختلفة في المواعظ والوصايا والحكم والفروض والسنن والاخلاق وغيرها ، وكانت المواضيع التاريخية قد غطت مساحة من هذه الامالي ، وكانت نصوصها مسندة موثوقة وصادرة عن النبي وال بيته عليهم السلام [3] . وتعد امالي الشيخ المفيد جزءاً من مدرسته العلمية في بغداد ومجلس النظر الذي كان يعقد بداره الواقعة بدرب رباح ويحضر (كافة العلماء) [4] . ويقول ابن النديم : ان للشيخ المفيد مقدرة فائقة في صناعة علم الكلام [5] . وقد تفوق على اعلام عصره بالجدل والمناظرة في كافة فروع المعرفة الاسلامية ، وقد اختار الشيخ المفيد يومي السبت والاربعاء موعداً لإلقاء الامالي ، واحياناً في يوم الاثنين ، وكان المجلس الاول عقده يوم السبت ، مستهل شهر رمضان المبارك من عام ٤٠٤

---

(١) الخرسان : مقدمة امالي الشيخ الصدوق ص٣٥ .

(٢) فياض : من كتب الامالي عند الشيعة الامامية ، مجلة الايمان ، العددان الثالث والرابع ، السنة الثالثة ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧ م .

(٣) عبد الله فياض : تاريخ التربية عند الامامية ص٢٢٦.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم ١٢/٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٥/١٢ .

(٥) ابن النديم : الفهرست ص٢٦٦ .

هـ ، في منطقة الزيارين ، وفي درب رباح وفي منزل ابي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفارسي [1] . ولكن يبدو ان ظروف مدينة بغداد القلقة ادت الى انقطاع امالي الشيخ المفيد ، مدة ثلاث سنوات ثم استأنفها عام ٤٠٧هـ[2]. واستمر في عقدها حتى عام ٤١١ هـ .

وقد اشار الشيخ النجاشي الى امالي الشيخ المفيد ووصفها بالمتفرقات[3] . ويعود السبب في فقدان الامن في مدينة بغداد بعد تصاعد عمليات العيارين والشطار ، واتباع الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ – ٤٢٢هـ) السياسة المذهبية المعادية للامامية والمعتزلة وكل من يأخذ بالنزعة العقلية فنهاهم عن التدريس والكلام والمناظرة[4] . اما امالي السيد المرتضى، ابو القاسم علي ابن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) فانها تضمنت تأويلات قرآنية ، وتفسيرات لبعض الايات الكريمة ، وقد امتزجت بالأدب العربي ، وهي تعبر عن الروح العلمية التي سادت المجتمع البغدادي في عصره وقد اطلق عليها اسم الغرر والدرر ، وكان مجلس الشريف المرتضى يبدأ بتأويل اية كريمة ، ومن ثم تفسيرها وشرحها ، وما يتخللها من حكم وادب ، وكان يناقش الاراء بروح علمية شفافة ، ويضمنها استشهادات شعرية ، ونصوص ادبية ، وكانت له رؤية خاصة بالنصوص التي يوردها ،

(١) الشيخ المفيد : الامالي ص٩ .
(٢) الشيخ المفيد : الامالي ص٥٩ .
(٣) النجاشي : الرجال ص٣١٣ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم ٢٨٧/٧ ، ينظر ادم متز : الحضارة الاسلامية ٦٣/١ .

ولذا اطلق عليها لفظ (غرر الفوائد ودرر القلائد) ثم اختصرت الى (الغرر والدرر) ، ويقول اليافعي في كتابه (مراة الزمان) : ان امالي الشريف المرتضى قد اشتملت على فنون من معاني الادب ، تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك ، وكتابه ممتع يدل على فضل كثير وتوسع في الاطلاع على العلوم [1] . وقد استعرض بعضها اراء ابي عبيد القاسم بن سلام ، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، وناقشها بروح علمية دقيقة ، مشفوعة بادلة وبراهين ، ويقول الاستاذ مصطفى الشكعة في كتابه (مناهج التاليف) : ان السيد المرتضى رغم جدية اماليه غير متعسف ولا متزمت ، وانما كان يربط اماليه بين الحين والحين بملحة طريفة او نادرة فكهة من تلك التي سبق ان وردت عند الجاحظ والمبرد ، مع اكثار من طرائف الأصمعي واخباره، ولكن كان اهتمامه بالتفسير وتاويل الايات الكريمة هو الغالب على الامالي، ويقول الاستاذ محمد حسين الذهبي : ان السيد المرتضى لا يحيط بتفسير القرآن كله ، بل ببعض اراثه التي يدور اغلبها حول العقيدة [2] . وحول المسائل الكلامية كالقول برؤية الله ، وخلق افعال العباد ، وارادة الله للقبائح ، والقول بوجوب الاصلح ، وغيرها من المباحث التي كانت تدور في المجالس البغدادية ، وقد اكثر فيها علماء الكلام والحديث ، ونحن لسنا مع راي الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم في مقدمته لكتاب (الامالي) للسيد المرتضى ، بان اراءه تلتقي مع اراء المعتزلة ، وانما اراؤه هي اراء

---

(١) اليافعي : مراة الجنان ٥٦/٣ .

(٢) الذهبي : التفسير والمفسرون ٤٠٤/١ .

الامامية ، وقد التقى بعضها باراء المعتزلة ، وان استشهد بالحسن البصري وواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وابي الهذيل العلاف ، وبشر بن المعتمر وغيرهم من شيوخ المعتزلة ، فان علمية السيد المرتضى ، ومكانته الاجتماعية لم تمنعه من الوقوف على اراء المذاهب الكلامية والفرق الاسلامية ، وكان في الوقت نفسه يذكر اخبار الشعراء المعروفين بالمجون والزندقة ، فكان يقف على مواضع الابتكار والاصالة في اشعارهم ، وقد خص السيد الحميري ، ومروان بن ابي حفصة ، والحسين بن مطير ، وابن حية النميري بعناية ملحوظة ، فكان السيد المرتضى يستعرض الاراء ويناقشها ، ويروي عن شيوخه كابي عبيد الله المرزباني ، وعلي بن محمد الكاتب ، وابي القاسم عبيد الله بن عثمان الدقاق ، وقد بلغت امالي السيد المرتضى ثمانين مجلساً وكان يحاضرفيها على طلابه ومريديه ، في اوقات مختلفة ، وغالباً ما تكون في داره الواقعة في منطقة الكرخ ، ويقول الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم : انه لم يصل العلم الى التاريخ الذي بدأ فيه السيد المرتضى القاء اماليه، ولكن الثابت انه فرغ من املائها يوم الخميس، الثامن والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٤١٣ هـ ، كما ذكر ذلك الشريف ابو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري في اخر نسخته[1]. وقد عقب الاستاذ محمد ابو الفضل على هذا الجهد العلمي بقوله: ان السيد المرتضى اظهر فيه تفوقاً عجيباً ، وابان عن ذهن وقاد ، وذكاء ملتهب، وبصر نافذ ، وايمانه فيما فسر واول ووجه وفرة محفوظة من الشعر واللغة

---

(١) محمد ابو الفضل ابراهيم : مقدمة امالي المرتضى ٢٠/١ .

ومأثور الكلام ، وكان الطابع الذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة ، والاراء المحتملة ، مجوزاً في ذلك امكان الاخذ بالاراء جميعها [1]. ولعل السبب الى توقف السيد المرتضى في القاء اماليه عام ٤١٣ هـ يعود الى وفاة استاذه الشيخ المفيد في هذه السنة ، واتجاه الانظار اليه في قيادة الامامية، والتفرغ للجتمع البغدادي والاجابة على الاسئلة الفقهية التي ترد اليه ، ولذا كانت بعض مؤلفات السيد المرتضى قد حملت لفظ (المسائل والاجابات) ومنها المسائل الموصلية واجابتها والمسائل الناصريات والرسيات والمطلبيات والرمليات والحلبيات والصيداويات وقد اجاب السيد المرتضى على مسائل وردت اليه من ميافارقين وواسط والري وطوس وجرجان والديلم وطبرستان وبلاد الجبال ومصر ، وكان بعضها اسئلة من اشخاص فيرد عليها السيد المرتضى فتسمى باسماء مرسليها كالمسائل التبيانية والمحمدية والناصرية والسلارية ، وقد دارت بعض المسائل حول قضية فقهية او كلامية ومنها : مسالة في الطلاق ، ومسالة الخبر الواحد ، ومسالة في الولاية من قبل السلطان الجائر والظالم وغيرها .

وكانت امالي الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) هي اخر امالي الامامية في العصر العباسي وانها محاضرات القيت في المشهد الحيدري الشريف ، وكان لها دلالة على انتظام الحركة العلمية والوضع الدراسي في مدينة النجف الاشرف ، وقد رويت هذه الامالي عن طريق ولده ابي علي الطوسي،

---

(١) محمد ابو الفضل ابراهيم : مقدمة امالي المرتضى ١٨٠/١ .

وهي مؤرخة بالشهر والسنة -عدا بعضها- وقد امتدت الامالي الطوسية بين ٤٥٥-٤٥٨ هـ ، وقد ختم الشيخ الطوسي اماليه بمجلس يوم التروية عام ٤٥٨هـ [١] . ويبدو ان للشيخ ابي علي الطوسي امالي اخرى قد بدأ بها بعد وفاة والده عام ٤٦٠هـ ، ولعل بعضها قد دمج بامالي والده الشيخ الطوسي، وهذا يستدعي الاستقصاء والتحري الدقيق .

وتلتحق الامالي والمجالس بالمناظرات الكلامية والفلسفية ، وبالاراء اللغوية والادبية ، فالشريف المرتضى حاز من العلوم مالم يدانه فيه احد في زمانه [٢] . ويقول الشيخ الطوسي كان اكثر اهل زمانه ادبا وفضلاً [٣] . وقد اشارت المناظرة الجدلية بين الشاعر ابي العلاء المعري والشريف المرتضى ، ويبدو ان المصادر أضافت نصوصاً بعيدة عن خلق الشريف المرتضى وتربيته الرفيعة باطلاق لفظ (الاعمى) على ابي العلاء عند مجادلته التي دارت حول الشاعر المتنبي [٤] . في الوقت الذي وقف فيه ابو العلاء في مجلس المرتضى مؤبنا لوالده الشريف الطاهر ابي احمد الحسين الموسوي بقصيدته التي مطلعها :

اودى فليت الحادثات كفاف ... مال المسيف وعنبر المستاف

(١) الطوسي : الامالي ٣٤٥/٢ .
(٢) النجاشي : الرجال ص٢٠٦ .
(٣) الطوسي : الرجال ص٤٨٥ .
(٤) ابراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط ١٩/١ .

ولما اتم ابو العلاء قصيدته ، فرفع الشريفان الرضي والمرتضى مجلسه ، واكرماه [1] . وان هذه القصيدة ، واحترام الشريفين لابي العلاء تؤكد ضعف الرواية التي وصفت المعري بالاعمى ، واطلاق كلمة (الكلب) عليه من قبل احد جلاس مجلس السيد المرتضى ، فان مجلساً قد ضم قادة العلم والادب ، لا يمكن ان تصدر منه مثل هذا الكلمات الوضيعة والنابية ، وما الذي صنعه ابو العلاء المعري حتى يواجه بهذا الجفاف والكلمات الحادة ، واذا صحت حقيقة الاختلاف في الراي بين ابي العلاء المعري ، والشريف المرتضى حول شخصية الشاعر ابي الطيب المتنبي ، فانها لم تصل الى الشتم والسب ، وسحب ابي العلاء من رجله ، وفي مجلس السيد المرتضى ، عند تلفظ ابي العلاء في مدحه للشاعر المتنبي بعبارته : ((لك يامنازل في القلوب منازل)) ، وان غضب السيد المرتضى يصل الى وصفه بالاعمى ، واوضح ما كان يقصد المعري من قوله المذكور الاذلك : [2]

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

واذا تاكد لدينا اختلاف الراي بين الشريف المرتضى والشاعر ابي العلاء المعري في تقييم هذا الشاعر او ذاك ، فا ن الامر لم يصل الى هذه الخشونة في التعامل ، وفي مجلس المرتضى الذي استضاف فيه المعري ، ويقول السيد الخوانساري : ان ابا العلاء المعري ، كان من المختصين

---

(١) طه حسين : تعريف القدماء بابي العلاء ص٢٢٣ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم الادباء ١٧٠/١ ، اليافعي : مراة الجنان ٦٨/٣ ، الصفدي : الوافي بالوفيات ٩٨/٣ ، السيوطي : بغية الوعاة ٣١٦/١ .

بخصيص اكرام الشريف المرتضى ، ومسيس انعامه [1] . وهذا الراي ينقض المهاترات الموضوعة التي اوردتها كتب التاريخ والادب والرجال ، ومن المحتمل ان الشريف المرتضى قد اجتمع بابي العلاء المعري وحاوره في الكل والجزء ، ولما احتدم النقاش بينهما قال الشريف المرتضى ((الا كل ملحد ملهد)) فاجابه ابو العلاء : من اين اخذت هذا الكلام ، فقال الشريف المرتضى من قوله تعالى : ((يابني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم))[2].

ويبدو ان النقاش الفلسفي الذي دار في مجلس الشريف المرتضى قد اثار بعض الحاضرين ، وانتصروا للشريف المرتضى ، وقد حسبه بعض الباحثين من باب الحسد لابي العلاء المعري ، مستفيدين من قوله :

فاصبحت محسوداً بفضلي كله   على بعد انصاري وقلة مالي

وتبقى الحقيقة واضحة في تبادل الراي ، والافصاح عن مخزون العلماء في المناظرات والمحاجات والمجالس التي شهدتها مدينة بغداد في عصرها العباسي ، وبخاصة العصر الاخير منه .

---

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٢٦٥/١ .

(٢) لقمان : ١٣ .

القسم الثاني: الفكر الامامي بين التقليد والتجديد

ان ما يميز الفكر الامامي عن بقية المذاهب الاسلامية ، هو فتح باب الاجتهاد ، الذي به يبذل "الجهد في استخراج الاحكام الشرعية ، وبهذا يكون استخراج الاحكام من أدلة الشرع اجتهاداً لانها تبتني على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الاكثر سواء كان ذلك الدليل قياساً او غيره"[١]، فالاجتهاد هو: "استفراغ الوسع في تحصيل الظن بالحكم الشرعي"[٢]، والاماميون منذ العصور الاسلامية الاولى ، اخذوا بمبدأ الاجتهاد ، على اعتباره الطريق الامثل لمسيرة التفكير الفقهي عبر الزمن ، ويكون الاجتهاد عادة في تفسير نص معين غير قطعي الدلالة ، وفي ثبوت نص غير قطعي الثبوت ، وقد أباح الائمة عليهم السلام لانصارهم ان يجتهدوا في علومهم ، لاسيما الفقه والفقه المقارن ، قال الامام الصادق (عليه السلام) "علينا ان نلقي اليكم الاصول وعليكم ان تفرعوا"[٣] أي وفق ما حدده الائمة من أحكام وهم بذلك تابعون لخطواتهم ، ولكن حركة الاجتهاد هذه ، على اعتبارها حركة نامية تعتمد على العقل بالدرجة الاولى ، قد أصيبت بالشلل حين قرر علماء وأئمة المذاهب الاربعة من أهل السنة غلق باب الاجتهاد ، حتى اعتبر القرن الرابع الهجري حداً فاصلاً في التشريع الاسلامي وبسببه كما يقول ادم متز في كتابه "الحضارة الاسلامية"

(١) المحقق الحلي: معارج الاصول ص١١٧-١١٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الخوانساري: روضات الجنات ١/١٢٤.

قد توقف "التكوين المستقل للتشريع الاسلامي المبني على الاجتهاد المطلق وعلى الحكم بالرأي في فهم القرآن والحديث ، ومضى عصر الابتكار في التشريع"[(١)]، ولكن الرأي الذي ذهب اليه ادم متز يصدق فقط على المذاهب الاسلامية عدا الامامية ، ذلك لاغلاقها باب الاجتهاد بوجه ذويها. حيث شهد القرن الرابع الهجري "ضعفاً في الحياة الفقهية عند السنة نتيجة سدهم باب الاجتهاد ، بعد فتحهم اياه في القرون التي سبقته ولكنه شهد نشاطاً فقهياً هائلاً لدى الامامية"[(٢)]. وقد شهدت مدينة بغداد هذا النشاط من القرنين الرابع والخامس الهجريين على نطاق واسع.

لقد تبلورت حركة الاجتهاد عند الامامية في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري أي بعد عصر الائمة عليهم السلام ، وكان رائدا هذه الحركة الحسن بن ابي عقيل العماني ومحمد بن احمد بن الجنيد الاسكافي[(٣)]. فقد كان العماني "المؤسس في الفقه والمحقق في العلوم الشرعية والمدقق في العلوم العقلية ، له كتب كثيرة ، في كل الفنون الاسلامية ، اشتهر بالفقه والتفريع"[(٤)]، اما ابن الجنيد فعرف عنه بأنه "اول من أبدع أساس الاجتهاد في أحكام الشريعة وأحسن الظن بأصول فقه المخالفين من علماء

---

(١) ادم متز: الحضارة الاسلامية ج١ / ٣٦٩.

(٢) محيي الدين: ادب المرتضى ٣٦.

(٣) المصدر نفسه ص٧٩- ص٨٠.

(٤) الصدر: تأسيس الشيعة ٣٠٣.

الشيعة"[١]، ولكن ابن الجنيد هذا تركت كتبه ولم يعول عليها بسبب "انه كان يرى القول بالقياس"[٢]، واستمرت حركة الاجتهاد تعطي ثمارها في تعزيز الحركة العلمية والفكرية ، حيث ساعدت الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي شهدتها مدينة بغداد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين على تألق الفكر الفقهي الامامي بحكم الظروف المتاحة يومئذ لمواجهة كافة التحديات والتيارات الفقهية الاخرى ، ومعالجة قضاياه ومسائله بحرية واسعة لم يشهد لها مثيلاً قبل هذه الفترة[٣]، والسبب يرجع الى وجود الحكم البويهي الذي هيمن على الخلافة العباسية بين ٣٣٤-٤٤٧هـ ، وقد سلك البويهيون مسلكاً وسطاً تجاه جميع الميول والاتجاهات والفرق، فلم يتحزبوا لفئة معينة على حساب فئة أخرى ، ولم ينحازوا الى رأي خاص ، بل تركوا الناس أحراراً في معتقداتهم وآرائهم ، ذلك انهم كانوا يدركون انهم رجال دولة ، وأرباب سياسة ، وان همهم الاكبر يجب ان يتجه الى اقرار الامن والنظام ، ولكي يحقق الحاكم هذا الغرض ، عليه ان يساوي بين الناس جميعاً ، وان يضع نفسه فوق الاعتبارات الضيقة ، وان لا يتدخل في الشؤون الخاصة بالرعية ، ليتسنى له فرض سلطانه على الناس جميعاً ، وقد أنجبت بغداد خلال هذه المدة شيوخ الامامية الكبار من أمثال: ابو القاسم جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه المتوفى ٣٦٨هـ الذي

---

(١) الخوانساري: روضات الجنات ١٤٥/٦.

(٢) الطوسي: الفهرست ١٦٠.

(٣) الحكيم ، الشيخ الطوسي ٤٥٠.

كانت له تصانيف كثيرة على عدد ابواب الفقه[1]، والشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي (ت٣٨١هـ)، شيخ الحديث، وصاحب كتاب "من لا يحضره الفقه" وهو من الاصول الاربعة في الحديث عند الامامية، والشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) الذي كان من أجلّ فقهاء الامامية، واليه اجتمعت رئاستها، وزعامتها، وقد لقب بالامام الاعظم شيخ الاسلام[2] وشيخ الشيعة[3]. وكان من مقدرته الفكرية والكلامية كان يحاضر وفق المذاهب الاسلامية المتعبد بها في زمنه وكان له "مجلس نظر بداره بدرب رباح يحضره كافة العلماء"[4]، والشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ)، نقيب النقباء، وصاحب امارة الحج والمظالم، وصاحب دار العلم المشهورة، والذي خصص لجميع طلابها ما يحتاجون. والشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي (٣٥٥-٤٣٦هـ)، الذي يعد من مجددي الفكر الامامي في القرن الرابع الهجري[5]، فقد كان "متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله"[6] باعتباره "اكثر اهل زمانه أدباً وفضلاً"[7]، فقد ساهم الشريف المرتضى

---

(١) الحكيم، الشيخ الطوسي ص٣٦.

(٢) الشهيد الاول: كتاب الاربعين حديثاً، ١٨٤- ٢٠٥.

(٣) القزويني: اثار البلاد ٣١٢.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم حـ٨ / ١١.

(٥) الحكيم، الشيخ الطوسي ص١٤٨.

(٦) الطوسي: الفهرست ١٢٥.

(٧) الطوسي: الرجال ٤٨٥.

مساهمة فعالة في نشر الحركة الفكرية في بغداد ، إذ كان له اسهامة ملحوظة، ومشاركة فعلية في أكثر أبواب المعرفة الاسلامية في زمنه ، الى جانب مكتبته العامرة التي كانت تضم أكثر من ثمانين ألف مجلد[1]، وقد جعل داره دار علم ومناظرة[2]. ولكن الفكر الامامي قد تركز كلياً بعد وفاة الشريف المرتضى بالشيخ الطوسي ابي جعفر محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ) ، فأصبح "شيخ الطائفة وعمدتها"[3] والامام الاعظم[4] عند الامامية، وقد ضم حوزة علمية كبيرة بلغ أفرادها اكثر من ثلاثمائة من مختلف المذاهب الاسلامية[5].ويقول الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) "انتهت اليه رياسة الامامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب"[6]، ولخطورة المكانة التي تبوأها الشيخ الطوسي في الفكر الاسلامي أثار عليه حسد بعض المقربين للسلطة ، وسعوا لدى الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) ، بأن الشيخ الطوسي قد تناول الصحابة بما لا يليق بهم ، وخاصة في كتابه "مصباح المتهجد"، ولكن الشيخ الطوسي نفى جميع التهم المحيطة به بأدلة علمية فائقة ، بحيث ان القناعة قد حصلت لدى الخليفة بصدق كلامه،

---

(١) الحكيم: الشيخ الطوسي ص١٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ابن داود : الرجال ق١ /٣٠٦.

(٤) الشهيد الاول: كتاب الاربعين حديثاً ١٨٢ ، ١٨٧ ، ١٩٠.

(٥) ص٧٥.

(٦) الطوسي : الفهرست ١٨٦.

فرفع شأنه وأكرمه[1]، وانتقم ممن سعى به[2]، ولكن الموجة السياسية الجديدة التي اجتاحت بغداد على يد السلاجقة عام ٤٤٧هـ وانهاء الحكم البويهي في العراق ، عرضت الشيخ الطوسي الى الخطر فكبست داره ، ونهبت ، واحرقت[3].

وقبل ان نذكر الدور الفكري الذي لعبه الشيخ الطوسي في النجف الاشرف بين ٤٤٨هـ - ٤٦٠هـ ، نقول ان زعماء الفكر الامامي الذين عاشوا بمدينة بغداد من أمثال الشيخ المفيد والشريف المرتضى والشيخ الطوسي ، كانوا أئمة اجتهاد ولم يكن احدهم مقلداً للآخر في جميع القضايا الفقهية والاصولية ، فالشيخ المفيد في كتابه "التذكرة باصول الفقه"، قد انتقد الحسن بن ابي عقيل العماني ومحمد بن احمد بن الجنيد الاسكافي في كثير من الآراء[4]، كما ان الشيخ الطوسي لم يسر على آراء استاذه الشريف المرتضى كلياً بل خالفه في بعضها وخاصة في مسألة "حجية الخبر الواحد"، وقد نهض الشيخ الطوسي بعلم الاصول في كتابه "العدة" الى مرحلة جديدة من النضج الفكري وكانت آراء الشيخ الطوسي في حجية الخبر الواحد أصيلة، فتحت باباً جديداً في هذا الموضوع ، ولم يأخذ بالاجماع الذي ادعاه السيد المرتضى حول عدم حجية الخبر الواحد ، فيقول السيد المرتضى "ان

---

(١) الحكيم ، الشيخ الطوسي ص٧٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الصدر: المعالم الجديدة للاصول ص٥٥.

"ان اصحابنا كلهم سلفهم وخلفهم ومتقدمهم ومتأخرهم يمنعون من العمل باخبار الآحاد"[١]، في حين ان الشيخ الطوسي نفسه ادعى الاجماع على حجية الخبر الواحد وفق شروط معينة بقوله: "فاما ما اخترته من المذهب فهو ان خبر الواحد اذا كان وارداً من طريق أصحابنا القائلين بالامامة ، وكان ذلك مروياً عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) او عن واحد من الائمة (عليه السلام) وكان ممن لا يطعن في روايته ، ويكون سديداً في نقله ، ولم يكن هناك قرينة تدل على صحة ما تضمنه الخبر ، لانه ان كان هناك قرينة تدل على صحة ذلك كان الاعتبار بالقرينة ، وكان ذلك موجباً للعلم ونحن نذكر القرائن فيما بعد جاز العمل به ، والذي يدل على ذلك اجماع الفرقة المحقة فاني وجدتها مجمعة على العمل بهذه الاخبار التي رووها في تصانيفهم ، ودونوها في اصولهم لا يتناكرون ذلك ، ولا يتدافعونه حتى ان واحداً منهم اذا افتى بشيء لا يعرفونه سألوه من اين قلت هذا فاذا احالهم على كتاب معروف او اصل مشهور ، وكان راويه ثقة لا ينكر حديثه سكتوا او سلموا الامر في ذلك ، وقبلوا قوله ، وهذه عادتهم وسجيتهم من عهد النبي (صلى الله عليه واله) ومن بعده من الائمة (عليهم السلام) ومن زمن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) الذي انتشر العلم عنه ، وكثرت الرواية من جهته فلولا ان العمل بهذه الاخبار كان جايزاً لما اجمعوا على ذلك ولا نكروه لان اجماعهم فيه معصوم لا يجوز عليه الغلط والسهو"[٢]،

---

(١) ابن ادريس: السرائر ، ص٢.

(٢) الطوسي: العدة ٥١.

وهكذا أوصل الشيخ الطوسي مدرسة الامامية الفكرية الى قمة مجدها وازدهارها ، بعد ان توجهها بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه و "كان سد باب الاجتهاد من أهم عوامل الجمود ، وتخلف السلطات التشريعية في حاضر العالم الاسلامي وقصورها او تقصيرها عن مواكبة الزمن في سيره الحثيث ، وتيسير مصالح الامة في شتى نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية"[1]، وكان للطوسي دور بارز في فتح باب الاجتهاد ، ووضع مناهج البحث والاستنباط الاصولي في الفقه ، وقد تخطى التقليد الذي سار عليه الاماميون في حقول الفقه ، واتباع منهج التفريع في المسائل الفقهية. وأزال النظرة الغريبة التي ألصقها أصحاب المذاهب الاسلامية بالمذهب الامامي ، على اعتبار ان المذهب الامامي قائم على حدود معينة للحكم الشرعي ، وقد اشار الشيخ الطوسي لهذه الظاهرة بالقول "يستحقرون فقه اصحابنا الامامية ، ويستنزرونه وينسبونهم الى قلة الفروع وقلة المسائل ، ويقولون انهم اهل حشو ومناقضة"[2]، وعلى هذا يمكن اعتبار الشيخ الطوسي حداً فاصلاً في الفكر الامامي لأنه استطاع "ان يصب كل تلك الطاقات في بناء علمي واحد ويضيف اليها من عطائه وابداعه واهباً للعلم اسباب الانتقال الى مرحلة جديدة من مراحل النمو والتطور"[3]. ولكن الشيء الخطير الذي عرض الفكر الامامي الى الانكماش هو اعتبار آراء

---

(١) الشبيبي: مؤرخ العراق ابن الفوطي ١/ ٢١٥.

(٢) الطوسي: المبسوط ص٣.

(٣) الخوئي: رسالة للمهرجان ١-٢.

الشيخ الطوسي مسلماً بها ومن الصعب ان يتعداها احد من الفقهاء قرابة قرن ونصف من الزمن حتى كاد ان يسد باب الاجتهاد عند الامامية لولا حركة الشيخ ابن ادريس الحلي (ت٥٩٧هـ) التي فتحت الباب على مصراعيه وذلك بمناقشة آراء الشيخ الطوسي وتفنيد بعضها ، وفي خلال القرن السابع الهجري انقسم الفكر الامامي الى كتلتين رئيسيتين هما:

أولاً: جماعة المقلدة ، وهم الذين يرون ان آراء الشيخ الطوسي أصلاً مسلماً "ويعدون التأليف في قبالها واصدار الفتاوى مع وجودها تجاسراً على الشيخ واهانة له"[١]، وان كل من كان في عصر الشيخ الطوسي "او من بعده انما كان يحذو حذوه غالباً"[٢]، ويعلل السيد الصدر هذه الظاهرة بالقول: "ما مضى المجدد العظيم محمد بن الحسن الطوسي – قدس سره- حتى قفز بالبحوث الاصولية وبحوث التطبيق الفقهي قفزة كبيرة وخلق تراثاً ضخماً في الاصول يتمثل في كتاب العدة وتراثاً ضخماً في التطبيق الفقهي يتمثل في كتاب المبسوط. ولكن هذا التراث الضخم توقف عن النمو بعد وفاة الشيخ المجدد طيلة قرن كامل في المجالين الاصولي والفقهي على السواء"[٣]، وبقيت مكانة الشيخ الطوسي في نظر طلابه ومريديه قد "رفعه في انظارهم عن مستوى النقد ، وجعل من آرائه ونظرياته شيئاً مقدساً لا

---

(١) الامين: اعيان الشيعة ٤٤ /٣٦.

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ٥٩٨.

(٣) الصدر: المعالم الجديدة للاصول ٦٢.

يمكن ان ينال باعتراض او يخضع لتمحيص"(1)، وذلك ان الشيخ الطوسي واكب التطور الفكري في بحوثه الفقهية والاصولية "وقد فرض التفاعل الفكري بين الفقه والاصول ان يواكب هذا التوسع الفقهي نحو محسوس في الفكر الاصولي تمثل هو الآخر في كتاب العدة للشيخ الطوسي قدس سره ولم يحقق هذا مرحلة جديدة في تطوير الفكر الفقهي الشيعي ومناهجه الاصولية فحسب، بل حقق مكسب عقائدياً كبيراً ، إذ رد على ذلك الاتهام الذي وجهه الخصوم الفكريون الى مدرسة أهل البيت ، وتحميلها مسؤولية عجز الفقه الشيعي عن النمو والامتداد"(2) ونلمس من قول الشيخ الطوسي: "ومن لم يحكم اصولها انما يكون حاكياً ومقلداً ولا يكون عالماً"(3)، بعض مظاهر التوسع والنمو في الفقه الامامي.

ثانياً: جماعة المعارضة ، لقد حمل راية هذه الجماعة الشيخ ابن ادريس الحلي (٥٤٣-٥٩٨هـ)، حيث وجد آراء الشيخ الطوسي غير مفحمة، ولا يقوى أي احد الخروج عنها ، ورأى من وراء ذلك خطراً قد يؤدي الى غلق باب الاجتهاد عند الامامية ما لم تؤخذ أراؤه بالنقد العنيف والمناقشة الصارمة ، فأقدم بخطوات جريئة ، حتى اعتبرت حركته "فاتحة عهد جديد في الفقه الامامي وبداية دور تميز بالبحث الاستدلالي حول

---

(١) المعالم الجديدة للاصول ٦٦.

(٢) الخوئي – الرسالة للمهرجان الالفي ص٣.

(٣) الطوسي: العدة ص٣.

المسائل الفقهية"[1]، ولم تقف امام جهود ابن ادريس العلائق العائلية التي تربطه بالشيخ الطوسي ، على اعتباره من أسباط الشيخ الطوسي ، وذلك للمصلحة العامة ، فلذا شرع بفتح باب الطعن على جده الشيخ الطوسي بعنف ، وحركة ابن ادريس هذه تلقي الضوء على تجدد الفكر الامامي ، وتعميق تفاعله مع الزمن ، كما تعتبر ايذاناً بنقل جانب من الحركة العلمية من النجف الاشرف الى الحلة ، إذ ان "نجم ابن ادريس قد لمع في الحلة وبرز بعنف على مسرح النقد لآراء الشيخ الرائد ، وكان هذا البروز الدفعي الجريء قد حول الانظار الى الحركة العلمية التي تدور رحاها في الحلة ، وحتى تكاملت عناصر الانتقال في عهد المحقق الحلي ، وذلك في اوائل القرن السابع الهجري"[2].

لقد كان الشيخ محمد بن ادريس "فقيهاً اصولياً بحتاً ، ومجتهداً صرفاً"[3]، وقد اندفع بعنف في فتح الباب الموصد امام حركة الاجتهاد ، حيث لا يمكن لأحد ان يقف أمام عبقرية الشيخ الطوسي وآرائه واجتهاداته، وكان يرمي من وراء هذه الحركة ان لا يقف الفكر الامامي عند حد معين ، كما هو الحال عند المذاهب الاسلامية الاخرى ، والى ازالة الجمود الذي أناخ بكلكله على الفكر الامامي قرابة قرن ونصف ، وقد أعطى لنضاله هذا دفعاً وزخماً للفكر ان يقف على قدميه ويواكب التطور

---

(١) الفضلي: دليل النجف الاشرف ١٣٢.

(٢) محمد بحر العلوم: موسوعة العتبات المقدسة ٢ /٤٩.

(٣) البحراني: لؤلؤة البحرين ، ص٢٧٦.

الزمني حتى الوقت الحاضر ، لان الفقهاء الذين جاءوا بعد الشيخ الطوسي كانوا يحذون حذوه غالباً الى ان انهت النوبة الى الشيخ ابن ادريس[1]. ويصف الاستاذ السيد محمد تقي الحكيم حركة ابن ادريس بقوله: "وقد كان لموقف ابن ادريس ، وهو من أكابر العلماء لدى الامامية ، فضله الكبير في اعادة الثقة الى النفوس وفسح المجال أمامها لتقييم هذه الكتب ونقدها والنظر في قواعدها"[2]، إذ ان "لولا موقفه المشرف إذ ذاك لكان الاجتهاد إذ ذاك ضحية من ضحايا التقديس والفناء في العظماء من الناس"[3]. واذا نظرنا لكتاب "السرائر" لابن ادريس نجد فيه ظاهرة الخروج على آراء الشيخ الطوسي الفقهية والاصولية ، وقد جاء كتابه هذا "ايذاناً ببلوغ الفكر العلمي في مدرسة الشيخ الى مستوى التفاعل مع أفكار الشيخ ونقدها وتمحيصها"، وبدراسة كتاب السرائر ومقارنته بالمبسوط للشيخ الطوسي يمكننا ان ننتهي الى النقاط الاتية:

١-ان كتاب السرائر يبرز العناصر الاصولية في البحث الفقهي وعلاقتها به بصورة أوسع مما يقوم به كتاب المبسوط بهذا الصدد.

٢- ان الاستدلال الفقهي لدى ابن ادريس أوسع منه في كتاب المبسوط وهو يشتمل في النقاط التي يختلف فيها مع الشيخ على توسع في الاحتجاج

---

(١) الخوانساري: روضات الجنات ٥٩٨. البحراني: لؤلؤة البحرين ٢٧٦. سيد شفيع: الروضة البهية ١٧١.

(٢) الحكيم: الفقه المقارن ، ص٦٠٠.

(٣) ن.م.

وتجميع الشواهد ، حتى ان المسألة التي لا يزيد بحثها في المبسوط على سطر واحد قد تبلغ في السرائر صفحة[1]. "ونلاحظ في النقاط التي يختلف فيها ابن ادريس مع الشيخ الطوسي اهتماماً كبيراً منه باستعراض الحجج التي يمكن ان تدعم وجهة نظر الطوسي وتفنيدها ، وهذه الحجج التي يستعرضها ويفندها أما ان تكون من وضعه وابداعه يفترضها افتراضاً ثم يبطلها لكي لا يبقى مجالاً لشبهة في صحة موقفه ،او انها تعكس مقاومة الفكر التقليدي السائد لآراء ابن ادريس الجديدة ، أي ان الفكر السائد استفزته هذه الآراء وأخذ يدافع عن آراء الطوسي ، فكان ابن ادريس يجمع حجج المدافعين ويفندها ، وهذا يعني ان آراء ابن ادريس كان لها رد فعل وتأثير معاصر على الفكر العلمي السائد الذي اضطره ابن ادريس للمبارزة"[2]، ومن ذلك نفهم بأن ابن ادريس كان يلاقي مقاومة عنيفة من الذين يأخذون بآراء الطوسي ، وكان يناقشهم بأسلوب علمي "وأحياناً نجد ابن ادريس يحتال على المقلدة فيحاول ان يثبت ان الشيخ الطوسي يذهب الى نفس رأيه ولو بضرب من التأويل"[3]، ولم يكن الشيخ ابن ادريس وحده من رواد المعارضة للشيخ الطوسي ، فقد كان ابو المكارم حمزة بن علي بن ابي المحاسن بن زهرة بن الحسن الحسيني الحلبي (٥١١-٥٨٥هـ) صاحب كتاب "الغنية"، يناقش "الادلة التي جاءت في كتاب العدة ويستدل على وجهات

---

(١) الصدر: المعالم الجديدة ص٧٢.
(٢) المصدر نفسه ص٧٣.
(٣) المصدر نفسه ص٧٤.

نظر معارضة ، بل يثير أحياناً مشاكل أصولية جديدة لم تكن مثارة من قبل في كتاب العدة بذلك النحو"[1]. وقد التقى ابن زهرة مع ابن ادريس في نقد آراء الشيخ الطوسي ومحاكمة آرائه التي أدرجها في كتابه "عدة الاصول".

لقد وقف بعض الفقهاء الذين أعقبوا الشيخ ابن ادريس الذين عاشوا في القرنين السابع والثامن الهجريين كالمحقق الحلي (٦٠٢-٦٧٦هـ) والعلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)، موقفاً مضاداً لابن ادريس والطعن فيه وفي أقواله والتشنيع عليه غاية التشنيع ، وقد طعن فيه أيضاً العلامة الشيخ محمود الحمصي وقال انه مخلط[2]، ولا يعتمد على تصانيفه[3]. وقد امتدت قدسية الشيخ الطوسي ومكانته الفقهية والاصولية الى فقهاء العصر الحاضر ، فهذا الشيخ محمد رضا المظفر يرد على الذين خالفوا الشيخ الطوسي في مسألة خبر الواحد من اضراب ابن ادريس وابن زهرة والطبرسي بالقول "فحق ان نرى اخبار الآحاد التي يرويها الثقات غثاً ، ولكن العلماء كلهم يرونها من السمين الذي يجب ان يؤخذ به في حدود مدونة في كتب علم الاصول ، وقد اتضح ذلك للذين جاؤوا بعدكم من المحقق الحلي المتوفى عام ٦٧٦هـ الى يومنا هذا ، وذلك مما أوضحه الشيخ الطوسي وبرهن عليه في كتاب العدة وغيره ، بل ان من الطعون المأخوذة على ابن ادريس نفسه انكاره

---

(١) الصدر: المعالم الجديدة ص٧٤.

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ٥٩٨. البحراني: لؤلؤة البحرين ٢٧٧.

(٣) سيد شفيع: الروضة البهية ص١٧١. منتجب الدين ، الفهرست (بحار الانوار ، ٢٥/١٢ مج٢٥ ص١٢.

العمل بخبر الواحد ومن العجيب – وهو يستغرب رواية خبر الواحد والاعتماد عليها – يحاول مرة بعد اخرى الاعتذار عن الشيخ في ايراده اخبار الاحاد بأنه يوردها للتدوين لا للعمل لاسيما عن كتابه النهاية"[1]، ويستطرد المظفر قائلاً "والاعجب من ذلك ان ينسب الى الشيخ الطوسي انكار العمل بخبر الواحد فيقول – يقصد ابن ادريس – وان وجد له في معظم كتبه وتصانيفه كلام يدل على انه غير عامل باخبار الاحاد ويوجد ذلك في استبصاره كثيراً فانه يقول هذا خبر واحد وأخبار الاحاد عندنا غير معمول بها"[2]، وقد هاجم الشيخ المظفر ابن ادريس بنفس الاسلوب الذي هاجم ابن ادريس الشيخ الطوسي بالقول: "ونعود فنقول لابن ادريس: ان كنت اردت من الغث اخبار الاحاد فهو ليس من الغث كما تصورته وحاولت من الشيخ الطوسي الاعتراف به وان أردت شيئاً آخر فما هو؟ لعلك تريد ان يروي عمن لا يعول عليه والشيخ يشترط في قبول الراوي ان يكون امامياً عدلاً ، وذلك حينما انتقدت الشيخ في روايته عن السكوني اسماعيل بن زياد[3]، (هو – أي السكوني – عامي المذهب بغير خلاف وشيخنا ابو جعفر موافق على ذلك وقائل به ذكره في فهرست اسماء المصنفين).

---

(١) المظفر – مجلة النجف – العدد ٦-٧ السنة ٢ ص٣. ينظر: كتاب السرائر ص١٧ ، ١٨، ٨٨ ، ١٦٦ ، ٣٧٩ وغيرها.

(٢) ابن ادريس ، السرائر ص٢١٨.

(٣) عبد الله الفياض: الاجازات العلمية ص٩٩- ص١٠٠.

ان مما لا شك فيه ان اسلوب ابن ادريس في رده على الشيخ الطوسي كان خشناً ، وربما كان متعمداً في ذلك لكي تثار ضجة عنيفة وعندها يكسر خلالها الطوق الرصين الذي يلف آراء الشيخ الطوسي ويقف امام باب الاجتهاد موقف الموصد ، وقد دافع الدكتور عبد الله فياض عن ابن ادريس بالقول "واعتقد ان اهمال العلماء ، الذين جاءوا بعد ابن ادريس الحلي لآرائه ، ورميه بالتخليط يمكن ان يعد من أهم الاسباب التي أدت الى بقاء مجموعات الحديث عند الشيعة الامامية دون تهذيب ، وتشذيب حتى يومنا هذا"(١)، ومما لا شك فيه ان الشيخ ابن ادريس كان شيخ الفقهاء ، متقناً في العلوم ، كثير التصانيف(٢)، "لم يكن للشيعة في وقته مثله"(٣)، وكان من الفضلاء العارفين بأصول الشريعة(٤). وكان اجماع اصحاب التراجم على ان ابن ادريس كان من المجتهدين ، وما مخالفته لجده الشيخ الطوسي وقدماء العلماء إلا دليل اجتهاده في بعض المسائل التي كانت مثار جدل في الفكر الامامي لاسيما اخبار الآحاد التي لم يجوز العمل بها ، ولكن بعمله هذا فتح باباً جديداً في الفكر الامامي هو "باب النقاش" في الكثير من المسائل الفقهية والاصولية. ولعل أسباب الحملة العنيفة التي شنت على ابن ادريس أزاء انتقاداته للشيخ الطوسي ، تلخص بالنقاط الاتية:

---

(١) عبد الله الفياض: الاجازات العلمية ص٩٩- ص١٠٠.

(٢) رجال ابن داود ق٢ /٤٩٨. ابو علي: منتهى المقال: ابو علي ٢٦٠.

(٣) ابن حجر: لسان الميزان ح٥ ص٦٥.

(٤) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الاداب ٤/ ق٣/ ٣١٠.

١-ان اسلوب ابن ادريس كان خشناً في رده على الشيخ الطوسي وهو شيخ الامامية الأوحد ، وكان بالأجدر به ان يراعي مقامه ومكانته ، لاسيما وانه يرتبط بالشيخ الطوسي برابطة نسب من جهة أمه ، فهو على الأرجح ابن بنت الشيخ الطوسي(١)، وما قام به جده من خدمة جليلة للفكر الامامي.

٢- ان ابن ادريس خالف الشيخ الطوسي وغيره من أعلام الامامية في بعض المسائل المهمة المجمع عليها كمسألة خبر الواحد في عدم حجيته وان كان قد استند في هذه المسألة على رأي السيد المرتضى المعاصر للشيخ الطوسي واستاذه ، وقد أيده في ذلك ابن زهرة وابن قبة فيما بعد ، وقد وصفه ابن داود بأنه "أعرض عن اخبار أهل البيت بالكلية"(٢).

٣-كان الأجدر بابن ادريس ان يأخذ مؤلفات جده الشيخ الطوسي بالبحث والدراسة والنقد الهادىء. كما هو الحال بالنسبة لاختصاره كتاب "التبيان" في تفسير القرآن الكريم ، كما كان له "كتاب التعليقات كبير وهو حواش وايرادات على التبيان"(٣).

ان الفكر الامامي استمر في النمو والتوسع في مجال الاجتهاد المطلق ، وخاصة في الفترة التي أعقبت وفاة ابن ادريس الحلي ، وقد برز الى عالم

---

(١) سيد شفيع: الروضة البهية ٢٦٦.

(٢) رجال ابن داود ق٢ ٤٩٨.

(٣) الحر العاملي: امل الآمل ٢ / ٢٤٤.

الفكر المحقق الحلي نجم الدين جعفر بن الحسن المتوفى عام ٦٧٦هـ ، وبقي كتابه العظيم "شرائع الاسلام" "محوراً للبحث والتعليق والتدريس في الحوزة بدلاً من كتاب النهاية الذي كان الشيخ الطوسي قد ألفه قبل المبسوط"(١)، ويعد السيد الصدر الاعتماد على الشرائع نقطة تحول كبيرة ، إذ كان كتاب الشرائع "يرمز الى تطور كبير في مستوى العلم ، لأن كتاب النهاية كان كتاباً فقهياً يشتمل على أمهات المسائل الفقهية وأصولها ، وأما الشرائع فهو كتاب واسع يشتمل على التفريع وتخريج الاحكام وفقاً للمخطط الذي وضعه الشيخ الطوسي في المبسوط ، فاحتلال هذا الكتاب المركز الرسمي لكتاب النهاية في الحوزة واتجاه حركة البحث والتعليق اليه يعني ان حركة التفريع والتخريج قد عمت واتسعت حتى أصبحت الحوزة كلها تعيشها"(٢).

لقد تعرض الفكر الامامي في القرن الحادي عشر الهجري الى هزة فكرية على أيدي جماعة "الاخباريين" الذي يجمدون على أخذ الاحكام من الاحاديث والروايات مبتعدين عن التفريع والتوسع ، وحركة الاخباريين في مفهومها العلمي ، حركة سلفية تشابه الى حد ما مذهب الحنابلة عند اهل السنة، وقد وجه هؤلاء انتقاداتهم اللاذعة لبعض شيوخ الامامية الاوائل والذين اعتمدوا في بحوثهم على الاجتهاد المطلق كالشيخ الطوسي والعلامة الحلي وغيرهما. وترجع جذور الحركة الاخبارية الى أزمنة بعيدة في الفكر

---

(١) الصدر: المعالم الجديدة ص٧٥.

(٢) الصدر: المعالم ٧٥-٧٦.

الامامي، حيث خضع لها جملة من الفقهاء في القرن الرابع الهجري الذين لم تتح لهم مواهبهم وثقافاتهم الخاصة تجاوزها والاسهام بتطوير الدراسات الفقهية والاستجابة الى حاجة الناس للتجديد في البحوث الفقهية والتنوع بها[١].

وهذه الاخبارية القديمة في التفكير الامامي "تعبر عن مستوى من مستويات الفكر الفقهي لا عن مذهب من مذاهبه"[٢] وقد قصد السيد الصدر بالاخباريين القدماء بأنهم "يمثلون المرحلة البدائية من التفكير الفقهي"[٣].

ولكن الحركة الاخبارية الجديدة التي تزعمها الميرزا محمد أمين الاسترابادي صاحب كتاب "الفوائد المدنية"، والمتوفى عام ١٠٣٣هـ ، قد فتحت باب الطعن على المجتهدين وجعلتهم في قبال الاخباريين ، وقد كان هؤلاء "يمنعون الاجتهاد في الاحكام الشرعية ويعملون بالاخبار ويرون ان ما في كتب الاخبار الاربعة[٤] المعروفة للشيعة قطعي السند او موثوق بصدوره فلا يحتاج الى البحث عن سنده"[٥]، وقد رد على هؤلاء في

---

(١) الحكيم: الشيخ الطوسي ، ص٣١٧.

(٢) الصدر: المعالم الجديدة ٨١.

(٣) ن.م.

(٤) الكتب الاربعة هي: (الكافي للكليني ، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ، والتهذيب والاستبصار للطوسي).

(٥) الامين: اعيان الشيعة ١٧ /٤٥٢.

أحكامهم وآرائهم جماعة من الاعلام وكان من علماء العصر الحاضر الامام السيد الخوئي الذي يقول "ذهب جماعة من المحدثين الى ان روايات الكتب الاربعة قطعية الصدور. وهذا القول باطل من أصله ، إذ ليس يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد. ولاسيما ان في رواة الكتب الاربعة من هو معروف بالكذب والوضع"[1]، وقد برهن السيد الخوئي على قوله بأن "مما يؤكد ايضاً بطلان دعوى القطع بصدور أخبار الكتب الاربعة عن المعصومين عليهم السلام اختلاف هذه الكتب في السند او في المتن"[2] وقد سميت الحركة الجديدة بالاخبارية ، نسبة الى الاخذ بالاخبار دون اجتهاد ، ولذا أصبح الفرق بين جماعة الاخباريين وجماعة الاصوليين هو "ان الاخباريين يأخذون كل ما في الكتب الاربعة من غير تمحيص لان الصحة راجحة عندهم ، بل يدّعون اليقين في صدقها. أما الذين يعنون بالاصول ، فانهم يرون ضرورة تمحيص الاخبار وضرورة تعرف الخبر الذي يمكن الاخذ به مما لا يمكن الاخذ به ، وان الضعيف منها مردود، وانه يجب الاحتياط في التحليل والتحريم"[3] واما الاصوليون من الامامية فانهم يقررون اجتهادهم على ذهنية اصولية مقررة ثابتة ويمارسون التفريع الفقهي على نطاق واسع ، ولم تقف الحركة الاخبارية امام الاصوليين إذ سرعان ما أختفت ولم يبق من آثارها اليوم إلا القليل ممن

---

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث ح١/ ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٤٩.

(٣) ابو زهرة: الامام الصادق ٢٨٧.

يؤمنون بالتفكير الاخباري ، ومعظم الفقهاء الاماميين في الوقت الحاضر الذين عليهم اعتماد التقليد والفتيا اصوليون في تفكيرهم. وهذا ما يفصح عن تحقيق المدرسة البغدادية والمدرسة النجفية في الفكر الامامي انتصاراً باهراً في المجالات المعرفية.

الفصل الخامس

اعلام الفكر الامامي في المدرسة البغدادية

الشيخ الكليني وكتابه الكافي (ت ٣٢٩هـ)

تميز العصر العباسي الثاني بظاهرة فكرية وسياسية خاصة، هي الصراع الحاد بين ارباب المدارس الكلامية والفقهية، بين الحرية والتزمت تبعا لمواقف السلطة الفعلية من هذا الصراع، الذي تركز بين مدرستين فكريتين رئيسيتين هما: المدرسة السلفية والمدرسة العقلية، وربما انعكس هذا الصراع على الواقع العملي للناس ايضا، الا ان السلطة في الخلافة العباسية منذ عهد المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) قد انحازت بشكل واضح نحو المدرسة السلفية، واخذت تضطهد بضراوة جميع الفئات المناهضة لها. وفي مقدمتها: المعتزلة والشيعة، اللتان تجمعهما النزعة العقلية، ومن على شاكلتهم ممن له ميول فلسفية، ونزعة للتوفيق بين احكام العقل واحكام الشرع(١)، وقد استغل السلفيون ضعف الخلافة العباسية من جهة، وازدياد نفوذهم من جهة اخرى، للتدخل بكل صغيرة وكبيرة، سواء ما يتعلق بشؤون الافراد، او الدولة "حتى كانوا حكومة داخل حكومة"(٢) ولفرض ارائهم على الناس بالقوة، مما اوجب نقمة المجتمع عليهم وادى الى خلق حالة من الفوضى والاضطراب، حتى ان السطلة التي انفرد بها القادة الاتراك، اصبحت عاجزة عن اقرار الامن والنظام، وفي هذا الجو المضطرب عاش الشيخ الكليني بقية حياته بمدينة بغداد، وقد شهد الوانا من الصراع الفكري والاجتماعي والسياسي الذي احاط بالخلافة العباسية من كل جانب.

---

(١) المسعودي: مروج الذهب، جـ٤، ص٨٦.

(٢) احمد امين، فجر الاسلام، جـ٣، ص٢٠٠.

وقبل ان نتعرف على فكر الشيخ الكليني نحاول ان نلقي بعض الضوء على سيرته، فهو محمد بن يعقوب[١] بن اسحاق الكليني[٢]، الرازي[٣]، ويعرف كذلك بالسلسلي[٤] نسبة لنزوله درب السلسلة ببغداد[٥]، ويكنى الشيخ الكليني بابي جعفر[٦]. وذكرته بعض المصادر بلقب الاعور[٧].

---

(١) الطوسي: الرجال، ص٤٩٥. الفهرست، ص١٦١. ابن الاثير: جامع الاصول جـ١٢ ص٢٢٢. الكامل في التاريخ، جـ٦ ص٢٧٤. البحراني: لؤلؤة البحرين، ص٣٨٦. الخوانساري: روضات الجنات، ص٥٥٠، البهائي: الوجيزة ص٩. ابن عبد الصمد الحارثي: وصول الاخبار، ص٦٩.

(٢) النجاشي: الرجال، ص٢٩٢، العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٥، ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٤١. ابن حجر: لسان الميزان جـ٥ ص٤٣٣، المامقاني: تنقيح المقال، مج ٣ رقم الترجمة ١١٥٤٠. بركلمان: تاريخ الادب العربي، جـ٣ ص٣٣٩. القمي: الكنى والالقاب، جـ٢ ص١٠٣. الطهراني: الذريعة، جـ٦ ص١٧٩.

(٣) ابن الاثير: جامع الاصول، جـ١٢ ص٢٢. روضات الجنات، ص٥٥٠، الوجيزة ص٩. لؤلؤة البحرين، ص٣٨٦.

(٤) الزبيدي: تاج العروس، مج ٩ ص٣٢٢.

(٥) الزبيدي: تاج العروس، مج٩ ص٣٢٢.

(٦) النجاشي: الرجال، ص٢٩٣. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٥، الخوانساري: روضات الجنات، ص٥٥١. ابن الاثير: جامع الاصول، جـ١٢ ص٢٢. الزركلي: الاعلام، ٨ ص١٧.

(٧) الطوسي: الرجال، ص٤٩٥-ص٤٩٦. ابن شهر اشوب: معالم العلماء، ص٨٨.

وينتسب الى قرية كلين وهي من قرى الري[١] في بلاد فارس، ومنها جاء لقبه بالرازي. وفي قرية كلين يوجد قبر ابيه يعقوب[٢].

لقد نشأ الشيخ الكليني في اسرة علمية وفقهية، اذ كان خاله علان الكليني الرازي[٣] من رجالها المشهورين بالعلم والفقه، كما عرف عن الشيخ الكليبني نفسه انه شيخ الامامية في وقته بالري ووجههم وكان اوثق الناس في الحديث واثبتهم[٤]، وقد بلغ مكانة بارزة في الفقه والحديث في كلين قبل ان يهاجر الى بغداد، وربما الف جزءا من كتابه "الكافي" هناك.

لم تسعفنا مصادر التاريخ، ولا كتب الرجال وغيرها، بمعرفة وقت دخول الشيخ الكليني مدينة بغداد، واسباب هجرته اليها، سوى انه نزل درب السلسلة، بباب الكوفة[٥]، وحدث بها[٦]. ولعل سببب هجرته يرجع الى رغبته في التحصيل العلمي، اذ كان العلماء يواصلون دراساتهم على شيوخ خارج بلادهم، ولم يكترثوا للمخاطر التي تحيط بهم. وعلى الرغم من عدم استقرار الوضع ببغداد يومذاك الا انها كانت تتمتع بسمعة كبيرة اذ

---

(١) القمي: الكنى والالقاب، جـ٢ ص١٠٥. اللاهيجي: خير الرجال، ورقة ٣٥١أ. البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٣ ص١١٧٣. ابن الاثير: اللباب، جـ٣ ص٤٩.

(٢) الخوانساري: روضات الجنات، ص٥٥٠. القمي: الكنى والالقاب جـ٢ ص١٠٥.

(٣) النجاشي الرجال ص٢٩٢. العلامة: الرجال، ص١٤٥. محمد طه نجف: اتقان المقال ق١ ص١٣٤.

(٤) نفس المصادر والمراجع.

(٥) الزبيدي: تاج العروس: مج٩ ص٣٢٢.

(٦) ابن حجر: لسان الميزان، جـ٥ ص٤٣٣.

انها مركز الخلافة العباسية، ومنتدى العلماء، ومحط امال المشتغلين بالعلم، وكانت الرحلة في طلب المعرفة امرا شائعا، وكثير من الفقهاء كانوا "يسافرون بعد اكما دراساتهم الى سائر الاقطار الاسلامية للافادة والاستفادة وبخاصة الى بغداد التي كانت مقر الخلافة، ومركز الحضارة الاسلامية العظيم"[١]. وقد تبوأ الشيخ الكليني بمدينة بغداد مكانة مرموقة، فاصبح فقيه الامامية الاعظم، ورأسا من رؤوس فضلائها[٢]، واماما من ائمتها[٣] البارزين ومرجعا في العلم والفقه والحديث،[٤] ومن جلالة فضلة وثقته وورعه، وعلو مقامه ومنزلته، لقب "بثقة الاسلام"[٥] و"شيخ الشيعة"[٦] و "شيخ مشايخ الاعلام"[٧]. وقد وصفه الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي بانه جليل القدر، عالم بالاخبار[٨]. وقد بقي الشيخ الكليني فقيه الامامية الاكبر ورئيسها الاوحد حتى وفاته في شعبان عام

---

(١) د.علي اكبر فياض: محاضرات عن الشعر الفارسي، ص٩٧.

(٢) الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ص٢٦٠.

(٣) بحر العلوم: رجال السيد بحر العلوم، جـ٣ ص٣٢٥. البحراني: لؤلؤة البحرين ص٣٨٦.

(٤) المامقاني: تنقيح المقال، مج٣ الترجمة ١١٥٤٠.

(٥) رجال السيد بحر العلوم، جـ٣ ص٣٢٥. الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٠ البحراني الشوبكي: الدرة البهية، ورقة ٣٤أ. دونلدسن: عقيدة الشيعة ص٢٨٣- ص٢٨٤. القمي: الكنى والالقاب، جـ٢ ص١٠٣.

(٦) الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٠.

(٧) رجال السيد بحر العلوم جـ٣ ص٣٢٥. لؤلؤة البحرين، ص٣٨٦.

(٨) الطوسي: الرجال، ص٤٩٥-٤٩٦. الفهرست، ص١٦١- ص١٦٢.

٣٢٨هـ او ٣٢٩هـ[١] في بغداد، وقد صلى على جثمانه الطاهر السيد محمد بن جعفر الحسني الملقب بأبي قيراط[٢]، نقيب الطالبيين ببغداد والمتوفى عام ٣٤٥هـ[٣]. وقد دفن الشيخ الكليني بمقبرة بباب الكوفة. ويقول ابن عبدون (احمد بن عبد الواحد البزاز المتوفى عام ٤٢٣هـ)[٤]:

رأيت قبره في صراة الطائي[٥] وعليه لوح مكتوب عليه اسمه واسم ابيه[٦]. ويقول البحراني: كان قبره مزارا مشهورا وعليه قبة عالية[٧]. ويبدو ان مقبرة الشيخ الكليني تعرضت للهدم بايعاز من احد القادة الاتراك الذين كانوا يحكمون يومذاك قبل سيطرة البويهيين على الحكم عام ٣٣٤هـ، وتذهب بعض المصادر الى القول: ان احد حكام بغداد رأى القبر فسأل

---

(١) الطوسي: الفهرست، ص١٦١- ص١٦٢. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٥. النجاشي: الرجال، ص٢٩٣. ابن طاووس: كشف المحجة، ص١٥٩. أبو الفدا: المختصر في اخبار البشر، جـ٢ ص٨٧. ابن الاثير: الكامل جـ٦ ص٢٧٤.

(٢) النجاشي: الرجال، ص٢٩٣. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٥.

(٣) ابن الجوزي: المتنظم، جـ٦ ص٣٨٢- ص٣٨٣.

(٤) انظر كتابنا "الشيخ الطوسي" وفيه ترجمة لابن عبدون على اعتباره من شيوخ الطوسي، ص١١١- ص١١٤.

(٥) الصراة نهران ببغدادهما الصراة العليا والصراة السفلى، والطائي هو حميد بن قحطبة كان له ربض على الصراة العليا فسمى بصراة الطائي. انظر اليعقوبي: البلدان ص١٢- ص١٣. البغدادي: مراصد الاطلاع، جـ٢ ص٨٣٦.

(٦) الطوسي: الفهرست، ص١٦١- ص١٦٢.. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٥.

(٧) البحراني: لؤلؤة البحرين، ص٣٩٠.

عنه فقيل له هذا قبر عالم من علماء الشيعة فأمر بهدمه[1]، ولم يعط ابن عبدون سببا لهدم القبر بل يكتفي بالقول: وجدت القبر قائما ثم درس[2].

لقد اجمع الباحثون والرجاليون، على ان الشيخ الكليني كان من المجددين لمذهب الامامية على رأس المائة الثالثة[3]. اذ انه من الثابت تاريخيا ان الشيخ الكليني ادرك عصر السفراء الاربعة للامام الثاني عشر عليه السلام[4]، لان وفاته كانت بنفس السنة التي توفى بها رابع السفراء.

لقد الف الشيخ الكليني كتاب "الكافي"، وهو احد الاصول الاربعة عند الشيعة الامامية، استجابة لحاجة الناس الى مثله، بعد ان سأله جماعة بتاليف كتاب كاف "يجمع فيه من جميع فنون علم الدين، ما يكتفي به المتعلم، ويرجع اليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد علم الدين والعلم به بالاثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها

---

(١) البحراني: الدرة البهية، ورقة ١٤.

(٢) النجاشي: الرجال، ص ٢٩٣.

(٣) اللاهيجي: خير الرجال، ورقة ٣٥١أ. بروكلمان: تاريخ الادب العربي جـ٣ ص٣٣٩. التستري، مقابس الانوار، ص٨ البهائي: الوجيزة، ص٩. البحراني: الدرة البهية ورقة ٤١أ.

(٤) السفراء هم: ابو عمرو عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الاسدي، وابو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري المتوفى ٣٠٤هـ او ٣٠٥هـ وابو القاسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي المتوفى ٣٢٠هـ وابو الحسن علي بن محمد السمري المتوفى ٣٢٨ او ٣٢٩هـ.

العمل، وبها يؤدي فرض الله عزوجل وسنة نبيهﷺ"[1]. ولاهمية كتاب "الكافي" قال فيه الشيخ المفيد المتوفى عام ٤١٣هـ "الكافي وهو من اجل كتب الشيعة، واكثرها فائدة"[2]، وقال الشهيد الاول محمد بن مكي المتوفى عام ٧٨٦هـ "كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل الامامية مثله"[3].

ان العصر الذي الف فيه الشيخ الكليني كتاب "الكافي" كان يستوجب هذا النوع من التأليف عقب انتهاء عصر الائمة عليهم السلام، وبدأ الاهتمام بجمع احاديثهم وتداولها، والتقيد بها، وقد الفت كتب الصحاح الست عند اهل السنة في مدة لم تكن بعيدة عن عصر الشيخ الكليني، وعندما اكتمل تدوين الحديث عند اهل السنة، اضطلع الشيخ الكليني بالمهمة، فقد وجد ان الاوان قد حان بجمع الاصول المتفق عليها عند الامامية وهي اربعمائة مصنّف لاربعمائة مصنف[4]، وذلك لكشف الاحكام وتوضيح المسائل، ولعل ظروف مدينة بغداد الفكرية، وما كانت تزخر به من علماء وفلاسفة، وما تحفل مجالسها من مناظرات ومناقشات، كانت عاملا على انفتاح الفكر، واتساع مدارك المعرفة، ساعدت الشيخ

---

(١) الكليني: الكافي، جـ١ ص٥٥.

(٢) المفيد: تصحيح الاعتقاد، ص٢٧.

(٣) المجلسي: بحار الانوار، مج٢٥ ص٦٧.

(٤) المفيد: الارشاد، ص٢٧١. البهائي: مشرق الشمسين، ص٣ المحقق الحلي: المعتبر، ص٤.

الكليني من انهاء تأليفه للكافي، بعد جهد دام عشرين عاماً[1]، وكان اول الاصول الاربعة في الحديث عند الامامية واعظمها شأنا[2]، حتى وصف بأنه "لم يعمل مثله"[3]، باعتباره مصدرا اصيلا في الحديث والفقه، وكان لكتاب "الكافي" بوصفه احد الاصول تأثيرات واسعة النطاق في الفكر الفقهي الامامي على تعاقب عصوره. وما زالت تاثيراته واضحة وبالدرجة نفسها لاعتبارات تتعلق بذاتية الكتاب من جهة وبشخصية مؤلفه من جهة ثانية، ومن ثم فقد وجدت العصور الفقهية المتعاقبة في الكتاب وفي ورع مؤلفه وجمعه لشروط المحدث ما اهله لوضع ثقتها به والرجوع اليه في تصور الحكم الشرعي ومزاولته في الحياة العملية وفي العبادات جيلا بعد جيل، ويقول الدكتور حسين محفوظ: "وقد اتفق اهل الامامة، وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب والاخذ به، والثقة بخبره، والاكتفاء باحكامه، وهم مجمعون على الاقرار بارتفاع درجته، وعلو قدره -على انه- القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان الى اليوم وهو عندهم (اجمل وافضل) من سائر اصول الحديث"[4]، وفي صدد تقييمه لمحتويات كتاب "الكافي" يقول: "والكافي -الحق يقال- جؤنة حافلة، باطائب

---

(١) النجاشي: الرجال، ص٢٩٢. ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٤١- ص٣٤٢. الخوانساري: روضات الجنات، ص٥٥٢. محمد طه نجف: اتقان المقال. ق١ ص١٣٤.

(٢) الطهراني: الذريعة، جـ٦، ص١٧٩-١٨٠.

(٣) القمي: الكنى والالقاب، جـ٢ ص١٠٣.

(٤) د.حسين محفوظ، مقدمة كتاب الكافي: ص٢٦.

الاخبار، ونفيس الاعلاق من العلم، والدين، والشرائع، والاحكام، والامر، والنهي، والزواجر، والسنن، والاداب، والاثار[1]".

يشتمل كتاب "الكافي" على ثلاثين كتابا في الحديث، يتصل سندها بأهل البيت عليهم السلام[2]، وقد ضم ستة عشر الف ومائة وتسعة وتسعين حديثا[3]، ويقول البهائي ان في الكافي من الاحاديث ما يزيد على ما في كتب الصحاح الست متونا واسانيد[4]. وهذه ميزة اختص بها كتاب "الكافي". فالشيخ الكليني يذكر مصادره بقوله: كل ما كان في كتابي عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن عيسى...وغيره[5]. فهو يلتزم في كل حديث -الا نادرا- أن يذكر جميع سلسلة السند بينه وبين الامام عليه السلام وقد يحيل بعض السند على ما ذكره قريبا[6]. ويضم كتاب "الكافي" مختلف انواع الاحاديث من "صحيح" و"حسن" و"قوى" و"ضعيف"، ولذا نجد الشيخ الصدوق في كتابه "من لا يحضره الفقيه" لم يعتمد جميع الاحاديث التي رواها المحدثون قبله سواء كان الشيخ الكليني ام غيره، فيقول: "لم اقصد فيه

---

(١) د.حسين محفوظ، مقدمة كتاب الكافي: ص١٤.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام، ص٢٦٠.

(٣) لؤلؤة البحرين، ص٣٩٤-٣٩٥. وقد جاء في تأسيس الشيعة ص٢٨٨. والشيعة وفنون الاسلام، ص٣٤، وعقيدة الشيعة لدونلدسن، ص٢٨٣ بأن عدد أحاديث "الكافي" هي ١٦٠٩٩ حديثا.

(٤) ابن عبد الصمد الحارثي: وصول الاخيار، ص٦٩-٧٠.

(٥) النجاشي: الرجال، ص٢٩٣.

(٦) البهائي: مشرق الشمسين، ص١٢. العاملي: منتقى الجمان ج١ ص٢١.

– يعني كتاب من لا يحضره الفقيه – قصد المصنفين في ايراد جميع ما رووه بل قصدت الى ايراد ما افتى به واحكم بصحته"[1]، ويعقب الامام الخوئي على هذا الرأي بالقول: "فان هذا الكلام ظاهر في ان كتاب الكافي في اعتقاد الصدوق كان مشتملا على الصحيح وغير الصحيح كسائر المصنفات"[2]، كما ان الشيخ الطوسي في كتاب "التهذيب" اخذ طائفة من اخباره عن الشيخ الكليني، ولكن كان يعامل رواياته معاملة الخبر غير القطعي فإن كان راويها من الضعفاء او كانت الرواية مرسلة طرحها، سواء كانت الرواية مروية في الكافي او الفقيه او غيرهما من الكتب والاصول المعروفة والمشهورة"[3]، فمثلا في الحديث المروي عن "محمد بن يعقوب بن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن بسطام بن مرة عن اسحاق بن حسان عن الهيثم بن واقد عن علي بن الحسن العبدي عن ابي هارون عن ابي سعيد الخدري قال: امرر سول الله صلى الله عليه واله بلالا أن ينادي ان رسول الله ﷺ حرم الجري والضب والحمر الاهلية"[4]، وازاء هذا الحديث المروي عن الكليني، اوضح الشيخ الطوسي رأيه في رواته، وعرض رجاله الى الجرح والتعديل، وذهب من ثمّ الى ان هذا الخبر "لايلتفت اليه"[5] ويعقب السيد الخوئي على رأي الشيخ الطوسي هذا

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، جـ١ ص٣.
(٢) الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٠.
(٣) ن. م، جـ١ ص٤٨.
(٤) الطوسي: التهذيب، جـ٩ ص٤٠.
(٥) ن. م، جـ٩ ص٤١.

بقوله: "وهذا تصريح منه بأن روايات الكافي لست كلها صحيحة، فضلا عن كونها مقطوعة الصدور"[1]. ونجد الشيخ الطوسي في كتابه الاخر وهو "الاستبصار" يقف من روايات الشيخ الكليني والشيخ الصدوق موقف المتفحص الناقد ولم يعتبرها قطعية الصدور[2]، فيورد خبرين عن الكليني[3]، ثم يعطي رأيه فيهما فيقول: "فلا ينافي هذا الخبران ما قدمناه في العمل على الرؤية لمثل ما قدمناه في الباب الاول من انهما خبر واحد لا يوجبان علما ولا عملا، وان راويهما عمران الزعفراني وهو مجهول، وفي اسناد الحديثين قوم ضعفاء لا نعمل بما يختصون بروايته،[4] ويقول السيد الخوئي "وهذا تصريح من الشيخ -يقصد الشيخ الطوسي- بأن كل رواية في الكافي او غيره اذا كان في سندها ضعفاء لا يعمل بها فيما اذا اختصوا برواياتها"[5].

ان الاصول الاربعة في الحديث عند الامامية، وهي "الكافي" الكليني، و"من لايحضره الفقيه" للصدوق، و"التهذيب" و"الاستبصار" للطوسي، يجب ان تؤخذ بالدراسة العميقة والبحث المستقصي. وتسليط الاضواء عليها "واخضاعها لقواعد النقد والتمحيص التي عرضت في كتب

---

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٣.

(٢) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي، ص٣٦٤.

(٣) الطوسي: الاستبصار جـ٢ ص٧٦، الحديث ٢٣٠ و٢٣١.

(٤) معجم رجال الحديث: ٤٣/١.

(٥) الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٣.

الدراية"[1]، وذلك لتبيان الاحاديث المختلفة وتوضيح "صحيحها وعليلها وضعيفها وسقيمها"[2]، وهذا ما يؤيد الرأي القائل بأن "الكتب الاربعة" غير قطعية، ولذا اختلف الاصوليون من الشيعة عن الاخباريين الذين "يرون ان ما في كتب الاخبار الاربعة المعروفة للشيعة قطعي السند او موثوق بصدوره فلا يحتاج الى البحث عن سنده"[3]، ويقول السيد الخوئي: "ذهب جماعة من المحدثين الى ان روايات الكتب الاربعة قطعية الصدور، وهذا باطل من اصله، اذ كيف يمكن دعوى القطع بصدور رواية رواها واحد عن واحد، ولاسيما ان في رواة الكتب الاربعة من هو معروف بالكذب والوضع"[4].

ثم يقدم السيد الخوئي دليلا على بطلان دعوى القطع باخبار الكتب الاربعة هو "اختلاف هذه الكتب في السند او في المتن"[5]، وقد حاول الشيخ ابو زهرة اعطاء صورة واضحة عن مسلك الاخباريين والاصوليين في اخذهم لاحاديث الكتب الاربعة بالقول: "ان الاخباريين ياخذون كل ما في الكتب الاربعة من غير تمحيص لان الصحة راجحة، بل يدعون اليقين في صدقها. اما الذين يعنون بالاصول، فانهم يرون ضرورة تمحيص الاخبار

---

(١) السد محمد تقي الحكيم: الاصول العامة، ص١١٤.

(٢) الطريحي: جامع المقال، ص١٥.

(٣) الامين: اعيان الشيعة: جـ١٧ ص٤٥٢.

(٤) الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٣٦.

(٥) الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٩.

وضرورة تعرف الخبر الذي يمكن الاخذ به مما لا يمكن الاخذ به، وان الضعيف منها مردود، وانه يجب الاحتياط في التحليل والتحريم"[1].

ويمكن القول بأن الشيخ الكليني خلّف لنا تراثا فخما، عدا كتاب الكافي، ذكر جملة منها الشيخ الطوسي في الفهرست عن السيد المرتضى الذي اخبره بجميع مصنفات الشيخ الكليني ورواياته[2]، كما ذكرها النجاشي في رجاله[3]، وقال: "كنت اتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي وهو مسجد نفطويه النحوي اقرأ القرآن على صاحب المسجد وجماعة من اصحابنا يقرأون كتاب الكافي على ابي الحسين احمد بن احمد الكوفي الكاتب". وذكر ابن شهر آشوب في كتابه "معالم العلماء" بعضا من مؤلفات الشيخ الكليني[4].

(١) ابوزهرة: الامام الصادق، ص٢٨٧.

(٢) الطوسي: الفهرست، ص١٦١- ص١٦٢.

(٣) النجاشي: الرجال، ص٢٩٢.

(٤) معالم العلماء ، ص٨٨.

الشيخ ابو القاسم بن قولويه القمي البغدادي وأهمية رواياته في كتاب (كامل الزيارات) (ت ٣٦٨هـ)

يعد الامام الشيخ ابو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي البغدادي (ت٣٦٨هـ) من كبار علماء الامامية في القرن الرابع الهجري ، الموافق للقرن العاشر الميلادي ، وعند سكناه بمدينة بغداد ، لحق به لقب البغدادي ، وكان قد جمع بشخصيته العلمية بين الفقه والحديث، وقد شاع صيته العلمي في مجتمع بغداد ، وفي عصر بلغ العلم فيه قمة النضج ، حيث كانت المناظرات العلمية سمة بارزة في ذلك العصر ، فنبغ من علماء الامامية في بغداد كل من : الشيخ الكليني ، والشيخ ابن قولويه القمي ، والشيخ الصدوق ، والشيخ المفيد وغيرهم من اعلام الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام ، وعلم الرجال ، وقد التحق بقافلة الاعلام الاماميين الشريفان الرضي والمرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم ، حتى انهم فرضوا وجودهم العلمي على المجتمع البغدادي ، وتياراته الفكرية المختلفة، وكان والد الشيخ ابن قولويه الملقب مسلمة من خيار اصحاب الشيخ سعد ابن عبد الله الاشعري ، ويقول الشيخ النجاشي: "وكل ما يوصف به الناس من جميل وفقه فهو فوقه"[1] وكان الشيخ ابن قولويه من رواة الشيخ الكليني ابي جعفر محمد بن يعقوب (ت٣٢٨هـ) مجدد الفكر الامامي في

---

(١) النجاشي: الرجال ص٨٩ ، ينظر العلامة الحلي: الرجال ص٣١. ابن داود: الرجال ق١/٦٥.

القرن الرابع الهجري ، وقد روى عنه الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ) شيخ الكلاميين والفقهاء في عصره. ويقول الشيخ الطوسي: "روى عنه التلعكبري ، واخبرنا عنه محمد بن محمد بن النعمان ، والحسين بن عبيد الله ، واحمد بن عبدون ، وابن عزور"[١]، وهؤلاء الاعلام هم من مشايخ الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) ومنهم استقى اخبار الشيخ ابن قولويه ، واشار المحدث ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) الى مكانة ابن قولويه العلمية بقوله: "انه من كبار الشيعة وعلمائهم المشهورين"[٢]. فقد اشارت المصادر الى مؤلفاته ورسائله ، وفهرس ما يرويه من الكتب والمصنفات[٣]. ويقول الشيخ الطوسي: "له تصانيف على عدد كتب الفقه"[٤]. وقد ذكرها باسمائها ، وكنا قد اخترنا كتاب "كامل الزيارات" لأهميته في الحديث والرجال والتاريخ ، فقد أورد فيه أحاديث الائمة عليهم السلام في تحديد المراقد الشريفة لآل البيت سلام الله عليهم ، وعند حديثه عن مرقد الامام علي عليه السلام ، فانه فأورد عدة روايات عن مدفنه الشريف ، وقد كشف عن

---

(١) الطوسي: الرجال ص٤٥٨.

(٢) ابن حجر: لسان الميزان ١٢٥/٢.

(٣) الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٢٥٦.

(٤) الطوسي: الفهرست ص٦٧- ص٦٨ ، ينظر ابن شهراشوب: معالم العلماء ص٣٠.

ضعفها ، وأكد على مرقده الطاهر في أرض الغري[1]. وقد ادخل احد تلاميذه الباب الثامن والثمانين في الكتاب بعنوان "فضل كربلاء وزيارة الحسين عليه السلام" بقوله: "وقد ذاكرت شيخنا ابن قولويه بهذا الحديث بعد فراغه من تصنيف هذا الكتاب ليدخله فيه ، فما قضى ذلك وعاجلته منيته رضي الله عنه ، والحقه بمواليه عليهم السلام. وهذا الحديث داخل فينا اجاز لي شيخي رحمه الله ، وقد جمعت بين الروايتين بالالفاظ الزائدة والنقصان ، والتقديم والتأخير فيهما حتى صح بجميعه عمن حدثني به أولاً"[2]. ويعطي هذا النص اضاءة على منهج الشيخ ابن قولويه الذي استفاد منه تلاميذه ، فكان يجمع الروايات في موضوع معين ، ومن ثم يسقط الضعيف منها ، فيقول: "وجميع أحاديث هذا الباب وغيرها مما يجري مجراها يستدل بها على صحة قبر مولانا الحسين عليه السلام بكربلاء ، لأن كثيراً من المخالفين ينكرون ان قبره بكربلا ، كما ينكرون ان قبر مولانا امير المؤمنين عليه السلام بالغري بظهر نجف الكوفة"[3]. وحينما أورد زيارة الامام الحسين عليه السلام قال: "حدثني بهذه الزيارة احمد بن محمد بن الحسن بن سهل. والحسن بن الزبرقان الطبري". ونقل عن أخيه علي بن محمد عدة روايات عن فضل مسجد الكوفة. وأورد الشيخ ابن قولويه عن الامام الرضا عليه السلام روايات تشير الى بناء المرقد الحيدري الشريف تعود الى القرن الثاني للهجرة ، وتعطي هذه الروايات أهمية تاريخية كبيرة ، ويسند بعض الروايات لأبيه وغيره كقوله: "حدثني ابي وجماعة مشايخي" وقوله: "حدثني ابي واخي وجماعة" وذكر ابن قولويه أخاه عليا في بعض

---

(١) ابو قولويه: كامل الزيارات ص٣٤- ص٣٦.

(٢) المصدر نفسه ص٢٦٠.

(٣) المصدر نفسه ص٢٥٩.

النصوص ، إذ انه كان ينقل عنه مباشرة، وذكر السيد ابن طاووس: ان الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه رحمه الله قال: حدثني محمد بن احمد بن علي بن يعقوب[1]. وان بعض النصوص كانت عن طريق ابيه ، عن سعد بن عبد الله بن ابي خلف الاشعري ، وهي تغطي مساحة كبيرة من كتاب "كامل الزيارات"، وان الواقف على أحاديث كتابي "تهذيب الاحكام" و "الاستبصار فيما اختلف من الاخبار" للشيخ الطوسي ، وبخاصة في باب فضل الفطرة ، وباب البينات ، وباب مستحق الفطرة ، نجدها منقولة عن الشيخ ابن قولويه ، وتفصح بعض الاحاديث واسانيدها عن قضايا تاريخية وفقهية ، وعن صلات الشيخ ابن قولويه بشيوخه ، فانه يترحم على بعضهم، او يكثر الرواية عنهم ، وتتصل بعض الاسانيد بالشيخ الكليني عن طريق الشيخ الصدوق ، وبعضها تبتدىء بالشيخ ابي علي الحسن الطوسي عن ابيه الشيخ الطوسي ، عن الشيخ المفيد، عن ابن قولويه ، عن الشيخ الصدوق ، عن الشيخ الكليني. وان سلسلة السند هذه لها اهمية كبيرة من حيث الوثاقة والدقة في رواية الاحاديث. وان هناك الكثير من روايات كتاب "جامع الزيارات" عن طريق الشيخ محمد بن الحسن بن الوليد ، ومحمد بن جعفر الرزاز القرشي ، وقد يشترك ابوه معهما ، ويشترك في الرواية في بعض الاحاديث الشيخ الكليني وعلي بن الحسين عن علي بن ابراهيم بن هاشم[2]. ويقع الفقيه الكبير الشيخ محمد بن الحسن الصفار في روايات كامل الزيارات ، فيقول ابن قولويه: "حدثني محمد بن الحسن عن محمد بن الحسن الصفار" ومن الجدير بالذكر ان هناك عدداً من شيوخ ابن قولويه يسمى محمد بن الحسن منهم: محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار ،

---

(١) ابن طاووس: فرحة الغري ص٨٥.

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ١١٩/٦.

ومحمد بن الحسن بن مت الجوهري وغيرهما[1]. وأشار الشيخ ابن قولويه الى بعض رواة كامل الزيارات من السلالة العلوية ومنهم: جعفر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن موسى الكاظم عليه السلام. فهو هنا اعطانا سلسلة النسب لهذا الراوي ، وكان يلفت نظر القارىء الى الاماكن الجغرافية التي ينتمي اليها رواة كتابه ، فذكر ابا عبد الله الحسين بن علي الزعفراني ، الذي استمع اليه في منطقة الري[2]. وابا عبد الرحمن محمد بن احمد بن الحسين العسكري في منطقة خوزستان، وان ابا الفضل محمد بن ابراهيم الجعفي الكوفي ، المعروف بالصابوني قد سكن مصر ، وهو صاحب كتب الادعية والاعتكاف والتفسير[3]. وذكر ان ابا عيسى عبيد الله بن الفضل النبهاني قد انتقل الى مصر ، وان الشيخ ابا طالب عبيد الله بن احمد الانباري قد توفى بواسط عام ٣٥٦هـ ، وذكر ابن قولويه بعض مشايخه من القميين منهم: محمد بن عبد المؤمن المؤدب ، صاحب كتاب "النوادر" وقد ترحم عليه الشيخ ابن قولويه[4]. وابو عبد الله الحسين بن محمد بن عامر الاشعري ، وابو العباس احمد بن اصفهبذ صاحب كتاب "تعبير الرؤيا"[5]. والحسين بن عبد الله الاشعري ، وروى عن السمرقنديين والنيسابوريين والقزوينيين والسعداباديين منهم: محمد بن الوارث ، وعلي بن حاتم ، وعلي بن الحسين ، ومن العراقيين التلعكبريين ذكر ابا محمد هارون بن موسى ، وكان بعض الاعلام قد انتسب الى قبيلة عربية

---

(١) الطهراني: طبقات اعلام الشيعة/القرن الرابع ص٢٦٤.

(٢) المصدر نفسه ص١١٦ ، الخوئي: معجم رجال الحديث ٥٧/٦.

(٣) الطهراني: الذريعة ٣٩١/١ ، ٢٢٩/٢ ، ٢٧٨/٤.

(٤) ابن قولويه: كامل الزيارات ص١٧٢.

(٥) الطهراني: طبقات اعلام الشيعة/القرن الرابع ص٢٠.

كالحمدانيين والحميريين ، وبعضهم من انتسب الى مهنة معينة وهناك موارد مجهولة لم يفصح عنها الشيخ ابن قولويه ، كقوله: "وحدثني من رفعه الى ابي بصير" و "وجدت في بعض الكتب"[1] وتتفاوت روايات كتاب "كامل الزيارات" بين الرواية الواحدة الى العشرات المسندة الى الرواة الذين اعتمدهم ابن قولويه ، وهي تعطي صورة من الدقة والامانة العلمية في التدوين ، وقد حرص الشيخ ابن قولويه على هذا الجانب بصورة واضحة، وكان قد اضفى على الكتاب اهمية تاريخية كبيرة.

---

(١) ابن قولويه: كامل الزيارات ص١٤٤ ، ص٣٢٢.

الشيخ الصدوق
ومكانته في الفكر الاسلامي (ت ٣٨١هـ)

لقد عاش الشيخ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي)، في العصر البويهي من الدولة العباسية، وكان ذلك من عوامل نبوغه الفكري والعلمي واشتهاره في الاوساط العلمية في بغداد وانتشار مؤلفاته بين الامصار الاسلامية، واتاحة حرية العمل والكتابة له في ظل بني بويه الذين هيمنوا على الحكم في العراق وبلاد فارس، وقد عرف عن الاسرة البويهية عدم تحزبها لفئة معينة على حساب فئة اخرى، او انحيازهم الى رأي معين، على الرغم من كونهم من الشيعة، بل تركوا الناس احرارا في معتقداتهم، ذلك انهم كانوا يدركون بأن الحكم والسياسة هما الاساس في وجودهم، وان هدفهم الاكبر يجب ان يتجه الى اقرار الامن والنظام، ولكي يحقق الحاكم هذه الاغراض، عليه ان يساوي بين الناس، وان يضع نفسه فوق الاعتبارات الضيقة، وان لا يتدخل في الشؤون الخاصة بالرعية، ليتسنى له كسبهم ودرء سخطهم، وليستجيبوا لامره استجابة طوعية تحقق الغرض المقصود من اقامة الدولة[1]. وكان آل بويه على تشيعهم، لم يحاولوا تسليط ابناء مذهبهم على غيرهم[2]، مما مكن لهم من اشاعة الاستقرار والامن في البلاد، وتعميم سياستهم المتسامحة تجاه جميع السكان[3]. وكان

---

(١) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي، ص ٣-٣١.

(٢) Eneyelopaedia of Islam، Vol. 1.p. 1352.

(٣) Mafizullah Kabir، the Buwayhid Dynasty of Baghdad p. 212.

من نتائج هذه السياسة هدوء الحالة واستقرار الامور في اغلب الاوقات ونتيجة لذلك انصرف الناس الى العمل من اجل ترقية الحياة المادية والروحية، وكانت الحرية الفكرية من اسباب الرقي العلمي، لانها تفتح القرائح، وتقوي المدارك، وتحفز العلماء على البحث والنظر، حتى اعتبر العصر البويهي، من ازهر العهود الثقافية في هذه البلاد لاطلاق الحرية الدينية، والحرية الفكرية، والحرية القلمية)[1]. وقد اخذت العلوم في هذا العصر تزدهر بشكل محسوس، لان الحرية كانت مقيدة قبل هذا العصر، يقول الدكتور مصطفى جواد: (وكانت هذه الحريات قبلهم مزمومة مكمومة، وقد عوقب عليها قبلهم بالموت، كما جرى على الحسين بن منصور الحلاج[2] لشذوذه في التحرر، فظهرت الاقلام الحرة، وصرحت النفوس الكاتمة، وتنفست الصدور المحرجة، واعترف بسلطان العقل، فنفذ حكم المعقول في المنقول وكان المنقول قبل ذلك مقدساً، كائنة ما كانت حقيقته من حيث الصحة والاختلاف، والامكان والاستحالة)[3]. ولعل هذا هو السر في كثرة العلماء والمفكرين الذين تبغوا في هذا العصر من مختلف المذاهب الاسلامية، فمن شيوخ الامامية برز الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٨/ ٣٢٩هـ)، وابو القاسم جعفر بن محمد بن

---

(١) الدكتور مصطفى جواد: ابو جعفر النقيب، ص٥.

(٢) ابو مغيث أو ابو عبدالله الحسين بن منصور، قتل عام ٣٠٩هـ في اثناء خلافة المقتدر بالله.

(٣) د. مصطفى جواد: مقالة في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج٤، ج٢، ص ٥٠٩.

جعفر بن موسى بن قولويه (ت٣٦٨هـ)، والشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، والشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ)، والشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ) والشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين(ت٤٣٦هـ)، والشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، ومن شيوخ الشافعية، كان ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (ت٤٥٠هـ)، وابو اسحق جمال الدين ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزابادي (ت٤٧٦هـ)، وابن الصباغ ابو نصر عبد السعيد بن عبد الواحد (ت٤٧٧هـ)، والجويني امام الحرمين ابو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت٤٧٨هـ)، وكان من شيوخ الاشعرية ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، ومن شيوخ الحنفية كان ابو عبد الله محمد بن علي الدامغاني (ت ٤٧٨هـ)، ومن الحنابلة كان ابو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (ت٥١٣هـ) وغير هؤلاء من الاعلام، كان يعج بهم القرنان الرابع والخامس للهجرة.

والواقع ان رجال الفكر والعلم والمعرفة كانوا في عهد الدولة البويهية، في مأمن من الفوضى والاضطراب، حتى كان كثير من وزراء هذه الدولة من الادباء والمفكرين، ولذا امتاز عهد آل بويه (بالخصب العلمي والادبي بتأثيرهم الخاص، او بتأثير وزرائهم، اذ كان بيت الوزير يمثل مدرسة، بل

جامعة تحوي الوانا مختلفة من الثقافة، وضروبا من العلم والادب)[1]، وكانوا (لا يستوزرون او يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب)[2].

وقد كان يعاصر آل بويه، الفاطميون في مصر، والحمدانيون في حلب، وكانت بلاطات هؤلاء منتديات للعلماء والمفكرين، ومثابة لاستقطاب أكبر عدد من ذوي العقول والمعرفة، فالمنافسة العلمية الشديدة والخصبة، اهلت القرن الرابع الهجري بأن يطلق عليه (عصر النهضة) في التاريخ الاسلامي.

لقد عاصر الشيخ الصدوق الامير البويهي ركن الدولة (ت٣٦٦هـ) صاحب اصبهان والري وهمدان وجميع عراق العجم، وكان ملكا جليل القدر، عالي الهمة[3]، وقد كان الشيخ الصدوق موضع احترامه وتقديره، وقد طلب منه الاقامة بمدينة الري فاستجاب الشيخ لذلك، فاصبح فيها مرجعا للعلوم الاسلامية، ومما يدل على وثاقة العلاقة بين الصدوق وركن الدولة، ماذكره الشيخ الصدوق في كتابه (عيون اخبار الرضا) بقوله: (لما استأذنت الامير السعيد ركن الدولة في زيارة مشهد الرضا عليه السلام فاذن لي في ذلك في رجب من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فلما انقلبت عنه ردني، فقال لي: هذا مشهد مبارك قد زرته وسألت الله تعالى حوائج كانت في نفسي، فقضاها لي، فلا تقصر في الدعاء لي هناك والزيارة عني، فان الدعاء فيه مستجاب، فضمنت ذلك له ووفيت به، فلما عدت من المشهد على

(١) الدكتور محمود غناوي الزهيري: الادب في ظل بني بويه، ص

(٢) ن.م.

(٣) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج١ ص ٣٨٩.

ساكنه التحية والسلام ودخلت اليه فقال لي: هل دعوت لنا وزرت عنا؟ فقلت: نعم فقال لي: قد احسنت قد صح لي ان الدعاء في ذلك المشهد مستجاب)[١]، ويقول بروكلمان ان الشيخ الصدوق قد (صحب ركن الدولة بن بويه الذي استعان بتعاليمه في الامامة على تدبير سياسته)[٢].

ترجع اصول المعرفة للشيخ الصدوق الى تربية ابيه ابي الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، الذي كان له الفضل الاكبر على تنشئته النشأة العلمية حيث كان علي بن الحسين من المع رجالات مدينة قم العلمية. وقد فاق علماء عصره ومصره. حتى ان الامام الحسن العسكري(عليه السلام) قد قيمه برسالة جاء فيها: (اوصيك ياشيخي ومعتمدي وفقيهي ابا الحسن علي بن الحسين القمي، وفقك الله لمرضاته وجعل من صلبك اولاداً صالحين برحمته بتقوى الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فانه لاتقبل الصلاة من مانعي الزكاة واوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم ومواساة الاخوان...الخ[٣].

وقال عنه ابن النديم "من فقهاء الشيعة وثقاتهم"[٤]، وقد ألف الصدوق الكبير كتباً عدة في الفقه والشرائع والتفسير وغيرها[٥]. وكان شيخنا

(١) الصدوق: عيون اخبار الرضا، ج٢ ص ٢٨٤.
(٢) بروكلمان: تاريخ الادب العربي، ج٣ ص ٣٤٣.
(٣) الخوانساري: روضات الجنات، ص ٣٧٧.
(٤) ابن النديم: الفهرست، ص٢٩١.
(٥) ابن شهر اشوب: معالم العلماء، ص ٥٨.

الصدوق في مواضع عدة من كتبه يشير الى تلمذته على ابيه، واحيانا بالاشتراك مع بعض شيوخه الآخرين كقوله: "حدثنا ابي ومحمد بن موسى المتوكل ومحمد بن علي ماجيلويه واحمد بن علي بن ابراهيم بن هاشم والحسين بن ابراهيم ناتانه واحمد بن زياد بن جعفر الهمداني والحسين بن ابراهيم بن هشام المكتب وعلي بن عبد الله الوراق قالوا..."(١).

لقد كان مجتمع مدينة قم ومحافلها العلمية خير حافز على بلورة الفكر عند الشيخ الصدوق. حيث كان اكثر اهلها من الشيعة(٢). وكان على رأس القميين والد الشيخ الصدوق فهو شيخهم في عصره ومتقدمهم وفقيههم وثقتهم، وكان قد قدم الى العراق في فترة من حياته، واجتمع بابي القسم الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي (ت ٣٢٠هـ)(٣)، وسأله مسائل، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر الاسود، الذي كان يوصل الرقع الى الامام الثاني عشر عليه السلام(٤). وقد كان الامام عليه السلام يدعو الله ان يرزقه ولدا صالحا، وكثيراً ما كان الشيخ الصدوق. يفتخر بانه قد ولد بدعوة من الامام عليه السلام، وعندما وصل الصدوق الى درجة عظيمة من العلم والنبوغ الفكري، كان محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد وهو من شيوخه، يقول له: "ليس بعجب ان تكون لك هذه الرغبة في العلم وانت

---

(١) الصدوق: عيون اخبار الرضا، ج١ ص١١.

(٢) ابن الاثير: اللباب، جـ ٣ ص٤.

(٣) الحسين بن روح (رض) أحد السفراء الاربعة للامام الثاني عشر عليه السلام.

(٤) النجاشي: الرجال، ص١٩٨.

ولدت بدعاء الامام عليه السلام[1]. وكان الشيخ الصدوق اذا اجاب على مسألة في الحلال والحرام، يكثر تعجب الناس من شدة ذكائه على صغر سنه، فيقول ابو جعفر الاسود: لا عجب لانه قد ولد بدعاء الامام[2].

ان المدة الزمنية التي قضاها الشيخ الصدوق في كنف ابيه اكثر من عشرين عاما، تلقى خلالها دروسا في التربية والعلم والاخلاق والآداب ومما "يكشف من مزيد عناية الأب بتربية ابنه رسالته التي كتبها لاجله لخص له فيها كثيرا من الاصول الحديثية، فاختصر الطريق بطرح الاسانيد والجمع بين النظائر، والاتيان بالخبر مع قرينه حتى قيل: انه اول من ابتكر ذلك في رسالته الى ابنه، وكثير ممن تأخر عنه يحمد طريقته، فيها ويعول عليها في مسائل لايجد النص عليها لثقته وامانته وموضعه من الدين والعلم وهذه الرسالة من مصادر كتاب (من لا يحضره الفقيه) نقل عنها المؤلف كثيراً، وصرح بذلك"[3]. واذا تدرجنا في دراسة الشيخ الصدوق العلمية نجد انه قد تلقى العلم في اماكن عديدة من العالم الاسلامي، حيث قضى بعض الوقت بالري بناء على رغبة الناس، وكان الامير البويهي ركن الدولة عاملا مشجعا على البقاء فيها، لما عرف عنه من رعاية للعلم والعلماء، ولقي الشيخ الصدوق بعض شيوخ الري واستمع اليهم من امثال محمد بن احمد

---

(١) الطوسي: الغيبة، ص١٩٥.

(٢) ن. م.

(٣) الخرسان: مقدمة أخبار الرضا للصدوق، ص١٦.

الاسدي، الذي التقى به عام ٣٤٧هـ[1] كما انه استمع الى شيوخ مدينة قم من امثال الشريف ابي يعلى حمزة بن احمد الزيدي العلوي في عام ٣٣٩هـ[2].

ويبدو ان الشيخ الصدوق عاش مدة طويلة من حياته بالري، مما صح اطلاق "نزيل الرأي"[3] عليه، وكانت وفاته فيما تؤكده المصادر عام ٣٨١هـ بالري[4]، حيث دفن بالقرب من قبر السيد عبد العظيم الحسني[5]. اما مدينة قم التي هي مسقط رأسه كانت من اشهر الحواضر العلمية في العالم الاسلامي. وقد تخرج منها العديد من العلماء والمفكرين واستفادوا من مدرستها، وكان الشيخ الصدوق يحضر مجالسها، ويغشى منتدياتها، ويتردد اليها بين الحين والآخر، فيلتقي بالشيخ نجم الدين ابي سعيد محمد بن الحسن بن محمد بن احمد بن علي بن الصلت القمي. ونجد الصدوق قد

---

(١) الصدوق: الامالي، ص٢٠٦.

(٢) الصدوق: عيون اخبار الرضا، جـ١، ص١٧٨-١٧٩.

(٣) النجاشي: الرجال، ص٣٠٢-٣٠٣. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٧. الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٢.

(٤) النجاشي: الرجال، ص٣٠٦. ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٢٤-٣٢٥.العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٧. البهائي: وصول الاخيار، ص٧٠-٧١. ميرزا محمد: منهج المقال، ص٣٠٧.

الدرة البهية، ورقة ٤ب. بروكلمان: تاريخ الادب العربي، جـ٣ ص٣٤٣. الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٢.

ابوزهرة: الامام الصادق، ص٢٦٠.

(٥) القمي: الكنى الالقاب، جـ١ ص٢١٧.

دخل خراسان ثلاث مرات لغرض زيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام وذلك في الاعوام ٣٥٢، ٣٦٧، ٣٦٨هـ كما يتضح ذلك من كتابه "الامالي" حيث انه القى بعض اماليه في خراسان[1]، وقد ختم المجلس الاخير من الامالي. وهو المجلس السابع والتسعون في يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٦٨هـ في مشهد الامام عليه السلام[2]. وكان الشيخ الصدوق كلما دخل مدينة او حاضرة يقف عندها ويستمع الى شيوخها وعلمائها، وتذكر بعض المصادر انه دخل مدينة بغداد عام ٣٥٥هـ، وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن، وله كتب كثيرة[3]. يقول الخطيب البغدادي عند ترجمته للشيخ الصدوق: "نزل بغداد، وحدث بها عن ابيه، وكان من شيوخ الشيعة، ومشهوري الرافضة"[4]، وكان ممن روى عنه بمدينة بغداد: ابو محمد هارون بن موسى التلعكبري، والشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد، وابو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري، وعلي بن احمد بن العباس النجاشي، وابو الحسين جعفر بن الحسن بن حسكة القمي، وابو زكريا محمد بن سليمان الحمراني وغيرهم من مشائخ

---

(١) حسن الحكيم: مقالة في مجلة الرابطة بعنوان (نظرات في كتب الامالي الرئيسية عند الامامية) العدد ٦ السنة الثانية كانون الثاني ١٩٧٦م، ص٢٥-٣٧.

(٢) الصدوق: الامالي، ص٦٠٢.

(٣) النجاشي: الرجال، ص٣٠٢-٣٠٣. العلامة الحلي: الرجال، ص١٤٧. ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٢٤-٣٢٥. ميرزا محمد: منهج المقال، ص٣٠٧.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، مج٣ ص٨٩.

الاصحاب[1] وكان هؤلاء الاعلام من جملة شيوخ الشيخ الطوسي بمدينة بغداد[2].

تعد المدة التي قضاها الشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) في بغداد من اخصب الفترات العلمية، حيث كان القرن الرابع الهجري، وهو العصر الذهبي للدولة الاسلامية في ميادين العلم والحضارة والمعرفة، اذ بلغت فيه العلوم والفنون والاداب ذروتها، وقد اهتم علماء هذا العصر بالتوسع في مجالات اختصاصاتهم وشواغلهم العلمية والفكرية، يدل على ذلك كثرة ما انتجوه في مختلف حقول المعرفة وتنوعها، على الرغم من الصعوبات الفنية والموضعية التي كانت تجابه الدارسين يومئذ، وكان الشيخ الصدوق أحد ابرز علماء زمنه حيث شارك وطور منهجية الدراسات الاسلامية، وخصوصا في تصنيف الحديث، مما جعل العلماء يفردونه بلقب "شيخ المحدثين" او رئيسهم[3]، الذي لم يتمتع نظراؤه به من امثال الكليني والطوسي. ويدل على اهميته العلمية جملة وافرة من تصريحات العلماء بحقه على تعاقب العصور من كونه جليل القدر حفظة بصيراً بالفقه والاخبار والرجال[4]، حافظا للاحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للاخبار[5]،

---

(١) السيد بحر العلوم: الرجال، جـ٣ ص٢٩٦.

(٢) انظر كتاب الشيخ الطوسي لحسن الحكيم، ص١١٥-١٢٠-١٣٢-١٣٦-١٦١.

(٣) القمي: الكنى والالقاب. جـ١ ص٢١٦. سفينة البحار، جـ٢ ص٢٢.

(٤) الطوسي: الرجال، ص٤٩٥.

(٥) الطوسي: الفهرست، ص١٨٤.

وهو امام علماء الحديث والاخبار والسير والآثار[١]، واجل علماء الامامية وافضلهم لنقل الاخبار[٢]، وشيخ الطائفة وفقيهها ووجهها بخراسان[٣]، حيث لانظير له في علماء الاسلام[٤]، وقد وصف الشيخ الصدوق بالامام الاعظم[٥]، حيث لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه[٦]، كما قيل عنه انه مبارز القميين[٧]. واعتبره ابو زهرة من اكبر علماء الاثنى عشرية بخراسان[٨]. وقال عنه بروكلمان انه من "اشهر مؤلفي الامامية في المائة الرابعة للهجرة"[٩]. واعتبر دونلدسن كتاب الشيخ الصدوق (من لا يحضره الفقيه) "اساسا للتشريع الاسلامي"[١٠].

ولعل اهم ما يميز الشيخ الصدوق، عقليته الموسوعية، وتنوع ثقافته واهتماماته بالفكر. واغناء ثقافة عصره باسهاماته الوافرة، ومؤلفاته الجمة في مختلف العلوم. فقد كتب في الحديث والفقه والتاريخ والعقائد ثلاثمائة

---

(١) الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٢.

(٢) البحراني الشوبكي: الدرة البهية، ورقة ٤ ب.

(٣) ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٢٤-٣٢٥.

(٤) الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٦٢.

(٥) البحراني الشوبكي: الدرة البهية، ورقة ٤ ب.

(٦) الطوسي: الفهرست، ص١٨٤. ابن داود: الرجال، ق١ ص٣٢٤-٣٢٥. الحر العاملي: امل الامل جـ٢ ص٢٨٤.

(٧) ابن شهر اشوب: معالم العلماء، ص٩٩.

(٨) ابو زهرة: الامام الصادق، ص٢٦٠.

(٩) بروكلمان: تاريخ الادب العربي، جـ٣ ص٣٤٣.

(١٠) دونلدسن: عقيدة الشيعة، ص٢٨٥.

مصنف[1]، كان من ابرزها كتاب "من لا يحضره الفقيه". الذي يعد موسوعة حديثية جامعة بعد كتاب "الكافي" للشيخ الكليني، وقد حاول فيه الشيخ الصدوق ان يجمع الاحاديث المروية عن الائمة عليهم السلام، ويجعله في متناول كل طالب علم، وان لم يحضر مجالس الفقيه، فيرجع اليه في المسائل والاحكام، وكان تأليفه على غرار تأليف كتاب "من لا يحضره الطبيب" لمحمد بن زكريا الرازي. وقد اشار الشيخ الصدوق الى ذلك بقوله: "فذاكرني - ويقصد بذلك الشريف ابا عبد الله المعروف بنعمة وهو محمد بن الحسن بن اسحاق بن الحسين بن الحسين بن اسحاق بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام- بكتاب صنفه محمد بن زكريا المتطبب الرازي وترجمه بكتاب (من لا يحضره الطبيب وذكر انه شاف في معناه وسألني ان اصنف له كتابا في الفقه والحلال والحرام والشبهات والاحكام موفياً على جميع ما صنفت في معناه واترجمه بكتاب (من لا يحضره الفقيه) ليكون اليه مرجعه، وعليه معتمده وبه اخذه، ويشترك في امره من ينظر فيه، وينسخه، ويعمل بمودعه..."[2]. ومن الجدير بالذكر ان الشريف نعمة قد نسخ من مؤلفات الشيخ الصدوق مائتين وخمسة واربعين كتابا[3]. ومما يبدو ان صلة الصدوق بالسيد الشريف كانت

---

(١) الطوسي: الفهرست، ص١٨٤. ابن شهر اشوب: معالم العلماء، ص٩٩. العلامة الحلي: الرجال ص١٤٧. الحر العاملي: امل الامل، جـ٢ ص٢٨٤. البحراني الشويكي: الدرة البهية، ورقة ٤ ب.

(٢) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، جـ١ ص٤-٥.

(٣) ن. م.

وثيقة وعميقة بحيث قال عنه "فدام بمجالسته سروري، وانشرح بمذاكرته صدري، وعظم بمودته تشرفي لاخلاق قد جمعها الى شرفه من ستر وصلاح، وسكينة ووقار، وديانة وعفاف، وتقوى واخبات"[١]. وعندما طلب الشريف من الصدوق تأليف كتاب (من لايحضره الفقيه)، قال الصدوق "فاجبته ادام الله توفيقه الى ذلك لاني وجدته اهلا له"[٢].

لقد اوضح الشيخ الصدوق منهجه في كتاب (من لا يحضره الفقيه) بالقول: "وصنفت له – يقصد الشريف نعمة – هذا الكتاب بحذف الاسانيد لئلا تكثر طرقه، وان كثرت فوائده، ولم اقصد فيه قصد المصنفين في ايراد جميع ما رووه بل قصدت الى ايراد ما افتي به واحكم بصحته، واعتقد فيه انه حجة فيما بيني وبين ربي تقدس ذكره وتعالت قدرته، وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعول واليها المرجع، مثل كتاب حريز بن عبد الله السجستاني وكتاب عبيد الله بن علي الحلبي وكتب علي بن مهزيار الاهوازي وكتب الحسين بن سعيد ونوادر احمد بن محمد بن عيسى وكتاب نوادر الحكمة تصنيف محمد بن احمد بن يحيى بن عمران الاشعري، وكتاب الرحمة لسعد بن عبد الله وجامع شيخنا محمد بن الحسن بن الوليد رضي الله عنه ونوادر محمد بن ابي عمير وكتب المحاسن لاحمد بن ابي عبد الله البرقي ورسالة ابي رضي الله عنه الي وغيرها من الاصول والمصنفات التي طرقي اليه معروفة في فهرس الكتب التي رويتها عن مشائخي واسلافي

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه، جـ١ ص٤-٥.

(٢) ن.م.

رضي الله عنهم"[1]، ويبدو من كلام الشيخ الصدوق انه لم يعتمد جميع الاحاديث التي رواها المحدثون قبله[2]، وخاصة روايات الشيخ الكليني في كتاب "الكافي"، ويعقب الامام الخوئي على رأي الصدوق بقوله: "فان هذا الكلام ظاهر في ان كتاب الكافي في اعتقاد الصدوق كان مشتملا على الصحيح وغير الصحيح كسائر المصنفات"[3]. واذا نظرنا الى منهاج كل من الكليني والصدوق والطوسي نجد ان الشيخ ابا جعفر الكليني "يذكر اسناد الحديث بتمامه، او يحيل في اوله على اسناد سابق قريب، والصدوق يترك اكثر السند في محل رواية الخبر، ويذكر الطرق المتروكة في آخر الكتاب مفصلة، والشيخ ابوجعفر الطوسي، يذكر تمام الاسناد تارة، ويترك اكثره تارة اخرى، وربما ترك الاقل وابقى الاكثر، واهل الدراية يسمون ترك اوائل الاسانيد تعليقا"[4].

ان كتاب "من لا يحضره الفقيه"، احد الكتب الاربعة المعتمدة في الحديث عند الامامية[5]. وهي بمثابة الصحاح الست عند اهل السنة[6]، وكانت هذه الكتب الاربعة مادة فكرية خصبة لرجال العلم والفكر، ذلك

---

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه ١/٤-٥.

(٢) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي، ص٣٢٧.

(٣) الامام الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٠.

(٤) العاملي: منتقى الجمال، جـ١ ص٢١.

(٥) الكتب او الاصول الاربعة في الحديث هي: كتاب الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق. وكتاب التهذيب وكتاب الاستبصار للطوسي.

(٦) الصدر: تأسيس الشيعة، ص٢٨٨.

انهم اخذوا يتبارون في عرض وجهات نظرهم بالنسبة الى توثيق الروايات لاسيما تلك التي تتباين في مضامينها تباينا قد يؤدي الى التناقض، ولهذا اضطلع عدد من الفقهاء المعول على نزاهتهم وتدينهم، خصوصا في عهد العلمين، ابن طاووس جمال الدين ابي الفضائل احمد (ت٦٧٣هـ)، والعلامة الحلي جمال الدين ابي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت٧٢٦هـ)، بوضع المبادئ التي بموجبها يمكن ترجيح حديث على آخر وتصنيف الاحاديث الى اربعة: الصحيح، والحسن، والموثق، والضعيف، وتمكين التعرف على كل منها في مظانها ثم انهم قسموا طريق الحديث الى متواتر واحاد[١]. وقد عنوا بالمتواتر هو ما ينقل عن جماعة تبلغ في الكثرة والتنوع حدا يمتنع معها اجتماعهم او تواطؤهم على الكذب، وهذا النوع من الحديث حجة يلزم الاخذ به، اما حديث الاحاد فهو مالم يتوافر له ذلك، سواء أكان الراوي واحدا ام اكثر[٢]. وقد آن الاوان لان تخضع احاديث الكتب الاربعة الى النقد الموضوعي وكشف حالة بعضها خصوصا تلك التي تخلو من القرائن الموجبة لصحتها، يقول الشيخ جعفر الجناجي "فوجب على العلماء في علمهم تبينها ليعرف غثها من سمينها فتوجه لتصحيحها خلفهم بعد سلفهم على وجه تركن النفس الى العمل بها"[٣]، ولذا كان الشيخ الطوسي يقف من روايات الشيخين الكليني والصدوق

(١) حسن الحكيم: الشيخ الطوسي. ص٣٢٨.

(٢) مغنية: مع الشيعة الامامية، ص٧٢.

(٣) الشيخ جعفر كاشف الغطاء: كشف الغطاء، ص٤٠.

موقف المتفحص الناقد ولم يعتبرها قطعية الصدور، فيورد بعض الروايات في كتاب "الاستبصار" عنهما[1]، ويعقب عليها بقوله: "اول ما في هذه الاخبار ان الخبرين منهما وهما الاخيران مرسلان والمراسيل لا يعترض بها على الاخبار المسندة لما بيناه في غير موضع، واما الخبر الاول فراويه ابو سعيد الآدمي وهو ضعيف جدا عند نقاد الاخبار، وقد استثناه ابوجعفر بن بابوية (ويقصد الشيخ الصدوق) في نوادر الحكمة مع ان الخبر الاخير عام ويجوز لنا ان نخصه بتلك الاخبار"[2]، ويقول السيد الخوئي "لو كان الشيخ (يقصد الطوسي) يعتقد ان جميع روايات الكافي والفقيه قطعية الصدور او انها صحيحة، وان لم تكن قطعية الصدور لم يكن يعترض على هذه الروايات بضعف السند او الارسال، ولاسيما ان المرسل ابن بكير وهو من اصحاب الاجماع، وابن فضال المعروف بالوثاقة"[3].

لقد خصص الشيخ الصدوق بعض مصنفاته لدراسة التاريخ الاسلامي عن طريق حياة الائمة عليهم السلام، فقد كتب "عيون اخبار الرضا"، فتناول فيه موضوعات متعددة، وقد رسم الصورة التي تم فيها القاء القبض على الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأن الرشيد العباسي امر "الفضل بن الربيع وهو قائم يصلي في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر بالقبض عليه

---

(١) الطوسي: الاستبصار، جـ٣ ق١ ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) ن. م.

(٣) الامام الخوئي: معجم رجال الحديث، جـ١ ص٤٤.

وحبسه"[١]، وناقش ولاية العهد التي اسندها المأمون الى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بالقول: "فاخذ البيعة في ملكه لعلي بن موسى الرضا عليه السلام بعهد المسلمين من غير رضاه وذلك بعد ان هدده بالقتل والح عليه مرة بعد اخرى في كلها يأبى عليه حتى اشرف من تأبيه على الهلاك فقال عليه السلام: اللهم انك قد نهيتني عن الالقاء بيدي الى التهلكة، وقد اكرهت واضطررت كما اشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل مني ان لم أقبل ولاية عهده. وقد أكرهت واضطررت كما اضطر يوسف ودانيال عليهما السلام اذ قبل كل واحد منهما الولاية من طاغية زمانه، الله لاعهد الا عهدك ولا ولاية الا من قبلك فوفقني لاقامة دينك واحياء سنة نبيك محمد صلى الله عليه وآله فانك انت المولى وانت النصير ونعم المولى انت ونعم النصير"[٢].وذكر الصدوق بأن الامام الرضا عليه السلام اشترط عند قبوله العهد "ان لايولي احدا ولا يعزل احدا ولا يغير رسما ولا سنة وان يكون في الامر مشيرا من بعيد"[٣]، وينتقل الصدوق في كتابه "عيون اخبار الرضا" الى موضوع الامامة، فيعتبر ان الامام موجود اذ "لاتخلو الارض من حجة في كل عصر وزمان وفي كل وقت واوان"[٤]، وفي سبيل اثبات امامة امير المؤمنين علي عليه السلام، يعتمد على القرآن الكريم والحديث النبوي

(١) الصدوق: عيون اخبار الرضا جـ١ ص٦٠.

(٢) الصدوق: عيون اخبار الرضا، جـ١ ص١٦.

(٣) ن. م.

(٤) ن. م ص ٥٥.

الشريف، فذكر بأن "الدليل على ذلك والحجة على المؤمنين والقائم بامر المسلمين والناطق بالقرآن والعالم بالاحكام، اخو نبي الله وخليفته على امته، ووصيه عليهم ووليه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، المفروض الطاعة بقول الله عزوجل (يا ايها الذي امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم)[1]، الموصوف بقوله عزوجل (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)[2]، والمدعو بالولاية المثبت له الامامة يوم غدير خم بقول الرسولﷺ عن الله عزوجل: الست اولى بكم من انفسكم، قالوا بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله واعن من اعانه..."[3]. وقد استند الشيخ الصدوق في مفهوم الامامة الى حديث عن زرارة بن اعين قال سمعت ابا جعفرعليه السلام يقول: نحن اثنى عشر اماما منهم الحسن والحسين ثم الائمة من ولد الحسينعليه السلام[4]. وهو في سبيل اثبات امامة الائمة يورد جملة من الاحاديث في محاولة لابطال اراء الفرق الشيعية المتفرعة عن التسلسل الامامي، فذهب الى فساد رأي الواقفة الذين وقفوا على امامة موسى بن جعفر عليه السلام بالقول: "انما اوردت هذه الاخبار في هذا الكتاب ردا على

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) الصدوق: عيون اخبار الرضا، جـ١ ص٤٤-٤٥.

(٤) الصدوق: عيون اخبار الرضا، جـ١ ص٤٥.

الواقفية على موسى بن جعفرعليه السلام فانهم يزعمون انه حي وينكرون امامة الرضاعليه السلام وامامة من بعده من الائمة عليهم السلام، وفي صحة وفاة موسى بن جعفر ابطال مذهبهم"[1].

وقد ناقش الشيخ الصدوق بعض الفرق الكلامية ومعتقداتها معتمدا في ذلك على ما صح من المأثور عن النبيصلى الله عليه وآله والائمةعليهم السلام وما تم له من قناعة عقلية، واقتضاء البرهان والمنطق، فقد رد على المفوضة والمجبرة بالحديث المروي عن يزيد بن عمير عن معاوية قال: "دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو، فقلت له ياابن رسول الله روي لنا عن الصادق جعفر ابن محمدعليه السلام قال: انه لاجبر ولا تفويض بل امر بين امرين، فما معناه؟ قال: من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم ان الله عزوجل فوّض امر الخلق والرزق الى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك، فقلت له "ياابن رسول الله فما امر بين امرين؟ فقال: وجود السبيل الى اتيان ما امروا به، وترك ما نهوا عنه[2]. وهناك ناحية مهمة خصصها الشيخ الصدوق في كتابه "عيون اخبار الرضا" هي ردود الائمة عليهم السلام على الغلاة لازالة التهم والشكوك التي يضعها الطاعنون على الامامية بأنهم غلاة، وانهم ينظرون الى الائمة نظرة مغالية منها قول الامام عليعليه السلام: "يهلك فيّ اثنان ولا ذنب لي، محب مفرط ومبغض مفرط وانا ابرأ الى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا

---

(١) الصدوق: عيون اخبار الرضا: جـ١ ص٨٦.

(٢) ن. م، جـ١ ص١٠١-١٠٢.

ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى"[1]، وقول الامام الرضا عليه السلام "من قال بالتناسخ فهو كافر ثم قال عليه السلام لعن الله الغلاة الا كانوا يهودا الا كانوا مجوسا الا كانوا نصارى الا كانوا قدرية الا كانوا مرجئة الا كانوا حرورية. ثم قال عليه السلام لاتقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرؤا منهم برىء الله منهم[2]، وقول الامام الرضا ايضا: "الغلاة كفار والمفوضة مشركون، من جالسهم او خالطهم او آكلهم او شاربهم او واصلهم او زوجهم او تزوج منهم او آمنهم او ائتمنهم على امانة او صدق حديثهم أو اعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزوجل وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا اهل البيت،[3] واخيرا فان المقام سوف يطول بنا اذا تعرضنا الى الشيخ الصدوق من خلال جميع مؤلفاته، وتبيان آرائه، لانه كان مفكرا وفقيها ومحدثا، تميز عن معاصريه من قادة الفكر، خصوصا في مجالات اختصاصه، بريادته في الكثير من الموضوعات التي عالجها. بالاضافة الى موسوعيته التي اتاحت له الاسهام، باصالة وعمق، في اكثر ابواب العلوم والمعارف الاسلامية المتداولة في عصره.

---

(١) الصدوق: عيون اخبار الرضا، جـ٢ ص٢٠١.

(٢) ن. م، جـ٢ ص٢٠٣.

(٣) ن. م.

أوهام الباحثين في سيرة الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)

تقديم:

إن الغرض من هذا البحث التماس الأوهام التي وقع فيها الباحثون والدارسون لسيرة الشيف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي (٣٥٩ هـ -٤٠٦ هـ)، وقدحسبها هؤلاء حقائق لا لبس فيها، فجاء هذا البحث ليسلط الأضواء على شخصية الشريف الرضي من خلال تلك الأوهام، وقد كان التاريخ الألفي لوفاته (رضي الله عنه) مناسبة جديرة بالاهتمام لعرض هذه الأوهام التي حددتها بالمواضيع الآتية:

١-الشريف الرضي والاعتزال◆

نُسِبَ الشريفُ الرضي إلى الاعتزال كما نسب غيره من رجال الإمامية إلى هذه الفئة الكلامية، وذلك لوجود الصلة الوثيقة بين آراء المعتزلة الكلامية وآراء الإمامية ولا سيما في مسائل (العدل) و(حرية الإرادة) و(الوعد والوعيد) و(خلق القرآن) و(الحسن والقُبح العقليين)، وقد وقع في هذا الوهم جماعة من الكتاب، يقول الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو: ((والحق أن الرضي تلقى على كثيرٍ من المعتزلة وتأثر خطاهم، أمّا كتبه فهي مشحونة بما يدل على اعتزاله))[1]، ولكن هذا الرأي تفنده آراء الشريف

◆- ألقي هذا البحث في المهرجان الألفي للشريف الرضي في اتحاد الأدباء والكتاب في النجف، يوم الإثنين ١٤/١٠/١٩٨٥م.

(١) الحلو: ديوان الشريف الرضي: ١/٥٢.

الرضي في الإمامة والعصمة وغيرهما من أصول الإمامية، وليس التلمذة على شيوخ المعتزلة، أو على غيرهم من أصحاب المذاهب الكلامية أو الفقهية دلالة على تأثر الرضي إياهم، فإن علماء عصره يأخذ أحدهم من الآخر، على الرغم من الاختلاف الواضح في العقيدة والآراء، وقد أكّد مترجمو الشريف الرضي إماميّته، ووصف بلفظ (الشيعي) و(الرافضي) في بعض المصادر[1]، يضاف لهذا إن كتب الإمامية قد وضعته ضمن المبرزين من رجالها، وإن الذي يقودنا إلى رفض اعتزالية الشريف الرضي كتابه (خصائص الأئمة) إذ يشير فيه إلى الإمام الغائب(عليه السلام) بقوله[2]:

بني أميّة ما الأسياف نائمة عن ساهرٍ في أقاصي الأرضِ موتورُ

وقد ورد في شعر الشريف الرضي لفظ (الوصي) و(يوم الغدير)، وهما من الألفاظ الخاصّة بالإمامية، وضمن دائرة المعتقد الذي يحمله الإماميون في وصية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بالخلافة للامام علي بن أبي طالب(عليه السلام)، فيقول الشريف الرضي[3]:

غدر السرور بنا وكان وفَاؤه يَوم الغدير

يوم أطاف به (الوصي) وقَد تَلقّبُ بالأمير

(١) الذهبي: المشتبه في الرجال:٦٦٢/٢؛ ميزان الاعتدال: ٥٢٣/٣؛ ابن حجر: لسان الميزان: ١٤١/٥؛ مرآة الجنان: ١٨/٣؛ البغدادي: هدية العارفين:٦٠/٢.

(٢)الحلو: ديوان الشريف الرضي:٤٣/٣.

(٣) الشريف الرضي: الديوان:٣٣٠/١.

فتسل فيه وردَ عَار   ية الغَرام إلى المعير

وابتزّ عمّارُ الهُجُوم   بطول إعمَارِ المسير

وقد أورد الشريف الرضي حديث الغدير مستنداً إلى بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والوقائع التاريخية، بما يتفق مع رأي الإمامية وذلك في كتابه (المجازات النبويّة)[1] فيقول[2]:

جَدي النبيُّ وأُمي ابنَتُه وأبي   (وصيه) وجدُودي خيرَةُ الأُمَمِ

وإذا كان للشريف الرضي آراء تتفق مع النزعة الاعتزالية، فإن هذا لا يؤيد انتمائه لجماعة المعتزلة، ويبدو إن الدكتور الحلو كان جازماً على اعتزالية الشريف الرضي، ولعله لم يطلع على كتبه الناطقة بإماميّته في الأصول والفروع فيقول: ((وقد استبان بهذا كله أن الرضي معتزلي كون ثقافته على أساتذتهم، واتبع مذهبهم، ونقل عنهم، وانتصر لهم انتصاراً طيباً))[3]، وقد ردّ الشيخ عبد الحسين الحّلي النجفي على هذا الوهم بقوله: ((وإن شئت فقل: هو إمامي واقفٌ في حيطة اعتزال محدود لا يتجاوز آراء خاصة، وبعد هذا فمن يتصحف في مناحي كتابه (حقائق التأويل) يعرف

(١) الشريف الرضي: المجازات النبوية: ١٦٤.

(٢) الحلي: مقدمة كتاب (حقائق التأويل): ٧٧.

(٣) الحلي: مقدمة كتاب (حقائق التأويل): ٧١.

أنه هو الرجل إذا قاده البرهان إلى شيء لا يبالي أن يجاهر به، ولا يحفل أن يتفق أهل الملل كافة على خلافه))[1].

٢- الشريف الرضي والزيديّة

أشار بعض الباحثين إلى وجود نزعة زيديّة عند الشريف الرضي[2]، وقد عثر السيد الخوانساري صاحب (روضات الجنات) على هذه النسبة في بعض الكتب[3]، يقول الشيخ عبد الحسين الحلّي: ((إن صفة الزيدية ألصقت به من قبل أخواله بني الناصر الأطرش (صاحب الديلم)، ويرى إن اصطلاح الكُتّاب جرى أخيراً على تسمية الثائر في وجه الخلافة زيدياً، وإن كان بريئاً من عقائد الزيدية، يريدون أنه زيدي النزعة لا العقيدة))[4]، ومرجع هذا الوهم في زيدية الشريف الرضي إلى ثوريّته، وما كان ينظم شعره من الحماسة والمطالبة بالثأر والدعوة إلى الخروج على الخلفاء كما يفعله أئمة الزيدية وشعراؤهم ورجالهم في أساليب خطبهم ورسائلهم، ومما يؤيد وهم من اعتقد زيدية الشريف الرضي نفيُ صاحب كتاب (نسمة السحر) – وهو زيدي العقيدة والمذهب – انتساب الشريف الرضي إلى

(١) الحلي: مقدمة كتاب (حقائق التأويل): ٧٧.

(٢) محمد جميل شلش: الحماسة في شعر الشريف الرضي: ٩٢.

(٣) الخوانساري: روضات الجنات: ١٩٦/٦.

(٤) الحلي: مقدمة كتاب (حقائق التأويل) ٧٦.

الزيدية، ويفند آراء القائلين بذلك من أهل اليمن، ومما يدلل على إمامية الشريف الرضي قوله[1]:

جدي نبيٌ وإماميٌ أبي ورايتي التوحيدُ والعدلُ

ولو أننا سلمنا بأن الشريف الرضي قد تأثر بأخواله الزيديين، فإن هذا لا يعني سيره وفق الخط العقائدي لمذهب الزيدية، فهو إن كان يتفق مع أخواله في النزعة الثورية، إنه يفترق معهم في العقيدة المذهبية.

٣- الشريف الرضي وكتاب نهج البلاغة

جمع الشريف الرضي خطب الإمام علي(عليه السلام) ورسائله وأقواله التي ضمنها كتاب (نهج البلاغة) وقد أشار إلى ذلك في كتابه (المجازات النبوية) بقوله: ((ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم نهج البلاغة))[2] وفي كتابه (حقائق التأويل) يقول: ((فلينعم النظر في كتابنا الذي ألّفنا وسميناه بنهج البلاغة، وجعلناه يشتمل على مختار جميع الواقع إلينا من كلام أمير المؤمنين(عليه السلام) في جميع الأنحاء والأعراض والأجناس والأنواع، من خطب وكتب ومواعظ وحكم))[3]وهذه النصوص التي أوردها الشريف الرضي تؤكد أن كتاب (نهج البلاغة) هو خطب الإمام علي(عليه السلام) ورسائله، ومع كل هذا التأكيد من الشريف الرضي،

---

(١) الشريف الرضي: الديوان ٧٢٠/٢.

(٢) الشريف الرضي: المجازات النبوية: ١٨٩.

(٣) الشريف الرضي: حقائق التأويل: ١٦٧.

وقع بعض الكتاب في وهم، فنسب (نهج البلاغة) تارةً للشريف الرضي وتارةً للشريف المرتضى، يقول ابن حجر: إن الشريف المرتضى، وهو المتهم بوضع كتاب نهج البلاغة[1]. وقد سار على هذا الوهم جماعة من الباحثين المحدثين[2]. يقول المستشرق بروكلمان: ((ينسب إلى الشريف الرضي أيضا كتاب نهج البلاغة، والصحيح إنه من جمع أخيه الشريف المرتضى))[3]، وقد ردّ السيد الخوانساري هذا الوهم الذي وقع فيه نفرٌ من الباحثين بقوله: أنكر بعضهم كون (نهج البلاغة) من جملة مؤلفات الشريف الرضي ونسبه إلى أخيه المرتضى[4]، ومما يفند هذا الرأي إن بنت الشريف المرتضى قد روت عن عمها الشريف الرضي كتاب نهج البلاغة ورواه عنها الشيخ عبد الرحيم البغدادي المعروف بابن الأُخوة[5]، وإن بعض تلاميذ الشريف الرضي كأبي نصر عبد الكريم بن محمد الديباجي الهاروني المعرفو بسبط الحافي، وأبي الأعز محمد بن همام البغدادي قرأ كتاب (نهج البلاغة) على الشريف الرضي نفسه[6]، وكان بعض الباحثين قد أكد أن كتاب (نهج البلاغة) هو من إنشاء الشريف الرضي، وإن بعضه للإمام علي(عليه

---

(١) ابن حجر: لسان الميزان: ٢٢٣/٤.

(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ١٤/٢؛ البستاني: دائرة المعارف: ٤٥٩/١٠؛ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٨٨/٢.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ٦٤/٢.

(٤) الخوانساري: روضات الجنات: ٢٠١/١٦.

(٥) الصفار: مقدمة ديوان الشريف المرتضى: ١١٢.

(٦) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة\ القرن الخامس: ١٠٧.

السلام)، وذهب آخرون إلى إنه للشريف المرتضى[1]، وإزاء هذه الالتباسات والأوهام أعطى ابن أبي الحديد رأيه في هذا الموضوع بقوله: ((وهؤلاء أعمت العصبية أعينهم فضلوا عن النهج الواضح، وركبوا بينات الطريق ضلالاً، وقلة معرفة بأساليب الكلام))[2]،وهذا مما جعله يؤكد أن نهج البلاغة هو لأمير المؤمنين(عليه السلام) ومن جمع الشريف الرضي فيقول: ((وجدته كله ماءً واحداً، وأسلوباً واحداً كالجسم البسيط الذي ليس بعضٌ من أبعاضه مخالفاً لباقي الأبعاض في الماهيّة، وكالقرآن العزيز، أوله كوسطه، وأوسطه كآخره)) وهو على ما يبدو قد تلمس أسلوب الشريف الرضي ووازنه مع أسلوب خطب الإمام(عليه السلام) واتضحت له الفوارق بينهما فيقول: ((أنّى للرضي، ولغير الرضي هذا النفس، وهذا الأسلوب وقد وقفنا على رسائل الرضي وعرفنا طريقه وفنه في الكلام المنثور، وما يقع في الكلام من خل ولا خمر))[3].

٤-الشريف الرضي وكتاب ((طيفُ الخيال))

نسب بعض الباحثين كتاب (طيف الخيال) للشريف الرضي[4] في حين إنه للشريف المرتضى، ولم يقف البغدادي في (هدية العارفين) على حقيقة نسبة طيف الخيال فهو مرّة يعدُه للشريف الرضي، ومرة أُخرى للشريف

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٧٥/٢.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٨/١.

(٣) م. ن: ٩/١.

(٤) البغدادي: هدية العارفين: ٦٠/٢: كحالة: معجم المؤلفين: ٢٦٢/٩.

المرتضى[1]، وقد أكد الشيخ الأميني نسبة الكتاب المذكور للشريف المرتضى[2]. ويذكر الأستاذ: "كرانكو F.Krenkow" إنه في مكتبة الاسكوريال مخطوطاً تحت الرقم ٣١٨ عنوانه (طيف الخيال) منسوب إلى الشريف الرضي، ولاشك إن هذا خطأ سواء كان مرجعه إلى "درينبورغ" أو إلى الكاتب الذي كتب الثبت، وما من شكٍ في إن الشريف المرتضى، أخا الشريف الرضي قد كتب كتاباً بالعنوان نفسه، وإن هبة الله ابن الشجري ينقل في مصنفه (الحماسة) شواهد من كتاب (طيف الخيال) للشريف المرتضى ولا جدال في إنه بقلم الشريف المرتضى الذي يقول: ((لنا في ختامه إنه أتمه سنة ٤٢١هـ، أو بعد خمس عشرة سنة من وفاة أخيه الشريف الرضي))[3]، إذ إنه من الثابت أن الشريف الرضي قد توفي عام ٤٠٦هـ.

٥- الشريف الرضي والنسب الفاطمي

أشارت بعض المصادر إلى إن الشريف الرضي وجماعة من علماء بغداد، قد وقعوا على وثيقة قدمتها الخلافة العباسية للتشكيك بالنسب الفاطمي عام ٤٠٢هـ[4]ويبدو إن اسم الشريف الرضي قد أضيف إلى هذه

---

(١) الطهراني: طبقات اعلام الشيعة/القرن الخامس ص١٠٧.

(٢) الأميني: الغدير: ١٩٩/٤.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي: ٦٤/٢.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: ٢٥٥/٧؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٣٧/١-٣٨؛ ابن كثير : البداية والنهاية: ٣٤١/١١؛ ابن العماد: شذرات الذهب: ١٦٢/٣.

الوثيقة بدلالة إيمان الشريف الرضي بصحة النسب العلوي للفاطميين كما تشير أبياته[1]:

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وانف حميّ
وإباءٌ محلق بي عن الضيـ ... ـم كما راغ طائر وحشيّ
أيّ عذر له إلى المجد إن ذلـ ... ـل غلام في غمده المشرفيّ
ألبس الذل في ديار الأعادي ... وبمصر الخليفة العلويّ
من أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصيّ
لفّ عرقي بعرقه سيدا النّا ... س جميعا محمد وعليّ

لقد أكد الشيرف الرضي في هذه الأبيات شرعية الخلافة الفاطمية، وصلة النسب الذي يربطه بالخلفاء الفاطميين، ولذلك أحسّ الخليفة العباسي القادر بالله خطورة هذه القصيدة، وعمق أهدافها، مما جعله يقيل الشريف الرضي من نقابة الطالبيين، ويوليها محمد بن عمر النهرساسي، وقد قال الشريف الرضي في ذلك[2]:

فلئن صرفت فلست عن شرف العلى ... ومقاعد العظماء بالمصروف
ولئن بقيت لكم فإني واحد ... أبداً أقوّم منكم بألوف

---

(١) الشريف الرضي: الديوان: ٢/٩٧٢.
(٢) م. ن: ٢/٥٢١.

وقد عقد القادر بالله مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي – والد الشريف الرضي– وولده الشريف المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الشريف الرضي وأوضح موقفه الوديّ من الخلفاء الفاطميين، وقال للشريف الطاهر الموسوي: قل لولدك محمد: أيُ هوانٍ قد أقام عليه عندنا؟ وأيّ ضيمٍ لقي من جهتنا؟ وأي ذلك أصابه في مملكتنا؟ وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو حضر إليه؟[١] ويذكر ابن أبي الحديد: إن المحضر أو وثيقة التكشكيك بالنسب الفاطمي قد حمل إلى الشريف الرضي ليكتب خطه فيه فامتنع، ثم قال: لا أكتبه وأخاف دعاة صاحب مصر، وأنكر الشعر المذكور[٢]، وقد أرادت الخلافة العباسية من خلال توقيع الشريف الرضي على الوثيقة إحراز مكتسبات سياسية، وذلك لخطورة الموقع العلمي والاجتماعي للشريف الرضي، فهو على ما يبدو كان طموحاً للوصول إلى منصب الخلافة، وقد جعل نفسه أهلاً لها، وهو مع اختلافه العقائدي مع الخليفة الفاطمي ذي النزعة الإسماعيلية، قد جعل نفسه والفاطمي ينحدران من شجرةٍ واحدةٍ، وهذا الانحدار مانع من توقيع وثيقة التشكيك بالنسب الفاطمي، ويبدو ان تطلعات الشريف الرضي للخلافة في العراق كما تشير أبياته التي خاطب بها الخليفة العباسي القادر بالله[٣]:

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ١/٣٧-٣٨.

(٢) م. ن: ١/٣٨.

(٣) م. ن: ١/٣٤؛ الشريف: الرضي الديوان: ٢/٥٤٤.

ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق

إلا الخلافة ميزتك فإنـــني أنا عاطل منها وأنت مطوق

وقد أغاضت هذه الأبيات القادر بالله فردّ على الشريف الرضي بالقول: ((على رغم أنف الشريف الرضي))[1]، وهذه العلاقة غير الودّية بين الشريف الرضي والخلافة العباسية تؤكد عدم توقيع الشريف الرضي على وثيقة التشكيك بالنسب الفاطمي.

٦- الشريف الرضي بين شيخ وتلميذ

ذكرت بعض المصادر إن أبا يحيى عبد الرحيم بن محمد إسماعيل بن نباتة الفارقي الخطيب (ت ٣٧٤ هـ) قد قرأ عليه الشريفان الرضي والمرتضى[2]، وإن ابن نباتة هذا خطيب مدينة حلب وقد اجتمع به أبو الطيب المتنبي، ولكن ليست هناك أية إشارة الى مجيء ابن نباتة إلى بغداد، أو رحلة الشريفين إلى حلب حتى يأخذا عنه[3]، وهذا وهم وقع فيه بعض الباحثين. كما وقع بعضهم الآخر في وهم يشير إلى تلمذة الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) على الشريف الرضي والرواية عنه[4]، ومما يدحض هذا الوهم إن الشيخ الطوسي قد قدم مدينة بغداد عام

---

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٧٦/٢٠؛ فريد وجدي: دائرة المعارف: ٢٠٢/٤.

(٢) الأميني: الغدير: ١٨٤/٤؛ الحسيني: الدرجات الرفيعة: ٤٠٩.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١٥٦/٣.

(٤) الخوانساري: روضات الجنات: ١٩١/٦.

٤٠٨هـ[١]، أي بعد وفاة الشريف الرضي بعامين، وقد تتلمذ على الشريف المرتضى المتوفى عام ٤٣٦هـ، وقد أشار السيد محمد الحسيني المشكاة إلى كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي، وقال إنه لتلميذ الشريف الرضي[٢]، وربما جاء هذا من باب السهو أو التصحيف بين الرضي والمرتضى، وكان الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو قد نقل هذا الخطأ عن الشيخ الأميني في كتاب (الغدير)[٣].

٧- الشريف الرضي ومراحل تعليمه

قرأ الشريف الرضي على أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان النحوي السيرافي (ت ٣٦٨هـ) ولم يبلغ من العمر عشر سنين، وقد تعجب السيرافي من ذكائه وحدّة ذهنه[٤]، وليس بالغريب أن تصل نوادر البشر إلى هذا الموقع من الذكاء، ولقد دفعت السيدة فاطمة بنت الناصر (والدة الشريفين الرضي والمرتضى) ولديها إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)، وقالت له: أيها الشيخ هذان ولداي، قد أحضرتهما لتعلمهما الفقه، فاستجاب الشيخ المفيد، وتولى رعايتهما، وأنعم الله عليهما، وفتح لهما من أبواب العلوم والفضائل ما اشتهر عنهما في آفاق

---

(١) الطوسي: الغيبة: ٢١٧.

(٢) المشكاة: مقدمة كتاب (تلخيص البيان):٤.

(٣) الحلو: ديوان الشريف الرضي: ٩٢/١؛ الأميني: الغدير: ١٨٥/٤.

(٤) القفطي: إنباه الرواة: ١١٤/٣؛ الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٠٥/٢؛ البحراني: الكشكول: ٣١٤/١.

الـدنيا[1]، ولم تـشر المـصادر إلى عمريهمـا، ولكـن دون شـك كانـا دون العاشرة، وهذا العمر إن دلّ على شيء، إنما يدل على مقدرتهما على تلقي العلوم على أُستاذ كبير كالشيخ المفيد، وإنه من المعروف إن الصبيان دون العاشرة يذهبون إلى الكتاتيب للتعلم، ومن ثم يحضرون دروس الكبار من العلماء، ولكن هذه القاعدة قد خرج منها الشريف الرضي، فتعلم وهو دون العاشرة على علمين كبيرين هما المفيد والسيرافي، وكان قد أرّخ بعض قصائده وهو في الخامسة عشرة من عمره[2]. ولكن الملفت للنظر أن بعض النصوص تقول: إن الشريف الرضي تعلم القرآن الكريم على يد أبي اسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري المقرئ (ت ٣٩٣هـ) بعد أن جاوز الثلاثين[3]، ولاشك إن هذا القول يتناقض مع عقلية الشريف الرضي المبكرة، فإن الذي يتعلم الفقه والعربية في العاشرة من العمر، لا بد له من أن يتعلم القرآن والحديث وغيرهما في هذه المرحلة.

وتذهب المصادر إلى القول: إن الشريف الرضي بعد أن أكمل تعلمه للقرآن الكريم قدم له أُستاذه أبو اسحاق الطبري داراً، وقد رفضها الشريف الرضي فقال له أُستاذه ((حقي عليك أعظم))[4]، وهو يقصد بذلك حق أبيه لأنه علمه أو حفظه كتاب الله المجيد، وعند ذلك قبل الشريف الرضي الدار

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤١/١.

(٢) البستاني دائرة المعارف: ٢٨٥/١٣.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم: ٢٧٦/٧؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٣٧/٧.

(٤) م. ن: ٢٢٣/٧.

من شيخه الطبري، وإن هذه الرواية تروى في المصادر بعدّة معان ويبرز فيها عنصر الإقحام[١]، ومن الملاحظ إن الشريف الرضي قد عرف بترفعه عن قبول الصلات من الناس.

٨- الشريف الرضي وكتاباه (مجاز القرآن، وحقائق التأويل)

كتب الشريف الرضي (مجاز القرآن)[٢]، وذكرته بعض المصادر بلفظ (مجازات القرآن)[٣] أو (تلخيص البيان في مجازات القرآن)[٤]، أو (تلخيص البيان من مجازات القرآن)[٥]، وقال اابن حجة الحموي: إن الشريف الرضي عمل كتاباً سماه (مجاز القرآن) ومات قبل استيفائه، وقد ردّ على هذا الوهم الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو بقوله: ((ولعل الأمر اختلط عليه، فإن مجاز القرآن المعروف بتلخيص البيان تامٌ كاملٌ، أما الذي يمكن أن يقال إن الرضي مات قبل استيفائه فهو حقائق التأويل))[٦]، وكان بعض الباحثين قد وقع في وهم في هذا الكتاب فجعله كتابين هما (حقائق التنزيل) و (حقائق التأويل)[٧]، وفي الحقيقة هو كتاب واحد، وقد ذكره الشريف

---

(١) الأميني: الغدير: ١٨٥/٤؛ الحسيني: الدرجات الرفيعة: ٤٦٨.

(٢) النجاشي: الرجال: ٣١٠-٣١١.

(٣) ابن خلكان: وفيات ال،يان: ٤٤/٤؛ الخوانساري: روضات الجنات: ١٨٠/٥.

(٤) م. ن: ١٩٤/٦.

(٥) ابن شهر أشوب: معالم العلماء: ٥١.

(٦) الحلو: ديوان الشريف الرضي ٩٤/١.

(٧) النجاشي: الرجال: ٣١٠؛ الحر العاملي: أمل الآمل: ٢٦١/٢؛ الحسيني: الدرجات الرفيعة: ٤٦٧.

الرضي بلفظ (حقائق التأويل في متشابه التنزيل)، وقد عبّر عنه اختصاراً بلفظ (حقائق التأويل) أو (المتشابه في القرآن)[1]، ويقول الدكتور الحلو: (إن حقائق التنزيل، هو اختصار لكتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل، أما تفسير القرآن وكتاب المتشابه، فهو كتاب واحد هو (حقائق التأويل).))[2].

٩- الشريف الرضي بين الصابي والمعري

رثى الشريف الرضي أبا اسحاق إبراهيم بن هلال الصابي لمكانته في نفسه، ولموقعه العلمي في مجتمع بغداد بقصيدة مطلها[3]:

أعَلمت من حملوا على الأعواد	أرايت كيف خبا ضياءُ النادي
جبل هوى لو خرّ في البحــــــر	اغتدى من وقعه متتابع الأزباد

وقد وقع السيد الخونساري في وهم عند إيراده أبياتا للشريف الرضي بقوله: إن هذه الأبيات في رثاء الصابي أبي قرّة ثابت بن قرّة الحراني[4]، ومن الثابت أن أبا إسحاق الصابي كان صديقاً للشريف الرضي، وقد رثاه اعترافاً بأدبه ومقامه العلمي، بغض النظر عن انتمائه المذهبي والديني، وكان لا يرى أن يغمط حقّ ذي حقٍّ، ومن عرف صلة الشريف الرضي

(١) الشريف الرضي: المجازات النبوية: ٢١،٢٥.
(٢) الحلو: ديوان الشريف الرضي: ٩٨/١.
(٣) جرجي: زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٦١/١٢.
(٤) الخوانساري: روضات الجنات: ١٦٦/٢.

بالصابي لا يكون عاذراً له فقط، بل حامداً له في لاوفاء والاعتراف بالحق[1].

أما العلاقة بين الشريف الرضي وأبي العلاء المعري فإنها تكشفها المحاورة الشعرية بينهما، وفي جواب الشريف الرضي:

صيانة النفس أغلتها وأرخصها خيانة المال فانظر حكمة الباري

وإن أصل البيت للشاعر أبي العلاء المعري القائل[2]:

يدٌ بخمس مئين عسجدٍ وديت ما بالها قطعت في ربع دينارِ

وقد نسب هذه المحاورة بعض الباحثين إلى الشريف المرتضى بدلاً من الشريف الرضي، وهي بأجمعها تحتاج إلى وقفة تأمل لأن أبا العلاء المعري على ثقافته الموسوعيّة لم يكن جاهلاً بالحكم الشرعي، ولا بنصوص القرآن الكريم، ومن المحتمل أنها وضعت من باب التعريض بأبي العلاء المعري.

١٠- الشريف الرضي وأخوه الشريف المرتضى

حاول بعض الباحثين إبراز إباء الشريف ارضي في محاولة للنيل من الشريف المرتضى، وخاصّة في الأمور المالية، والعلاقة مع السلطة والحاكمين، ومن ذلك موقف الوزير المهلبي، وفخر الملك أبي غالب من الشريفين، عندما دخل الشريف المرتضى على الوزير المهلبي، وتشاغل عنه

---

(١) الحلي: مقدمة كتاب (حقائق التأويل)٥٣.

(٢) طه حسين: تعريف القدماء بأبي العلاء: ٤١٨.

بقراءة الرقاع، فانتبه إلى هذه الحالة الفقيه الاسفراييني، ولما دخل الشريف الرضي، عظّم مقامه، ورفع منزلته، وقد وازن الفقيه الاسفراييني بين الموقفين، وربما كان الأمر يعود إلى فقاهة المرتضى، وشاعرية الرضي، فقد كان الأولى أن يحظى الشريف المرتضى بالاحترام والتقدير والتبجيل، وقد أمهل الوزير المهلبي الفقيه الاسفراييني حتى انفضاض المجلس، وعند ذلك قدّم له كتابين، أولهما للشريف الرضي وقد ردّ فيه مبلغاً مقداره ألف دينار وردته بمناسبة ولادة مولود له، وذلك بعنوان هدية للقابلة، وقد جاء في كتاب الرد: ((إنّا أهل بيت لا يطّلع على أحوالنا قابلةٌ غريبة، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا، ولسن ممن يأخذن أجرة، ولا يقبلن صلة))[1]، وقد كشف هذا الكتاب عن إباء الشريف الرضي، وترفعه عن قبول الهدايا، وبخاصّة من الحاكمين، أما الكتاب الثاني الذي أطلع عليه أبو حامد الاسفراييني هو مطالبة الشريف المرتضى بإسقاط عشرين درهماً وقعت عليه عند حفر نهر عيسى، وفيه خشوعٌ وخضوعٌ.

ومما يلاحظ في نصوص هذين الكتابين أنهما رويا بأسانيد مختلفة، فمرّة ينسب الموضوع إلى الوزير المهلبي، ومرّة أخرى مع فخر الملك، وبحضور الفقيه الاسفراييني مرّة، والشاعر الصابي مرّة أخرى، ومما يضعّف الرواية إن المهلبي توفي عام ٣١٥ هـ، أي قبل ولادة الشريف الرضي بثمان سنوان، أما إذا أخذنا بروايتها مع فخر الملك فلا يبعد أن يكون له مع الشريف

(١) ابن الجوزي: المنتظم: ٩/٧؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٣٩/١-٤٠.

المرتضى خلافٌ وجفوةٌ، وقد ذكرت القصة من باب التشهير بالشريف المرتضى، وإذا كانت الرواية تكشف عن إباء الشريف الرضي، فإن هنالك العديد من النصوص تشير إلى قبوله الصلات والهدايا، وإن مطالبة الشريف المرتضى بإسقاط المبلغ المذكور ليس دليلاً على بخله أو تقتيره، فقد أوقف قرية على كاغذ الفقهاء[١]، وكان غرضه استمرار الحركة العلمية، وكذلك إنفاقه الرواتب الشهرية على طلابه[٢] وكان قد أجرى جائزةً ليهودي بعد أن أفلس وحضر مجلسه، وكان عطاؤه هذا سبباً لإسلامه. وفي شعره إشاراتٌ إلى ذمّ البخل والحرص والطمع[٣].

وإذا افترضنا صحة الرواية القائلة بإسقاط عشرين درهماً عن الشريف المرتضى، فإنه أراد بذلك قطع دابر الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على الناس، أوانه كان يرى أن الأموال التي بين يديه هي وديعة عنده، ويجب إنفاقها في وجوهها الشرعية دون تفريط أو إفراط وإن مثل هذه المشاريع العامّة يتحتم على الدولة القيام بها والإنفاق عليها[٤]، وإن واجب الشريف المرتضى الشرعي دفع الأذى والظلم عن الناس.

---

(١) الأفندي: رياض العلماء:٣/ورقة ٣٣٢.

(٢) البحراني: لؤلؤة البحرين: ٢٩٥؛ الحسيني: الدرجات الرفيعة: ٤٦٠؛ الأمين أعيان الشيعة: ١٩٠/٤١؛ الأميني: الغدير: ٢٧٤/٤؛ الحكيم: الشيخ الطوسي: ٧١.

(٣) الشريف المرتضى: الديوان ٥٣/١.

(٤) الصفار: مقدمة ديوان الشريف المرتضى: ١١٥/٤.

١١- الشريف الرضي وموضع قبره

توفي الشريف الرضي يوم الأحد، في السادس من محرم الحرام عام ٤٠٦هـ، ويكاد ينعقد الإجماع على هذا التاريخ، عدا بعض الروايات القليلة التي تحدد وفاته عام ٤٠٣هـ أو عام ٤٠٤هـ[١]. وقد أثبت هذا التاريخ الأخير على ديوان الشريف الرضي المطبوع في بيروت عام ١٣١٠هـ، أما عام ٤٠٣ هـ، فإن الشريف الرضي قد مدح بعض الشخصيات في هذه السنة، كما إنه رثى بعض الأعلام سنة ٤٠٤هـ، وكاتب آخرين في هذه السنة[٢]، ومما يؤيد وفاة الشريف الرضي عام ٤٠٦ هـ رثاؤه أبا الحسن أحمد بن علي البتي المتوفى في شعبان عام ٤٠٥هـ بقصيدة مثبتة في ديوانه[٣]، فالروايات الذاهبة إلى وفاة الشريف الرضى قبل عام ٤٠٦ هـ، غير صحيحة.

أمّا مدفنه فقد أشارت المصادر إلى أنه دفن في داره ثم نقل إلى مشهد الإمام الحسين(عليه السلام) فدفن عند أبيه الطاهر ذي المناقب[٤]. ولم تكن دار الشريف الرضي في مقابر قريش (الكاظمية في الوقت الحاضر)، وإنما كانت في الكرخ في منطقة مسجد الأنباريين[٥]، وكان والده الطاهر قد دفن

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤٠/١؛ آل نجف: إتقان المقال: ١٢٢٣/١؛ الطريحي: مجمع البحرين: ١٨٩/١.

(٢) الشريف الرضي: الديوان: ٢١٠/١، ٤٥٦، ٤٧٤، ٥١٧\٢، ٦٥٤.

(٣) م. ن: ١٣٨/١.

(٤) ابن عنبة: عمدة الطالب: ٢٠٠؛ ابن زهرة: غية الاختصار: ٧٨-٧٩.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٢٧٤/٢؛ ابن الجوزي: المنتظم: ٢٨٢/٧؛ القفطي:: إنباه الرواة: ١١٥/٣.

في داره أيضاً ثم نقل إلى كربلاء، ودفن عند مشهد الحسين(عليه السلام)[1]، ولم تشر المصادر على مدفن الشريف الرضي أو الشريف المرتضى في الكاظمية، سوى إن الشريف المرتضى لم يتمكن من مشاهدة جنازة أخيه الرضي، فذهب إلى مشهد الإمامين الكاظمين(عليهما السلام) في مقابر قريش[2].

وقد حددت بعض المصادر موضع قبري الشريفين الرضي والمرتضى وقبر أبيهما الطاهر بالقرب من مرقد السيد إبراهيم المجاب على بعد ستة أذرع من مرقد الإمام الحسين(عليه السلام)[3]، ويقول الشيخ الأميني: ويظهر من التاريخ أن قبره كان في القرون الوسطى مشهوراً معروفاً في كربلاء[4]، ولعله استقى هذه المعلومة من السيد ابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ) الذي يقول: إن الشريف الرضي قد دفن في داره، ثم نقل إلى مشهد الإمام الحسين(عليه السلام) بكربلاء فدفن عند أبيه، وقبره ظاهرٌ معروفٌ[5]، ويبدو أن أُسرة الشريف الرضي قد اعتادت الدفن في كربلاء، فأبوه وإحدى

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٣١/١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم: ٢٨٢٨/٧-٢٨٣.

(٣) جواد شبّر: أدب الطف: ٢٢١/٢-٢٢٧.

(٤) الأميني: الغدير: ٢١٠/٤.

(٥) ابن عنبة: عمدة الطالب ص٢٠٠.

أخواته التي رثاها بقصيدة قد دفنا في مشهد الإمام الحسين(عليه السلام) (١) وفي عام ٤٣٦هـ دفن الشريف المرتضى إلى جوار أسرته.

١٢-الشريف الرضي وأوهام أخرى

انفرد جرجي زيدان بالقول: إن الشريف الرضي كان يسكن مدينة سامراء(٢)، ولم نجد في المصادر أية إشارة إلى هذا الرأي. وذكر فريد وجدي إن جامع ديوان الشريف الرضي هو أبو حكيم الخيري(٣)، ولكن الصحيح هو أبو حكيم الخبري، ولعل هذا من تصحيف النسّاخ. وأشار الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي إلى كتاب (خصائص الأئمة) فإنه لم يختلف فيه اثنان بأنه للشريف الرضي(٤)، ومما يؤيد عائدية الكتاب للشريف الرضي ما ذكره في ديباجة كتابه (نهج البلاغة) بقوله: (فإني كنت في عنفوان السن، وغضاضة الغصن، ابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الأئمة، يشتمل على محاسن أخبارهم، وجواهر كلامهم))(٥).

(١) الشريف الرضي: الديوان: ١٢٩/١.

(٢) جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية: ٢٦٠/٢.

(٣) فريد وجدي: دائرة المعارف: ٢٥٢/٤.

(٤) الأميني: الغدير: ١٩٥/٤.

(٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٤٤/١؛ البغدادي: هدية العارفين: ٦٠/٢.

الشيخ المفيد والمناظرات الفكرية (ت ٤١٣هـ)

بلغت الحركة العلمية أوج نهضتها بمدينة بغداد في القرن الرابع الهجري ، الموافق للقرن العاشر الميلادي ، حتى سمي ذلك القرن ، بعصر النهضة الاسلامية ، فقد نشطت دور العلم وخزائن الكتب والمساجد وبيوت العلماء بتقديم وسائل النشاط المعرفي لرواد العلم والفكر والادب ، وكانت المناظرات الكلامية والعقائدية قد شغلت رجال العلم ، وقد برز في حلباتها امام الامة الشيخ المفيد (ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٣٣٨-٤١٣هـ) حتى انه لقب بالامام الاعظم ، وشيخ الاسلام[١]. وقد كانت داره الواقعة في درب رباح في منطقة الكرخ من بغداد مكاناً للمناظرة يحضره العلماء من المذاهب الاسلامية[٢]. وهذا له دلالة على اتساع افاق العلم ، واطلاق الحرية الفكرية والعلمية ، وقد فرض الشيخ المفيد وجوده على المجتمع البغدادي ، فيقول تلميذه الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ): "انتهت اليه رياسة الامامية في وقته ، وكان مقدماً في العلم ، وصناعة الكلام ، وكان فقيهاً متقدماً فيه ، حسن الخاطر ، دقيق الفطنة ، حاضر الجواب"[٣]، فقد كانت له مناظرات فكرية وعقائدية مع اعلام عصره من امثال القاضي عبد الجبار بن احمد المعتزلي وابي بكر الباقلاني ، والقاضي ابي بكر احمد بن سيار وغيرهم من علماء

---

(١) الشهيد الاول: كتاب الاربعين حديثاً ص١٨٤ ، ص٢٠٥.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ١١/٨.

(٣) الطوسي: الفهرست ص١٨٦.

مدينة بغداد ، وقد دارت هذه المناظرات حول "يوم الغدير" و "حرب الجمل" و "مسألة النص على امير المؤمنين عليه السلام ، ومسائل اخرى في الامامة وتأويل الرؤيا ، ونقض فضائل بعض الفرق وغيرها ، وفي احدى المناظرات الكلامية اعجب القاضي عبد الجبار المعتزلي بعلمية الشيخ المفيد، وقدرته على الكلام فقال: "حقاً انك المفيد ، وانك المفيد حقاً"(١). وعند ذلك تغلب لقب المفيد على الشيخ ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ، ولما وصلت اخبار هذه المحاورات الى السلطان عضد الدولة البويهي (ت٣٧٢هـ)، اكرم الشيخ المفيد ، وقربه الى مجلسه ، واشارت بعض المصادر الى ان الشيخ المفيد كانت له مناظرات في مجلس علي بن عيسى الرماني ، في الوقت الذي كان الشيخ المفيد يتتلمذ على الشيخ ابي عبد الله الحسين بن علي المعروف بالجعل ومن المحتمل هذه الرواية ضعيفة إذ لم تسمح سني الشيخ المفيد بذلك، ولكن من الثابت ان الشيخ المفيد كان يمتلك الجرأة في الرأي ، والشجاعة في اسكات الخصم، ولم تكن هذه المؤهلات ناتجة عن تعصب مذهبي ، او مغالطة علمية ، وانما كان المنطق العلمي والبرهان القاطع أداة للمناقشة ، وتشير المصادر الى ان الشيخ المفيد حضر دار الشريف ابي عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي ، وناقش القاضي ابا بكر احمد بن سيار حول النص والامامة ، واشار الشيخ ابو عبد الله جعفر بن محمد الدورستي انه في عام ٤٠١هـ ، حضر مجلس الشيخ المفيد ، وكان يحاور احد العلويين في رؤيا رآها. وقد ضمت الكثير من

(١) الخوانساري: روضات الجنات ١٧/٥.

مؤلفات الشيخ المفيد جوانب من مناظراته ومنها كتاب "العيون والمحاسن" الذي لخصه تلميذه الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) بكتابه "الفصول المختارة"، وان مؤلفاته في الرد على الجاحظ والعثمانية ، ونقض المروانية ، ونقض فضيلة المعتزلة ، ونقض علي بن عيسى الرماني ، ونقض ابي عبد الله البصري وغيرها تكشف عن العمق الفكري للشيخ المفيد ، فيقول ابن النديم في "الفهرست": انتهت رياسة متكلمي الشيعة اليه، مقدم في صناعة الكلام على مذهب اصحابه ، دقيق الفطنة ، ماضي الخاطر ، شاهدته فرأيته بارعاً.[1] وقد أحدث المركز العلمي الكبير الذي احتله الشيخ المفيد بمدينة بغداد ، ردود فعل مضادة ، وقد أفصح الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) عن مكنوناته الحاقدة عند ترجمته للشيخ المفيد ، وحديثه عن وفاته قال: "اراح الله المسلمين منه"[2]. ويبدو ان الخطيب البغدادي سار على خط السلطة العباسية في حملتها ضد العقليين والكلاميين والفلاسفة عام ٤٠٨هـ ، إذ أصدر الخليفة القادر بالله (ت٤٢٢هـ) مرسوماً سماه "الاعتقاد القادري" هاجم فيه الشيعة والمعتزلة ، ونهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة ، ويقول المحدث الذهبي (ت٧٤٨هـ) انه من حدود ٣٧٠هـ تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا[3]. ويحتاج هذا الرأي الى وقفة تأمل ، إذ ان الامامية من الشيعة تلتقي مع الفكر الاعتزالي في بعض

---

(١) ابن النديم: الفهرست ص٢٩٣.

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢٣١/٣.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال ١٤٩/٣.

القضايا الكلامية وتفترق مع المعتزلة في قضايا اخرى ، ومن يقف على كتاب "اوائل المقالات" للشيخ المفيد ، تتوضح أمامه الصورة. حتى انه فند المذاهب الشيعية المتفرقة من التسلسل الامامي كالكيسانية والزيدية والاسماعيلية والواقفة وغيرها ، وذهب ابو حيان التوحيدي في تقييم شخصية الشيخ المفيد العلمية بقوله: "واما ابن المعلم ، فحسن اللسان والجدل ، صبور على الخصم ، كثير الحيلة ، ظنين السر ، جميل العلانية"[١]، وقد اراد الشيخ المفيد ان يكون الجدال ، قائماً على المنطق والحجة لأنه مأمور به ، ومرغب فيه ، والباطل منه منهي عنه ، ومزجور عن استعماله. وكانت مؤلفاته البالغة اكثر من مائتي كتاب قد سارت وفق هذه المنهجية فيقول الشيخ الحر العاملي: "انه من اجل مشايخ الشيعة ورئيسهم واستاذهم ، وفضله اشهر من ان يوصف ، وانه أوثق اهل زمانه واعلمهم"[٢]. وان لفظ "استاذ" الوارد في نص الشيخ الحر العاملي ، له اهمية علمية وتربوية ، ويقابله لفظ "الشيخ"، وقد كان تلميذه الشيخ الطوسي لا يسمي استاذه الشيخ المفيد باسمه إلا مقروناً بما يشعر بتعظيمه كقوله: "قال الشيخ" وقد أكد المؤرخ ابن كثير على ذلك بقوله: "انه شيخ الامامية ، والمصنف لهم ، والمحامي عن حوزتهم"[٣]. وقد احدثت وفاته عام ٤١٣هـ صدمة في نفوس المجتمع ، وقد وصف الشيخ الطوسي مشاعر

---

(١) ابو حيان: الامتاع والمؤانسة ١٤١/١.

(٢) الحر العاملي: امل الآمل ٣٠٤/٢.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٥/١٢.

الناس بقوله: "لم أر اعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه وكثرة البكاء بين المخالف والموافق"(1).

(1) الشيخ الطوسي: الفهرست ص١٨٧.

ابو الفتح هلال بن محمد الحفار

معلم الاحياء ومودع الاموات (ت ٤١٤هـ)

جمع الفقيه والمحدث ابو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار (٣٢٢-٤١٤م) بين مهنة التعليم، وحفر القبور بمدينة بغداد وفي عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية، وازدهرت فيه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، واوائل القرن الخامس، وقد اشار الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في كتابه ((تاريخ بغداد او مدينة السلام))، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في كتابه ((المنتظم في تاريخ الملوك والامم)) الى نزول الشيخ الحفار في الجانب الشرقي من بغداد، على مقربة من محلة الحطابين. وقد اطلقت عليه المصادر لفظ ((الصدوق)) دلالة على علميته ومكانته من رواية الحديث، وهذا مما جعل الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ((ت ٤٦٠هـ)) حضور دروسه، والاستماع لمحاضراته وقد ذكره في كتابه ((الامالي)) بلفظ ((اخبرنا)) وقال ((قرئ علي بن ابي الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار وانا اسمع)) وعند ترجمته لاسماعيل بن علي بن رزين الخزاعي في كتاب ((الفهرست)) قال: ((اخبرنا عنه برواياته كلها الشريف ابو محمد المحمدي، وسمعنا هلال الحفار يروي عنه مسند الرضا عليه السلام وغيره، فسمعنا منه واجاز لنا باقي رواياته)) وتعني الاجازة العلمية، الاذن والتوسيع من الاستاذ او الشيخ لمن يبيح له الرواية عنه، وهي تقترب من الشهادة الجامعية في الوقت الحاضر، ويصبح للمجاز الحق من رواية الكتب والمصنفات التي

صدر للمجيز الاذن في الرواية عنهم. ويبدو ان ابا الفتح الحفار كان موضع الثقة عند علماء المسلمين، وقد نقل عنه المحدث رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي السروي، المعروف بابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، بعض الاخبار في كتابه ((مناقب ال ابي طالب)) واشار اليه العلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) في ((الاجازة الكبيرة)) التي منحها للسادة العلويين من ال زهرة الحلبيين، وقد وقعت بعض المصادر في وهم، اذ جعلت هلال الحفار من سلالة الامام علي (عليه السلام)، اذ ليس هناك اية اشارة تثبت هذا الادعاء. ولكن من الثابت انه كان عالما كبيرا من علماء الحديث، فيقول ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) في كتابه الكامل في التاريخ)): انه كان عالماً بالحديث، عالي الاسناد، واليه اشار الخطيب البغدادي بقوله: ((صدوق كتبنا عنه)) وأورد السمعاني ابو سعد عبد الكريم بن محمد التميمي (ت ٥٦٢هـ) في كتابه ((الانساب)) شيوخ هلال الحفار من آمثال: ابي عبد الله الحسين بن يحيى بن عياش القطان، ومحمد بن عمرو الرزاز، وابي الحسن علي بن محمد المصري وغيرهم، واشرنا الى تلمذة الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) على ابي الفتح هلال الحفار، واشارت المصادر الى اقلام بغداديين قد تتلمذوا عليه من أمثال: ابي منصور محمد بن محمد العكبري (ت ٤٧٢هـ) وطاهر بن الحسن بن احمد القواس (ت ٤٧٦هـ)، والحسن بن محمد بن القاسم بن زيفة (ت ٤٧٩هـ) ومحمد بن محمد بن احمد بن مسلمة وغيرهم. ومما يبدو ان هلال الحفار قد تألق في علم الحديث وتدريسه، وله ((جزء او اجزاء في الحديث)) وكتاب

(الامالي) الذي من المحتمل انه قد احتوى على مجموعة من الاحاديث الشريفة، شأنه شأن كتب الحديث التي الفت في عصره كأمالي الشيخ الصدوق وامالي الشيخ المفيد، وأمالي السيد المرتضى، وامالي الشيخ الطوسي. وتعني الامالي مجموعة محاضرات كان الشيخ يلقيها على تلاميذه في مجلس او عدة مجالس، او في ايام معينة، او في مواسم خاصة، عن ظهر قلبه او عن كتاب او الغالب عليها ترتيبه على مجالس السماع. ويبدو ان للطلبة دوراً على حفظ هذا النوع من الدروس، وروايتها وتدوينها ويقول الاستاذ الدكتور ناجي معروف في كتابه ((علماء النظاميات)) ان الامالي اعلى مراتب التعليم، وكيفيته ان يملي العالم في مجلس او عدة مجالس تعقد له في الجامع او المدرسة على طلبة العلم ما توصل اليه في بحوثه وتحرياته، فتكتب عنه. وهذا مما يؤشر على الموقع العلمي او التعليمي للشيخ ابي الفتح هلال بن محمد الحفار، ويبدو ان مهنته المعاشية في حفر القبور لم تمنعه من ممارسة التعليم او التدريس في مساجد بغداد ومعاهدها.

ابو سعد (سعيد) منصور بن الحسين الابي (ت٤٢٢هـ)

نسب ابو سعد منصور بن الحسين الآبي الى (قرية آبة) احدى قرى اصبهان. وقد تلقى علومه على الشيخ الطوسي بمدينة بغداد ، وقد لقب بزين الكفاة(١). وأصبح عالماً فقيهاً ، وشاعراً أديباً ، ويبدو انه غادر مدينة بغداد الى بلاد فارس وتولى منصب الوزارة والكتابة ، وكان أخوه ابو منصور محمد الآبي قد تولى الوزارة أيضاً في مملكة طبرستان ، وكان وزيراً وكاتباً(٢). وهذا له دلالة ان اسرة الآبي منصور بن الحسين كانت تتبوأ مكانة علمية وادارية ، وقد أشارت المصادر الى أبي سعد الآبي بالقول: اما الاخبار به سائرة ، والدلائل عليه ظاهرة ثم هو من أجمع أهل زمانه لمحاسن الادب ، وأغوصهم على خبايا العلوم ، وله مصنفات لم يسبق ان صنف مثله في الادب والتاريخ(٣). وقد وصفته المصادر بالوثاقة والعلم والفضيلة(٤). وان مؤلفاته وفي مقدمتها: نزهة الآداب ، ونثر الدر ، يؤكدان علميته في الادب والتفسير والتاريخ(٥). ويقول الشيخ عباس القمي: كان مصنفاً واداريا وراويا للحديث الشريف وكان أديباً متمكناً(٦). ويعد من

---

(١) منتجب الدين: الفهرست (بحار الانوار) ١١/٢٥ ، الحر العاملي: أمل الآمل ق٣٢٦/٢ ، الثعالبي: تتمة اليتيمة ١٠٠/١.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الادباء ٥٢/١ ، الامين: اعيان الشيعة ٤٨٤/١٤.

(٣) الثعالبي: تتم اليتيمة ١٠٢/١ ، الكتبي: فوات الوفيات ١٦/٤.

(٤) الصدر: تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص١١٧.

(٥) ياقوت الحموي: معجم الادباء ٦٩/١.

(٦) القمي: الفوائد الرضوية ١٠٢٢/٢.

شعراء الامامية في عصره ، ذلك العصر الذي برز فيه اعلام في قمة الفكر والادب والشعر والجوانب المعرفية الاخرى على الرغم من وجود التيارات الفكرية المناهضة للفكر الامامي ، فقد كان ابو سعد الآبي معتدلاً في آرائه ، بعيداً عن التعصب المذهبي ، وكان صديقاً للصاحب بن عباد الذي كان ميالاً للمذهب الزيدي ، وكانت امامية ابي اسعد الآبي لم تمنعه من مواصلته العلمية معه ، وغيره من علماء عصره ، ويبدو ان بلاط الدولة البويهية قد احتضن عدداً كبيراً من الاعلام ، وتبوأ بعضهم منصب الوزارة، كالصاحب بن عباد وابي سعد الآبي ، ومما يبدو ان الآبي قد عاصر الدولة العباسية في العراق والدولة الغزنوية والبويهية في بلاد فارس وما بينهما من اختلاف مذهبي واسع النطاق ، ولم تكن المسؤولية الادارية لأبي سعد الآبي مانعة من الكتابة ونظم الشعر والتأليف فانه أصدر الكتب الآتية:

١- الانيس والعروس.

٢- تاريخ الري.

٣- نثر الدر (نثر الدرر) او (نثر الدرر ونفائس الجوهر).

٤- نزهة الاديب (الاداب).

وقد حفظ لنا الثعالبي في "تتمة اليتيمة" نماذج من شعر أبي سعد الآبي ، ومنها مراسلاته مع علماء عصره.

ابن عبدون
امام الفقه والحديث عند الامامية
في القرن الخامس الهجري (٤٢٣هـ)

كان الشيخ ابن عبدون، ابو عبد الله احمد بن عبد الواحد بن احمد البزاز، المعروف بابن الحاشر، من رجال الفكر الامامي في القرن الخامس الهجري بمدينة بغداد، وكان كثير السماع والرواية، مما جعله امام اهل الفقه والحديث، اضافة الى الادب. وهذا له دلالة الى احاطته بالعلوم الاسلامية. واليه اشار الشيخ النجاشي في كتابه "الرجال" بقوله: "كان قوياً في الادب، وقد قرأ كتب الادب على شيوخ اهل الادب"(١)، اما في علم اصول الفقه فاشار اليه الشيخ الطوسي في كتابه "الرجال" بقوله: "وروى اكثر الاصول"(٢) وورد في ارجوزة السيد احمد العطار، عند تعداده للعلماء والفقهاء:

اما ابن عبدون الذي قد اشتهر　　　بنجل عبد الواحد الفاشي الخبر

اعني سليل الحاشر الممدوحا　　　فقد ما جاء به صحيحا

ويقول الشيخ المجلسي في كتابه "الوجيزة": ان حديث الشيخ ابن عبدون عند علماء الحديث صحيحاً. ويقول الشيخ البحراني في كتابه "لؤلؤة البحرين" لما كان من مشايخ الاجازة، فالظاهر انه لا توقف من عد حديثه

---

(١) النجاشي: الرجال ص٦٨.

(٢) الطوسي: الرجال ص٤٥٠.

من الصحيح بناء على الاصطلاح غير الصحيح[1]، ويقول ابن داود الحلي في كتابه "الرجال" ان الشيخ ابن عبدون في الممدوحين، ومن لم يضعفهم الاصحاب فيما علمته[2]، ويستفاد من العلامة الحلي في بيان طرق الشيخ الطوسي في كتابيه "التهذيب والاستبصار" ، توثيقه من مواضع الكتابين المذكورين[3]، وقد اكدت كتب الرجال على توثيقه.

وكان الشيخ ابن عبدون قد تتلمذ على علماء عصره في الفقه والحديث والرجال منهم :

١-ابوالحسن محمد بن علي الشجاعي الكاتب

٢- ابن ابي الزبير القرشي

٣- الحسن بن محمد بن حمزة الحسيني المرعشي

٤-ابو طاهر محمد بن عبيد الله بن احمد الزراري

٥- ابو طالب عبد الله (عبيد الله) بن احمد الانباري

واشارت المصادر الرجالية الى ان الشيخ ابن عبدون لقي ابا الحسن علي بن محمد القرشي الكوفي المعروف بابن الزبير، وكان علواً في الوقت، ويقول الشيخ اغا بزرك الطهراني: كان ابن الزبير وقت اللقاء عالياً في السن، ومعنى كونه عالياً، يقصد بذلك على مشايخ وقته سبباً لتقدم طبقته،

---

(١) البحراني: لؤلؤة البحرين ص٤١٧.

(٢) ابن داود: الرجال ص١-٢.

(٣) العلامة الحلي: الرجال ص٢٠.

وادراكه لابن الزبير. الذي لم يدركه غيره من المشايخ، وقيل ان مصطلح العلو، يقصد به علو الشأن، وقد تتلمذ على ابن عبدون الشيخان الكبيران "النجاشي والطوسي". وقد ذكره الشيخ الطوسي في مؤلفاته: الغيبة، والأمالي، التهذيب، والاستبصار، والفهرست، واشار الى تلمذته عليه بقوله: "اخبرنا ابن عبدون" يقول: "سمعنا منه واجاز لنا بجميع ماارواه" ويقول الشيخ النجاشي: "شيخنا المعروف بابن عبدون".

وتعبر مؤلفات الشيخ ابن عبدون عن تعدد ثقافاته في الفقه والحديث والتاريخ والرجال والادب وغيرها وهي:

١-اخبار السيد بن محمد (ويقصد به السيد الحميري)

٢- كتاب التاريخ، ويعرف به بتاريخ ابن عبدون او تاريخ ابن الحاشر

٣- كتاب التفسير

٤- خطبة فاطمة عليها السلام

٥- كتاب عمل الجمعة

٦- كتاب الحديثين المختلفين

٧- كتاب اداب الخلفاء

وان المكانة العلمية الكبيرة التي احتلها الشيخ ابن عبدون في الفكر الامامي في عصره جعله يستحق لقب "شيخ الشيعة" و "الشيخ الاقدم" ويقول السيد الخوانساري في كتابه "روضات الجنات" : انه من جملة مصنفينا الاكابر، ومشايخ اجازات شيخنا النجاشي والطوسي. اضافة الى الشيخ ابي علي

عمرو بن عثمان الثقفي الكوفي الخراز صاحب كتاب "الجامع في الحلال والحرام". وكان ابن عبدون قد عاش بمدينة بغداد حتى وفاته فيها عام ٤٢٣هـ، في الوقت الذي كانت تعج بالعلماء والمفكرين من مختلف المذاهب، وقد عاصر من شيوخ الامامية الكبار كالشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ النجاشي والشيخ الطوسي وغيرهم، ولكن الذي يؤسف عليه ضياع مؤلفاته. واصبحت في عداد الكتب المفقودة.

مع النجاشي الأسدي في كتابه
الرجال أو الفهرست (ت ٤٥٠هـ)

يعد ابو العباس احمد بن علي بن احمد النجاشي الاسدي. من اعلام القرن الخامس الهجري، ولد عام ٣٧٢هـ. وتوفي عام ٤٥٠هـ[١]، ولكنه ترجم لمحمد بن الحسن بن حمزة الجعفري وأرخ وفاته عام ٤٦٣هـ[٢]. وهذا يجعلنا نميل الى تاريخ وفاته بعدالتاريخ المذكور، الا اذا جاء مضافاً من قبل النساخ او كتابته سهواً، مبررين الى ما ذهب اليه مترجموه من تحديد لوفاته في منتصف القرن الخامس الهجري.

نشأ النجاشي الاسدي في مدينة بغداد واستمع الى شيوخها وقد اشار الى بعضهم في كتابه "الرجال" من امثال الحسين بن عبيد الله الغضائري (ت٤١١هـ). والشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ) والشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) وغيرهم، وكان قد عاصر ابن النديم محمد بن اسحاق صاحب "الفهرست" – على ما يبدو – في ايامه الاخيرة، وشارك الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) بالدرس والتلمذة حتى عده بعض الباحثين استاذا له[٣].

---

(١) العلامة الحلي: الرجال ص ٢١، القمي: الكنى والالقاب ٢٠٧/٣ الطهراني: مصفى المقال، ص ٥٨ الكنتوري: كشف الحجب ص ٤٣٢ ص ٤٥٧، الزركلي: الاعلام ١١٦/١.

(٢) النجاشي: الرجال ص ٢٨٩.

(٣) العلامة الحلي: الاجازة الكبيرة كتاب البحار ٢٦/ ٢٨.

لقد اطلق على كتاب النجاشي اسم "الرجال" ويرد اسمه الفهرست كذلك[1]. اذ ان هناك نصاً يكشف عن كتاب النجاشي المعروف بالرجال كان يسمى بـ: (فهرست اسماء مصنفي الشيعة). وقد جاء هذا بقول المؤلف على نسخة الاصل من الكتاب المذكور ما نصه "الجزء الاول من كتاب فهرست اسماء مصنفي الشيعة وما ادركنا من مصنفاتهم وذكر طرف من كناهم والقابهم ومنازلهم وانسابهم وما قيل في كل رجل منهم من مدح او ذم"[2]. ومن الجدير بالذكر ان كلا من ابن النديم والنجاشي والطوسي صنف كتابا يحمل اسم "الفهرست" ولكن ابن النديم امتاز عنهما بصفة العمومية، وجاء شاملاً لمصنفات اصحاب الاديان والمذاهب والفرق وكان نصيب المصنفات الامامية قليلاً فيه، وهذا مما جعل الطوسي والنجاشي يكتبان او يدونان المصنفات الخاصة بالامامية، وقد اشارا بوضوح في مقدمة كتابيهما.

اجمع مترجمو النجاشي الاسدي على وثاقته، فقد قيل عنه انه: "ثقة معتمد عليه"[3]. و"ثقة معظم"[4]. و وصف بالشيخ الثقة الثبت الجليل النقاد البصير والمضطلع الخبير[5]. وذهب بعضهم على تقديم رأيه عند التعارض

---

(١) الكنتوري: كشف الحجب ص ٤٠٨ ، حسن الصدر: تأسيس الشيعة ص ٦٢، ٦٤، ٦٥، ١٠٠، ١٠٢.

(٢) النجاشي: الرجال ورقة١، نسخة مخطوطة عليها اجازة مؤرخة عام ٥٥١هـ.

(٣) العلامة الحلي: الرجال ص ٢١.

(٤) ابن داود الحلي: الرجال ق١ ص ٤٠.

(٥) القمي: الكنى والالقاب ٢/ ٢٠٧.

على قول الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي[1] على الرغم من مقامه الكبير، وخطورة ارائه في الفكر الامامي.

لقد صنف النجاشي عدة كتب في الرجال والانساب منها كتاب "انساب بني نضر بن قعين واياهم واشعارهم" وكتاب "اخبار بني سنين" وكتاب "الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل" وغيرها[2] وحصل على اجازات علمية. منها اجازة حصل عليها من ابي عبد الله بن الخمري عام ٤٠٠هـ وقد اجازه في مدينة النجف الاشرف عند مشهد الامام علي عليه السلام[3]. واجازات من شيوخه الذين ذكرهم في كتابه من امثال ابي الفرج محمد علي القناتي ومحمد بن علي بن شاذان القمي وابن عبدون والغضائري والشيخ المفيد ونقل من ابيه علي بن احمد النجاشي وغيرهم[4]. تعد ثقافة النجاشي الاسدي بغدادية في معظم مراحلها، ذلك ان معظم شيوخه من بغداد، وان كان قد استمع الى غيرهم في النجف وسامراء والجزيرة والبصرة[5]. واستقى النجاشي معارفه في كتابه "الرجال" من مصادر عديدة، واعتمد على تصانيف مدونة مثل كتاب "الرجال" لابي

---

(١) القمي: سفينة البحار ١/٣٠٢ - ٣٠٣، المامقاني: تنقيح المقال ١/ ٣٦٦.

(٢) النجاشي: الرجال ص ٧٩، العلامة: الرجال ص ٢١، البحراني: لؤلؤة البحرين ص ٤٠٥ الطهراني: الذريعة ١/٣٣٧، ٢/ ٣٨٠. ٣/٣

(٣) النجاشي: الرجال ص ٥٤.

(٤) ن.م. ص ٣٩، ٤٥، ٥١، ٧٠، ٧١، ٢٧٩، ٢٨٣، ٣٠٢ وغيرها.

(٥) ن.م. ص٥٤، ٦٣، ١٨٦، ١٨٩، ٢٥٢، ٢٧٩، ٣٠٨.

عمرو محمد بن العزيز الكشي، الذي وصفه بانه "فيه اغلاط كثيرة"[1]. وكتاب "الفهرست" لابن النديم[2]، وكتاب "الطبقات" لسعد بن عبد الله[3]. وكتاب "ذيل المذيل" للطبري[4]. كما اقتبس من جماعة من الرجال، ولكنه لم يذكر مصدرا بعينه من تصانيفهم التي اقتبس منها، كالصدوق محمد بن علي بن الحسين، والبخاري ومسلم والواقدي وابن عقدة وابن بطة ومحمد بن موسى القزويني وغيرهم[5]. واقتبس كذلك – من خطي ابي العباس بن نوح وابن الدهقان العباس بن عمر الكلواذاني، فقد نقل من خطيهما بصورة مباشرة[6]. وذكر نصوصا قد اقتبسها ولكنه لم يذكر مصادرها بصورة واضحة كنقله من اصحاب كتب الرجال والنسب او عن جماعة من شيوخه[7].

ان كتاب "الرجال" او "الفهرست" للنجاشي الاسدي، يرجع في حقيقته الى كونه اصلا من الاصول الرجالية المعتمدة عند الامامية حتى عد "عمدة الاصول الرجالية نظير كتاب الكافي عمدة الاصول في علم

---

(١) النجاشي: الرجال ص ٢٦٣.

(٢) ن.م. ص ٨٢ ص ٨٣.

(٣) ن. م ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٤) ن.م. ص ١٧٥.

(٥) ن. م. ص ١١٠ ، ١٢١/ ١٢٢، ١٢٥، ١٢٩، ١٩٩، ٢١٤، ٢٣٥، ٢٤٣، ٣٠٧، ٣١٨.

(٦) ن. م. ص ٣٣، ٨٥ ٨٧، ١٠٦، ١٥٣، ١٨١، ٢٢٣.

(٧) ن.م. ص ٢٠، ٢٦، ٤٠، ٤٤، ٦٩، ٧٠، ١٢٤، ١٣٩.

الرجال[1]" وهذا الكتاب من الكتب التي اعتمد عليها ابن طاووس في كتابه "حل الاشكال في معرفة الرجال"[2]. ويعلل استاذنا عبد الله فياض اهمية "رجال النجاشي" بانه يمتاز عن معظم الكتب الرجالية التي سبقته مثل رجال الكشي، او التي عاصرته مثل رجال الطوسي، او التي تلته مثل رجال العلامة الحلي، بايراد معلومات متقنة ومفصلة نسبيا عمن يترجم لهم، واهتم النجاشي بذكر سنة وفاة الكثيرين ممن ترجم لهم كما يورد معلومات مفيدة عن الامكنة التي رحلوا اليها او درسوا فيها. وبهذا يختلف عن رجال الطوسي مثلاً، الذي يكتفي بكتابه، في اغلب الاحيان، بذكر اسم المترجم وانه من اصحاب الامام الفلاني[3].

لقد رتب الشيخ النجاشي كتاب "الرجال" وفق حروف المعجم. مبتدئاً بحرف الالف، ومن ثم بالحروف الاخرى. فهو يذكر الرجل ونسبه، الى جانب مؤلفاته، ومدى وثاقته، وتسلسل رواته، وقد افرد في نهاية الكتاب باباً لمن اشتهر بالكنية ، فهو قد ذكر منهجه في مقدمة الكتاب بقوله: "وقد جعلت للاسماء ابوابا على الحروف ليهون على الملتمس لاسم مخصوص، وها انا اذكر المتقدمين في التصنيف من سلفنا الصالح وهي اسماء قليلة ومن الله استمد المعونة ثم قال: "وذكرت لكل رجل طريقاً واحداً حتى لا تكثر

---

(١) الطهراني: الذريعة ١٠/١٥٤.

(٢) ن. م. ٦٥/٧: الكنتوري: كشف الحجب ص ١٩٩.

(٣) فياض: تاريخ التربية عند الامامية ص ٢٧.

الطـرق فيخـرج عـن الغـرض"[1]. ومـن هـذا نـدرك ان النجاشـي لم يكـن راغباًان يكون كتابه في التراجم بقدر ما يكون في ابراز المصنفات والرسـائل والتعريف بها، ولكنه جهد لذكر اكبر قدر منها مما كان بوسعه فهو يقـول: "وقد جمعت من ذلك ما استطعته ولم ابلغ غايته لعدم اكثر الكتب، وانما ذكر عذرا الى من وقع اليه كتاب لم اذكره[2]. وقد اوضح سبب تأليفه للكتاب في المقدمة، واعتبره استجابة مباشرة لرغبة بعض الناس، بعد ان كثر القول بافتقار الامامية الى كتاب يجمع مصنفاتهم، بقولـه: "اما بعد فاني وقفت على ما ذكره السيد الشريف اطال الله بقاه وادام توفيقه من تعبير قوم من مخالفينا انه لا سلف لكم ولا مصنف، وهذا قول من لا علـم لـه بالناس، ولا وقف على اخبارهم ولاعرف منازلهم، وتاريخ اخبار اهل العلم ولا لقي احداً فتعرف منه ولا حجة علينا لمن لا يعلم ولا عرف)[3]. ولعل محيط بغداد يومئذ وما كان يزخر به من علماء ودور علم ومجالس نظر، وتشجيع السلطة للحركة الفكرية مما حفزه لهذه النوع من التأليف، وقد حذا حذوه الشيخ الطوسي ليكتب هو بدوره كتاباً بيبلوغرافياً آخر اسماه (الفهرست) الا ان النجاشي الاسدي كان رائداً بلاشك وسباقاً للتفكير به، فالمصنفات التي ذكرها ليست كلها في العلوم الشرعية والدينية كالفقه والاصول والحديث والتفسير. وانما فيها كتب اللغة والنحو والشعر

---

(١) النجاشي: الرجال ص ٢.

(٢) ن.م ص ٢.

(٣) ن. م ص٢.

والتاريخ والنوادر، ولكننا نستطيع ان نصنف هذا الكتاب ضمن (كتب الرجال) لأن التراجم الواردة فيه، تضمنت التعريف بالراوي بذكر اسمه ونسبته وأحياناً ذكر نسبه وبلده الذي عاش فيه، والمدن التي رحل اليها وربما ذكر بعض شيوخ المترجم له، وبعض من رووا عنه[1].

اما هيكل الترجمة الذي اقامه النجاشي في كتابه (الرجال) يتجلى بما يأتي:

١ ـ الاسم وتوابعه وملحقاته

يذكر الشيخ النجاشي الاسم كاملاً، ويلحقه باللقب. ومن ثم الكنية، واحياناً تكون الكنية سابقة على اللقب. واللقب اما ان يكون نسبة الى قبيلة او مدينة او موضع من مدينة او مهنة، وقد يلحق بالاسم اكثر من لقب، اذ قد يشترك لقب القبيلة بالمهنة او المدينة او الموضع، ولكن غالباً ما يكون اللقب الاول هو الاصيل.

٢ ـ الوظائف الادارية والدينية

يشير الشيخ النجاشي في بعض التراجم. الى وظائف صاحب الترجمة التي كان يشغلها. كمنصب القاضي، او المحتسب. او الوزير، او الكاتب، او الخازن، او الحاجب، او النقيب، او صاحب العسكر، او الناظر. وفي بعض الاحيان يحدد مكان الوظيفة كقوله: ولي قضاء الكوفة او بغداد او

---

(١) العمري: بحوث في تاريخ السنة ص١٦٦.

مكة او الري[١]. او كانت له رياسة في الكرخ من بغداد[٢]. او كان نقيباً في سامراء[٣]. اما الوظائف الدينية والفكرية، فكانت تلحق بتراجم بعض الاشخاص ان كان اماماً لمسجد او قارئاً او استاذاً او مؤدباً، او معلماً، او تلميذاً، او راوية، او صاحب صومعة[٤].

٣ ـ النشاط العلمي

و في مجال التأليف والتصنيف، كان النجاشي يشير الى الكتب والرسائل، ويتعرض الى بعضها بالنقد والشرح، ولكنه في كثير منها لم يسمها، بل يكتفي بالقول: (له نوادر، او كتاب، اواصل، او مسائل) واحياناً يصف الكتاب ان كان (كبيراً، او صغيراً، او لطيفاً، او حسناً)، ويلفت نظر القارئ في بعض الاحيان ان كان الكتاب (منتحلاً، او فيه تخليط، اولا يعول عليها)[٥]. وهذا يدل على اطلاعه على بعضها، ومما يؤيد ذلك انه في بعض الاحيان يذهب الى التعريف بجانب من جوانب المصنفات كقوله: (كتاب في الامامة، وهو كتاب كبير او حسن، وكتاب الجامع في ابواب الشريعة كبير، وكتاب يوم وليلة حسن جيد صحيح)[٦]، ونحو ذلك،

---

(١) النجاشي: الرجال، ص ٧٤، ١٩١، ٩٧، ٩١، ٢٠٥، ٣١٨.

(٢) ن. م. ص ٢٨٠.

(٣) ن. م. ص ١٩١.

(٤) ن. م. ص ١٤٣، ١٤٧، ٢٤١، ٣١١.

(٥) ن. م. ص ١٦٣، ١٧٦، ١٩٠، ٢٩٥.

(٦) ن. م. ص ٣٦، ٦٧، ٢١٦، ٢٤٠.

وهو في بعض الاحيان يكون دقيقاً في وصف الكتاب، كقوله عن كتاب (العباسي) به (كتاب عظيم نحو من عشرة الف ورقة في اخبار الخلفاء والدولة العباسية، رأيت منه اخبار الامين وهو كتاب حسن)[1]. ولكنه يذكر كثيراً من التصانيف دون تعقيب او نقد اوراي، والشيخ النجاشي على العموم قد اوصل الينا اسماء مجموعة كبيرة من الكتب والآثار.

٤ - المذاهب والفرق الفقهية والكلامية

ذكر النجاشي في كثير من تراجم كتابه، المذهب الفقهي او الكلامي او الفلسفي لصاحب الترجمة، ان كان احدهم امامياً، او زيدياً، او كيسانياً، او فطحياً او واقفياً او خطابياً، ونحو ذلك. اما اذا تنقل بين مذهب واخر فانه يشير اليه كقوله كان (مختلطاً بالواقفة ثم عاد الى الامامة، او كان مجرداً في مذهب الامامة قبل ذلك معتزلياً، او رجع عن مذهب المعتزلة الى القول بالإمامة)[2].

لقد اطلق النجاشي لفظ (الخاصة) على رواة الامامية، ولفظ (العامة) على رواة اهل السنة[3]. كما كان يشير الى مكانة صاحب الترجمة من مذهبه، ان كان فيه (وجهاً، او عيناً، او من خيارهم)[4]. اما بالنسبة الى الغلاة فقد وصفهم بالعناد والتعصب، و وصف بعض المذاهب المتفرعة عن

(١) النجاشي: الرجال ص ٧١.

(٢) ن. م. ص ١٦١، ١٩١.

(٣) ن. م. ص ٢٣٢.

(٤) ن. م. ص ٢٨، ص ٢٩.

التسلسل الامامي بالغلو والمذاهب الردية[1]. و وقف من المغالين موقفاً عنيفاً. بالقول بانه (فاسد الاعتقاد، او غالياً كذاباً، او فاسد الحديث) ونحو ذلك[2]. وكان يقف من بعض الرجال موقف المتردد كقوله: (غلا في آخر عمره والله اعلم، وما رأينا له رواية تدل على هذا ، او انه قيل: غلا في آخر عمره)[3].

اما اصحاب المذاهب الفلسفية والكلامية فكان يشخصهم بالقول: من الاشاعرة، او المعتزلة، او من الحشويين، او من اهل الكلام، او يقول بالجبر والتشبيه[4]. وهناك القليل من الرجال من كان نصرانياً واسلم، فهو يشيرالى تنقله الديني هذا[5].

٥ - الاصول العربية والقوميات

حاول الشيخ النجاشي ان يشخص بعض الرجال قومياً، ان كان احدهم عربياً، او صلبياً في عروبته[6]. او كان عربياً وينتمي الى مدينة معينة

---

(١) النجاشي: الرجال. ص ١١٢، ١٣٢، ١٥١، ١٩٠، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٦٨.

(٢) ن. م. ص ١٣٠، ص ١٧٦.

(٣) ن. م. ص ٣٣.

(٤) ن. م. ص ٢٦٤.

(٥) ن. م. ص ١٧٧.

(٦) ن. م. ص٥٢، ١٦٦، ٢٢٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٣٠٠.

كقوله: عربي بصري، او كوفي، او قمي[1]. او انه كان عربيا من قبيلةمعينة، كقوله: الليثي عربي، او العجلي، او من بني زهرة[2].

اما اذا كان صاحب الترجمة اعجمياً، اشار اليه بقوله: من الاعاجم، او من الموالي[3].

٦ - الالقاب والمصطلحات

لقد اوضح النجاشي بعض الالقاب خاصة المتعلقة بالانساب، اذ قال ان لفظ (الجعفري، نسبة الى جعفر الطيار) ولفظ (القنبري) نسبة الى قنبر مولى الامام علي(عليه السلام)[4]. وقال ان "الطاطري" نسبة لبيع الثياب التي يقال لها الطاطرية[5]، اما لفظ "المسترق" فان صاحبه كان (يسترق الناس بشعر السيد)[6]، ولفظ (المسيلي) نسبة الى مسيلة. وهي قبيلة من مذحج وهي مسيلة بن عامر بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن ادد[7]، وسمي احدهم بالحجال، لانه يعادل الحجال الكوفي الذي يبيع الحجل فسمي باسمه،اما السمال فهو "الكحال" واما الثوب فنسبة الى "الثياب

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ١٤٥، ١٥٥، ٢٠٢، ٢١٩.
(٢) ن. م. ص ٧٧، ٨١، ١٣٧.
(٣) ن. م. ص ١٤٩، ٢٦٩.
(٤) ن. م. ص ٢٢٤.
(٥) ن. م. ص ١٧٩.
(٦) ن. م. ص ١٣١.
(٧) ن. م. ص ١١٨.

البيض من القز"[1]، وسمي احدهم بالرحال، لانه رحل خمسين رحلة من حج الى غزوة[2].

٧ - المصطلحات الخاصة بالامامية

ميز الشيخ النجاشي المصنفين من الامامية بالفاظ وتعابير خاصة، فقد اطلق عليهم لفظ "الاصحاب" بان يقول لاحدهم: من اصحابنا، واذا كان له مقال رفيع قال فيه: عين، او وجه، او شيخ ،او متقدم من اصحابنا، واذا كانوا جماعة قال "قوم، او خلق، او غير واحد، او جماعة، او جماعات لو جملة، او بعض اصحابنا"[3]. وفي بعض الاحيان يذكر مقام صاحب الترجمة الديني او التعبدي، ان كان من الزهاد، او الاخيار، او الاجلاء، ويلحق هذه الاوصاف بعبارة (من اصحابنا)[4]، او يحدد مكانته في مدينة معينة، ان كان شيخاً، او عيناً، او وجهاً بمدينة البصرة، او الكوفة او بغداد، او الري، او في مدينة اخرى، ويلحق ذلك بلفظ (اصحابنا) ايضاً[5].

اما اذا كان صاحب الترجمة مذموماً في (اصحاب الامامية) فيشير اليه بالقول: جفاه صاحبنا، او اصحابنا يغمزونه، او يضعفونه، او يطعنون عليه،

---

(١) النجاشي: الرجال. ص ٢١٠، ص ٢١٦.

(٢) ن. م. ص ٦٤.

(٣) ن. م. ص ٣٧ ، ١١٠، ٨٣، ١١١، ١١٢، ١١٨، ١٣٠، ١٤٠، ٢٠٢ وغيرها.

(٤) ن. م. ص ٨٦، ١٦٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٨٧.

(٥) ن. م. ص ٤٢، ٨٧، ٨٩، ١٨٨، ٢٠٢، ٢٢٦.

وما شابه ذلك[1]. اما اذا كان ممدوحاً اشار الى وثاقته، وتعديله، وموقعه العلمي، والرواية عنه، مع ذكر عبارة(من اصحابنا)[2].

٨ - المهن التجارية والحرف

في قلة من النصوص نجد الشيخ النجاشي يذكر مهن بعض الرجال، ان كان احدهم يبيع السابري، او يقلي السويق، او يورق، او يصحف، او يبيع الخرق[3].

٩ - الخصائص الخلقية والبدنية

وفي نصوص احادية نتلمس الصفات البدنية والنفسية لبعض الرجال، ان كان احدهم اعمى، او انه ولد ولم ير الدنيا[4]. واذا بلغ من العمر عتياً قال عنه: (في هذا الوقت علواً)[5].

١٠ - المواقع والخطط

يستفاد من نصوص تراجم كتاب (الرجال) بعض الخطط والمواقع، ولكن النجاشي لم يحددها. التحديد الدقيق، فذكر من خطط الكوفة (طاق المحامل وطاقات عرينة، وكندة، وصحن اجرم، وسكة بني خزام)[6]. وذكر

---

(١) النجاشي: الرجال. ص ٤٨، ١٦١، ١٦٣.

(٢) ن. م. ص ٦٧، ٨٨، ٢٧٦، ٣٠٢.

(٣) ن. م. ص ٥٠، ٦١، ٢١١، ٢٨٣.

(٤) ن. م ص ١٢١.

(٥) ن. م. ص ٥٣.

(٦) ن. م. ص ٣١، ١٣٨، ١٤٠، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤١.

قسماً من الرجال قد سكنوا في حي من احياء قبيلة معينة، كقوله: يسكن في بني هلال او ذهل، او شيبان، او تميم، او اشجع، وغيرهم)[1]، وقد اوضح ان (عايذة قريش ليس لها بالكوفة وهو مجاور)[2]. ولعله كان يقصد من لفظة (مجاور) انه في مدينة النجف الاشرف ومجاورته مرقد الامام علي عليه السلام وذكر من مساجد الكوفة: مسجد سماك، وبجيلة. ودار اللؤلؤ، و ورد ذكر جامع الكوفة والاسطوانة منه[3]. وقال عن احدهم انه دفن في جعفة[4].

اما بالنسبة لمدينة بغداد قد ذكر من خططها: سوق العطش، وقطيعة الربيع، والكرخ، وميدان الاشنان، وباب الكوفة، والنوبختية، ومقابر قريش، ومشهد العتيقة، ومسجد الربيع[5]، وقد حدد موضع الدعالجة بانه خلف باب الكوفة ببغداد[6].

وحدد الشيخ النجاشي بعض المواقع وخططها، او جعل لها تعريفاً جغرافياً بسيطاً كقوله: (نينوى قرية على العلقمي الى جانب الحاير)[7]،

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ١٤، ٩٧، ٢٣٨.

(٢) ن. م. ص٥٣.

(٣) ن. م. ص ٢٥.

(٤) ن. م. ص ٣١.

(٥) ن. م. ص ٢٤، ٤٨، ١٨٣، ٢٣٥، ٢٦٧، ٢٨٠.

(٦) ن. م. ص ١٥٩.

(٧) ن. م. ص ٩٥.

والساية قرية قريبة من المدينة[1]، وكرمي من ناحية فساو بين هذه الناحية وبين فسا خمسة فراسخ وبينها وبين شيراز نيف وعشرون فرسخاً[2].

والجازية قرية بالنهرين، وبوفك قرية من قرى نيشابور، والسمندي بلد من اذربيجان، وجلود قرية في البحر، و وادي قناة يسيل من الشجرة الى المدينة، والازد ورقاني قرية من سواد الري، وترود قرية من كذلك الى سواد البصرة وسواد قاسان[3].

١١ – علاقة المترجم لهم بالائمة

اوضح النجاشي صلات بعض الرجال بالائمة، والرواية عن احدهم او اكثر من واحد من الائمة، بدء بالامام علي(عليه السلام)، وانتهاء بالامام الحادي عشر الحسن العسكري(عليه السلام). واذا كان لاحدهم كتاب او مسائل او رسالة كتبها عن امام من الائمة اشار اليه[4]. او انه صحب، او اختص، او وقف على امام معين ذكر مكانته وعلاقته بذلك الامام[5]. واذا كان كاتباً او وكيلاً، او مولى، او والياً، ذلك مبينا مكان عمله[6]، وقد تكون علاقته باكثر من امام. ومن الجدير بالذكر انه لم ينوه باصحاب الحسين(عليه السلام)

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ١٩٦.

(٢) ن. م. ص١٨٩.

(٣) ن. م. ص ١٨٣.

(٤) ن. م. ص ٣٨، ١٩٨، ٢٥٩، ٣٠٧، ٣١٨ غيرها.

(٥) ن. م. ص ٧٨، ١٢١، ١٣٠، ١٣١، ٢٢٦؛ ٢٦١.

(٦) ن. م. ص ٣، ١٢، ١٤٤، ٢٩٦، ٣١١.

سوى وهب بن عامر الذي قال عنه: (وهو الذي قتل مع الحسين بكربلا)[1]. ولم يؤرخ وفيات الائمة الا الامام الرضا(عليه السلام) الذي قال انه (مات بطوس سنة اثنتين ومائتين يوم الثلاثاء لثمان عشر خلون من جمادى الاولى)[2].

١٢ ـ الاطالة والاقتضاب

جاءت بعض تراجم كتاب (الرجال) طويلة، حتى بلغت عدة صفحات وبخاصة الذين لهم مؤلفات كثيرة، اولهم مقام رفيع من العلم من امثال ابان بن تغلب، وابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، والحسن بن علي بن فضال، والحسن بن محمد بن سماعة الكندي، والحسن بن عبيد الله السعدي وغيرهم[3]. في حين ان كثيراً من التراجم لم تتعد الكتابة عنهم باكثر من سطرين.

١٣ ـ التخصص الثقافي والفكري

يمكن التعرف على اتجاهات التراجم العلمية من خلال ما عرفوا به في ازمانهم وقد يطغى علم من العلوم على نشاط بعضهم، وعلى هذا يمكن توزيع هذا النشاط على النحو الآتي:

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ١٥٩.

(٢) ن. م. ص ٧٣.

(٣) ن. م. ص٧، ١٢،١٠.

أ ـ علم التفسير والحديث والقراءات:

ان اهم ما عنى به العلماء المسلمون هو القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فالنجاشي قد وصف بعض الرجال بالمفسر او من اهل القراءات(١). واذا كان الشخص محدثاً اشار اليه وذكر درجة علمه في الحديث، ان كان كثير الحديث او قليله، او من حفاظه، او من رواته، او من اصحاب الحديث(٢)، وقد يوجه النجاشي نقداً الى بعض الرجال بالقول: (مختلط الامر في حديثه)(٣). او قد يجمع بعض الرجال بين الحديث والفقه والادب وعلم الكلام(٤).

ب ـ علم الادب واللغة والشعر

خص الشيخ النجاشي الادباء واللغويين والشعراء باوصاف دالة على تبحرهم في هذه العلوم ان كان جليلاً، او وجيها، او صاحب فضيلة، او انه من شيوخ الادب واللغة او النحو(٥). وقد يجمع الشخص هذه العلوم، اضافة الى العلوم الاخرى كالحديث والفقه والسير. ويرجع الرجال الى اصول اسرية تعاطت الادب(٦).

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ٦٨، ٧١، ٢٤١.

(٢) ن. م. ص ٣٦، ٦٧، ١٩١، ١٩٢، ٣١٥.

(٣) ن. م. ص ١٢٣.

(٤) ن. م. ص ٣٠٨.

(٥) ن. م. ص ٦٢، ٧٩، ٧٠، ١٥٩، ٣١٣.

(٦) ن. م. ص ٢٢٧.

ج – علم الرجال والتاريخ والانساب

وصف النجاشي بعض الرجال المعنيين بعلم التاريخ والسير والانساب والرجال باوصاف دالة على تبحرهم بهذه العلوم، ان كان احدهم اخباريا،او عالماً بالاخبار والايام[١]، واذا كان ذا سمعة كبيرة في مدينة معينة اشار الى كونه من شيوخها، او شيخ الاخبار فيها[٢].

د – الفلسفة وعلم الكلام والعلوم الاخرى

خص الشيخ النجاشي علماء الفلسفة والكلام بنعوت خاصة بهم، ان كان احدهم جيد الكلام او من وجوه المتكلمين،او من شيوخهم و وصف احدهم بانه من (اجدل الناس)[٣]. او كان متكلماً جليلاً، او حاذقاً، او مجيداً[٤]. وكان بعض الرجال من يجمع الفقه والحديث الى علم الكلام[٥]. ولم يشر النجاشي الى من كانت له معرفة بالعلوم البحتة والتطبيقية سوى علم النجوم[٦].

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ١٩١.

(٢) ن. م. ص ١٦٧.

(٣) ن. م. ص ٢٥.

(٤) ن. م. ص ٣٣، ص ٤٠، ٨٤، ٢٧٠.

(٥) ن. م. ص ٣٠٩.

(٦) ن. م. ص ٢٩٠.

هـ - علم الفقه

يحتل علم الفقه مكاناً كبيراً في رجال النجاشي. فهو يذكر الفقيه مع مكانته في الفقه ان كان عارفاً، او وجهاً، او رعاً، او مشهوراً،او شيخ مدينة معينة في الفقه، او طائفة معينة[1]. وكثيراً ما يذكر مكانة الفقيه مع عبارات التقويم، والتعديل، والتوثيق[2]، اضافة الى تعداد تصانيفه في علم الفقه وغيره.

و - الوعظ والزهد

وصف الشيخ النجاشي بعض الرجال بصفات زهدية وعبادية، ان كان احدهم من العباد الخاشعين. او من الصالحين، او من الفضلاء او الزهاد، وقال عن بعضهم انه (حسن الطريقة)[3]، ولعل هذا القول اشارة الى المتصوفة والعباد من الرجال، واذا كان زاهداً في قبيلة او اسرة معينة اشار اليه[4].

١٣ - مصطلحات الجرح والتعديل

حدد النجاشي موقفه من بعض الرجال، و وصفهم بما يناسبهم حسب قناعته انطلاقاً من علمه بالرجال، وفق مصطلحات الجرح والتعديل وبيان

---

(١) النجاشي: الرجال. ص ١٣٠، ص ١٥٠، ١٨٤، ١٩١، ٢٨٢.

(٢) ن. م. ص ١٨٤، ٢٨٢.

(٣) ن. م. ص ٢٤٥.

(٤) ن. م. ص ١٨٠.

احوالهم من حيث قبول الرواية، اوردها، وقد اعطى بعض الباحثين الشيخ النجاشي اهمية كبيرة في هذا العلم حتى عد قوله مقدماً على غيره من أئمة الرجال في مقام المعارضة في الجرح والتعديل[١]، ويقول الدكتور محيي الدين ان نقد الحديث بلغ ذروته لدى الامامية في كتبا احمد بن علي النجاشي[٢].

واذا اراد الشيخ النجاشي توثيق احد الرجال اطلق عليه لفظ (ثقة)[٣]. وفي حالة التأكيد على ثقته قال: (ثقة ثقة)[٤]، او يضيف الى تكرار لفظ (ثقة) عبارات تزيد في الوثاقة مثل (ثبت، او لا يعدل به احد، او عين لا لبس فيه ولا شك او عين مسكون اليه)[٥]، وكثيراً ما يلحق بلفظ (ثقة) ايضاً عدة الفاظ تفصح عن جانب من حياة ذلك الرجل وقدرته على الحديث، مثل (صدوق، او عين، او وجه)[٦]. اضافة الى بعض العبارات الدالة على التعديل والتوثيق، ويربط النجاشي بين لفظ (ثقة) ومكانة صاحب الترجمة في علم الحديث من حيث كثرة روايته او قلته او صحيحه او سقيمه.

اما بالنسبة للرواية فكان يربط الثقات من الرجال بمكانتهم في رواية الحديث، ان كان صحيح الرواية، او نقيها، او كثيرها، او قليلها[٧]. وهي

---

(١) القمي: الكني والالقاب ٢/ ٢٠٧.

(٢) محي الدين: ادب المرتضى ص ١٨.

(٣) النجاشي: الرجال ص ٣٣، ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢ وغيرها.

(٤) ن. م. ص ١٠١، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٧٤ وغيرها

(٥) ٣، ١٤٩، ١٥٧، ١٦٣، ٢٧١.

(٦) ن. م. ص١٤، ٩٢، ٢١١، ٢٥١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٣ وغيرها.

(٧) ن. م. ص ٧٤، ١٣٢، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٤٠.

مصطلحات تدل على ما يوجب العمل بروايته او الطعن فيها. ويربط النجاشي بين وثاقة الرجل وعلميته في الفقه في كثير من مواضع كتابه، اذ يكون احدهم (فقيه ثقة)[1]. ويلحق بهذا اللفظ عبارات اخرى لها دلالات علمية في منطقة معينة او في طائفة معينة[2]، وفي بعض الاحيان يشير الى كون الرجل عربياً ثقة[3]، او ينتمي الى مدينة معينة اضافة الى وثاقته[4]، وقد اعطى النجاشي رايه الشخصي بوضوح في بعض الرجال كقوله: (اصدق عندي لهجة)[5].

اما مصطلحات التضعيف والتجريح فقد اوضحها الشيخ النجاشي بعدة الفاظ كلها تفيد القدح وتجريد الثقة من بعض الرجال كلفظ (ضعيف)[6]، واحياناً يشدد في التضعيف فيقول (ضعيف جداً)[7]. او يضيف الى لفظ (ضعيف) عبارات تؤكد هذا اللون من التجريح كقوله: (لا يعول عليه او غمز عليه اصحابنا، او انه من الغلاة او الواقفة، او انه يزيد في الحديث او يعتمد على المراسيل)[8].

---

(١) النجاشي: الرجال. ص٢٩، ص ٢٧٩.

(٢) ن. م. ص١٢، ص١٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٠.

(٣) ن. م. ص ٣٥، ٩٥.

(٤) ن. م. ص ٣٥، ٣٨٠.

(٥) ن. م. ص ٢٦.

(٦) ن. م. ص ١٨، ٣٩، ٧٩، ١٠٠، ١٢٨، ١٤٢، ١٥٦، ١٥٨، ٢٠٥، ٢٢٦، وغيرها.

(٧) ن. م. ص ٢٥٨، ٢٣٤، ص ٢٩٦.

(٨) ن. م. ص ٤٦، ٢٠٤، ٢٣٧.

ويتردد الشيخ النجاشي في بعض الاحيان من اطلاق لفظ (ضعيف) على بعض الرجال بقوله: (وضعف بعض التضعيف، او رمي بالتضعيف، او انه يروي عن الضعفاء)[1].

وهناك الفاظ لها دلالات التضعيف مثل (مضطرب، او مضطرب الامر، او فيه اضطراب، او مضطرب جداً)[2]، او القول عن بعض الرجال انه (مختلط الحديث، او ليس بنقي او يعتقد الحق والباطل معاً، او انه خلط بعد ان كان ثبتاً)[3].

اما بالنسبة للغلاة والواقفة الذين يقفون على احد الائمة فكان يصفهم النجاشي بفاسدي المذهب او الرواية اضافة الى الضعف، وقد وصفهم بالكذب والغمز عليهم[4]، واشار الى بعض الرجال انهم من واضعي الحديث، والرواية عن المجاهيل، والانفراد بالرواية والطعن عليه[5].

وكان الشيخ النجاشي في بعض الاحيان يتردد في ابداء راي قطعي في تجريح بعض الرجال، ولكنه كان يقدم الفاظاً لها دلالات غير بعيدة عن التجريح والتضعيف مثل قوله: فيه نظر ومشكوك في روايته، وليس بالمتحقق[6].

---

(١)النجاشي: الرجال. ص ٢٤٧.

(٢) ن. م. ص ٥٠، ٢١١، ٢٤٠، ٢٩٤، ٣٠٩، ٣١٨.

(٣) ن. م. ص٢٣، ٥٣، ٦٢، ٦٣، ١٤٦، ١٥٣، ١٩٢.

(٤) ن. م. ص ٥٠، ٨٨، ١٩٠، ٢٤٧.

(٥) ن. م. ص٨٨، ص ١٣٠.

(٦)ن. م. ص ٢٦، ١٠٨، ١٣١، ١٦٧، ٢٣٧.

بغداد في كتاب الرجال للشيخ النجاشي

ترجم الشيخ ابو العباس احمد بن علي النجاشي الاسدي، المتوفى عام ٤٥٠هـ في كتابه "الرجال" عدداً من اعلام مدينة بغداد، وتبرز من بين النصوص خطط بغداد ومؤسساتها العلمية، فعند ترجمته لمحمد بن علي بن يعقوب القنائي الكاتب الى المجالس العلمية في بغداد في القرن الخامس الهجري، حيث كان الشيخ القنائي معاصراً للشيخ النجاشي يقول "وكان يورّق لاصحابنا ومعنا في المجالس"، واشار الى "مسجد نفطويه" ودوره في الحياة العلمية بقوله: "كنت اتردد الى المسجد المعروف بمسجد اللؤلؤي وهو مسجد نفطويه النحوي اقرأ القرآن على صاحب المسجد وجماعة من اصحابنا يقرأون كتاب الكافي" ، وهذا له دلالة على ان كتاب "الكافي" لابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى عام ٣٢٩هـ موضع اهتمام الدارسين في علم الحديث ويستفاد من كلمة "اصحابنا" بأن المسجد اللؤلؤي او نفطويه قد خص للامامية، وكذا الحال عند حديثه عن " مشهد العتيقة" الذي كان من مراكز العلم بمدينة بغداد، فيقول الشيخ النجاشي: قرأت "كتاب الصيد" في مشهد العتيقة على الشيخ الحسن بن علي بن فضال عن ابن الزبير، ويقول: "رأيت ابا الحسين محمد بن علي الشجاعي الكاتب يقرأ عليه كتاب الغيبة تصنيف محمد بن ابراهيم النعماني بمشهد العتيقة"، واشار النجاشي الى الاعلام الذين سكنوا مدينة بغداد، وحدثوا بها كقوله: "قدم بغداد ولقيه شيوخنا وسكن بغداد وروى عن الشيوخ الكوفيين، وفي بعض الاحيان يشير الى موطن صاحب الترجمة قبيل هجرته الى بغداد، واذا كان

له موقعاً علميا في النحو او اللغة او التفسير او الحديث اشار الى ذلك، وكان لبعض البغداديين مقام اداري او اجتماعي او علمي كوجه او عين في المجتمع البغدادي، او نقيب للعلويين، وكان يورد لفظ من "اصحابنا البغداديين"، واذا كان من اهالي منطقة الكرخ لحق به لفظ "الكرخي" ولفظ "الكرخي البغدادي" وذلك للدلالة على ان صاحب الترجمة هو من اهالي مدينة بغداد اصالة، وكان في الوقت نفسه يشير الى الاعلام المهاجرين الى بغداد، واذا كانت وفاته في بغداد فانه كان يحدد موضع وفاته وتشييعه ودفنه كقوله: "دفن في منزله بسوق العطش" او دفن بمقابر قريش، او بمقابر باب الكوفة، وعند ترجمته لعبد الله بن محمد الدعلجي قال: "منسوب الى موضع خلف باب الكوفة ببغداد يقال له الدعالجة"، وعند ترجمته للشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري قال: "وصلى عليه الشريف المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين بميدان الاشنان، وضاق على الناس مع كبره ودفن في داره سنين، ونقل الى مقابر قريش بالقرب من السيد ابي جعفر عليه السلام".

ويستفاد من تراجم كتاب "رجال النجاشي" جوانب من الحياة العلمية بمدينة بغداد، والوقوف على بعض خططها، وبما ان الشيخ النجاشي عاش بمدينة بغداد، فكان دقيقاً في توضيح مواقع هذه الخطط، وانه في هذا الجانب يلتقي مع معاصره الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣هـ: وان المتتبع لكتب التراجم يقف على معلومات دقيقة قد لانجدها في كتب التاريخ والادب.

مدرسة الشيخ الطوسي في بغداد (ت ٤٦٠هـ)

هاجر الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي الى بغداد عام ٤٠٨ هـ بعد ان بلغ من العمر الثالثة والعشرين وقد أرخ دخوله مدينة بغداد عند التحدث عن قبر عثمان بن سعيد(رضي الله عنه) بقوله (فكنا ندخل اليه ونزوره مشاهرة... من وقت دخولي بغداد، وهي ثمان وأربعمائة)(١) وكانت بغداد في ذلك الوقت ملتقى رجال العلم والفكر والأدب وكانت الزعامة الفكرية في معاهد مختلف العلوم العقلية والنقلية(٢) وكانت الزعامة الفكرية للشيعة الأمامية فيها لابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ذلك العالم الفقيه الذي قطع شوطا "بعيدا" في ميادين العلوم، وكان مجلسه عامراً بنخبة صالحة من المثقفين وذوي النظر وكان (يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف)(٣) وقد تتلمذ عليه الشريفان الرضي والمرتضى في الفقه وعلم الكلام، وكان للسيد المرتضى كاستاذه مجلس يناظر عنده في كل المذاهب(٤) فكان الجو الفكري المشبع بالاصالة والابداع من اهم الاسباب التي حملت الشيخ الطوسي على الهجرة الى بغداد، هذا وكانت الرحلة في طلب العلم

---

(١) الطوسي: الغيبة ص٢١٧، ابن داود: الرجال ٣٠٦/١، ابوعلي: منتهى المقال ص٢٦٩، الصدر: عيون الرجال ص٧٤، الطهراني: الذريعة ١٤/٢، المشيخة ص٧٢.

(٢) الحكيم: الشيخ الطوسي ص٦٤، ص٦٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ١٥/١٢.

(٤) م. ن ٥٣/١٢.

امراً شائعا في تلك العصور وكان الفقهاء في الغالب يسافرون بعد اكمال دراساتهم الى سائر الاقطار الاسلامية للافادة والاستفادة، وبخاصة الى بغداد التي كانت مقر الخلافة ومركز الحضارة الاسلامية العظيم[1] وقد نبغ في مدينة بغداد كثير من الفقهاء الذين تصدروا في مدارسها ونالوا اسمى المراتب العلمية فيها كابي اسحاق المرزوي (ت٣٤٠هـ) فقيه الشافعية وامام عصره في الفتوى والتدريس، وقد انتهت اليه الرئاسة في العراق، واقام ببغداد دهراً طويلا يدرس ويفتي[2] وابي اسحاق الشيرازي الفيروزاباذي (ت ٤٧٦ هـ) الذي صار امام وقته ببغداد[3] وقد ساعد على تلك الهجرة وجود كثير من المدارس، ودور العلم والمعاهد في بغداد حيث يجد الطلاب المقام والمأوى والاساتذة الذين يطلبون لديهم العلم[4]. ولذا آثرها جميع اهل الافاق على اوطانهم[5]. وكانت الى هذا تجري عليهم جراية في كل شهر والغرض من تلك الجراية اتاحة الفرصة لهم للتفرغ للدراسة، هذا الى توفر المكتبات الكبرى التي يرجع اليها الطلاب للافادة منها، واشتهرت ببغداد مكتبتان عظيمتان هما: مكتبة سابوربن اردشير الوزير البويهي التي

---

(١) فياض: محاضرات في الشعر الفارسي ص٩٧.

(٢) ابن خلكان: وفيت الاعيان ٧/١.

(٣) م. ن ٩/١ ابن الجوزي: المنتظم ٧/٩، السبكي: طبقات الشافعية ٢١٧/٤.

(٤) المنتصر: تاريخ العلم ص٧٢.

(٥) اليعقوبي: البلدان ص٣.

تأسست عام ٣٨١ هـ، او ٣٨٣ هـ[١] وكانت ملتقى رجال الفكر والادب ومنتدى العلماء والباحثين والناظرين، يشدون اليها الرحال، ومكتبة الشريف المرتضى، التي كانت تضم ثمانين الف مجلد[٢].

وقد حملت الظروف القاسية التي كانت تمر بها منطقة خراسان في عهد السلطان محمود الغزنوي على الهجرة الى بغداد، فقد بالغ الغزنوي في النفي والقتل والاحراق للذين يدرسون العلوم العقلية كالمعتزلة والأمامية والإسماعيلية وغيرهم، وامر بلعنهم على المنابر[٣] وقد تعرضت الفلسفة في عهده لازمة خطيرة أوشكت ان تقضي على حياتها، حتى امتد نطاق الاضطهاد من خراسان الى الري، فامر محمود الغزنوي باعدام مائتين من المعتزلة في يوم واحد[٤] ويرى الدكتور مصطفى جواد: (ان الاضطهاد المذهبي كان شديداً في خراسان وخصوصاً بعد وصول الدعوة الاسماعيلية المصرية اليها)[٥] وقد ادت هذه الظروف القاسية – على ما يبدو – الى هجرة الكثير من العلماء الى بغداد، ومنهم الشيخ الطوسي، نجاة بانفسهم من

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ٢٢/٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٩/١٢، ابن العماد: شذرات الذهب ١٠٤/٣.

(٢) ابن عنبه: عمدة الطالب ص١٩٥، الحسيني: الدرجات الرفيعة ص٤٦٣ الاميني: الغدير ٢٧٦/٤.

(٣) اليافعي: مرآة الجنان ٢٢/٣، ابن العماد: شذرات الذهب ١٨٦/٣.

(٤) فياض: محاضرات عن الشعر الفارسي ص١٠١.

(٥) مصطفى جواد: (الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية في عصر الرئيس ابي علي ابن سينا) مجلة المجمع العلمي العراقي ٤/ص٦٨/٢.

الاضطهاد الذي لم تسلم بغداد أيضا من بعض ويلاته وان كانت اقل وطأة من غيرها وذلك لوجود الحكم البويهي فيها[١] وقد تتلمذ الشيخ الطوسي في بغداد على الشيخ المفيد الذي كان يومذاك ((شيخ متكلمي الأمامية وفقائها، انتهت رياستهم اليه في وقته في العلم))[٢] مدة خمس سنوات (٤٠٨-٤١٣هـ) وكان مما درسه الاصول والكلام[٣] وشرع في تأليف كتاب ((تهذيب الاحكام)) يشرح فيه كتاب ((المقنعة)) لاستاذه الشيخ المفيد، وفي هذا الكتاب يظهر مدى تاثر الشيخ الطوسي بعلم الكلام الذي كان شائعا في بغداد انذاك والذي كان الشيخ المفيد يكرس اكثر وقته للبحث فيه، ذلك ان الشيخ الطوسي لم يقتصر على جمع الادلة الفقهية، وايراد الاحاديث ولكنه تصدى الى ذكر الشبه التي اثيرت حول العقيدة ورد عليها وذكر ايضا المطاعن التي وجهت الى الاحاديث المروية عن أهل البيت عليهم السلام ورد عليها[٤] وهذا الكتاب هو أحد الاصول الاربعة التي يرجع اليها المجتهدون من الامامية لاستنباط الاحكام الشرعية. وقد تتلمذ الشيخ الطوسي على اعلام بغداديين اخرين في هذه المدة كالشيخ ابي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري المتوفى عام ٤١١ هـ، وابي الفتح محمد بن

---

(١) الحكيم: الشيخ الطوسي ص٦٨.

(٢) ابن داود: الرجال ٣٣٣/١.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية ١٢٧/٤.

(٤) المظفر: (الشيخ محمد بن الحسن الطوسي مؤسس جامعة النجف) مجلة النجف، العدد الخامس / السنة الثانية ص٣.

احمد بن ابي الفوارس الذي استمع اليه الشيخ الطوسي عام ٤١١هـ كما انه استمع لغيرهما من شيوخ بغداد من الشيعة واهل السنة(١). وقد افاد الشيخ الطوسي من ثقافة هؤلاء الاعلام، حيث كان العصر الذي عاش فيه هؤلاء عصر حرية فكرية، وكانت تلتقي فيه جل الطوائف والتيارات والمذاهب، وكان يأخذ بعضها من بعض، ويؤثر احدها في الآخر، وكان مجلس الشيخ المفيد يحضره جماعة من العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية(٢) حتى بلغ عدد تلاميذه في مدينة بغداد اكثر من ثلاثمائة من مذاهب شتى(٣). ويمكن القول: ان الشيخ الطوسي افاد كثيراً من محيط بغداد العلمين بما فيه من علماء مكتبات ودور علم وسائر فرص الاستزاده والمعرفة بفروعها المختلفة، ولاسيما الموضوعات التي تخص جوانب العقيدة، تلك الجوانب التي كان يدور حولها الصراع السياسي والفكري انذاك دون هوادة، ولعل المدة التي اكتمل فيها نضج الشيخ الطوسي الفكري في بغداد، كانت من اخصب الفترات التاريخية التي مرت بها هذه المدينة الاسلامية عامة، نتيجة انتشار الحرية الفكرية فيها.

---

(١) الطوسي: الرجال ص٤٧١، الامالي ٣١٢/١، ٣١٣، العلامة الحلي: الاجازة الكبيرة/ بحار الانوار ٢٨/٢٥.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ٥/١٢.

(٣) القمي: الكنى والالقاب ٣٦٣/٢، سفينة النجاة ٩٧/٢ الفوائد الرضوية ص٤٧٢، الهروي: الحديقة الرضوية ص١٩، المدرسي: ريحانة الادب ٤٠٠/٢، دائرة المعارف الاسلامية ٢٧٦/١٥.

وبعد وفاة الشيخ المفيد عام ٤١٣ هـ، انتقلت الزعامة الفكرية للأمامية الى الشريف المرتضى (٤١٣ -٤٣٦هـ) الذي كان من ابرز تلامذة الشيخ المفيد، فقد تميز السيد المرتضى بأمرين: أحدهما المنزلة الاجتماعية التي يحتلها سواء لدى الناس ام الدولة، فقد كان يتولى نقابة الطالبيين وامارة الحج وديوان المظالم، ومنصب قاضي القضاة[١] وكانت لدى السيد المرتضى من المؤهلات ما يمكنه من تولي هذه المناصب[٢]. لاسيما انه يتصل نسبه بالامام علي بن ابي طالب عليه السلام من جهتي الاب والام[٣]. وكان الشريف المرتضى قد حاز من العوم مالم يدانيه فيها احد في زمانه[٤]. حتى قيل عنه: انه اكثر اهل زمانه ادبا وفضلا[٥]. وقد كان يجري على تلامذته رزقا، فكان للشيخ الطوسي ايام قراءته عليه كل شهر اثنا عشر ديناراً وللقاضي عبد العزيز بن نحرير بن البراج ثمانية دنانير[٦]. وبالجملة فقد كان

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٤٠٢/١١، ابن الجوزي: المنتظم ١٢٠/٨، ابن حجر: لسان الميزان ٢٢٣/٤، الذهبي: ميزان الاعتدال ١٢٤/٣، ابن عنبة: عمدة الطالب ص١٩٤، النوري: مستدرك الوسائل ٥١٦/٣.

(٢) الماوردي: الاحكام السلطانية ص٩٢.

(٣) الطوسي: الفهرست ص١٢٥، ابن عنبة: عمدة الطالب ص١٩٤.

(٤) النجاشي: الرجال ص٢٠٦.

(٥) الطوسي: الرجال ص٤٨٥.

(٦) الخوانساري: روضات الجنات ص٣٨٣ (طبع حجر)، الحسيني: الدرجات الرفيعة ص٤٦٠، البحراني: لؤلؤة البحرين ص٢١٧ الكشكول: ٣٢٥/١، البحراني: الدرة البهية ورقة ٦ أ، النوري: خاتمة المستدرك ص٧٥٦، نعمة: فلاسفة الشيعة ص٣٠٥.

يجري على سائر تلامذته كل بنسبته[1]. والواقع انه كان يجري هذا العطاء حتى على الذين يتفرغون لطلب العلم من اهل الذمة ايضا[2]. وكان الشيخ الطوسي في اثناء تلمذته على الشريف المرتضى قد انجز كتاب (تلخيص الشافي) وهو كتاب كبير في علم الكلام حاول فيه تبسيط المسائل التي وردت في كتاب ((الشافي)) لأستاذه المرتضى وتقريبها الى اذهان المتعلمين من المعنيين بها، وكتاب ((الشافي)) هذا في الامامة، وهو نقض لكتاب (المغني) للقاضي عبد الجبار بن احمد (ت ٤١٥ هـ) شيخ المعتزلة في عهده، فقد قال السيد المرتضى بشأنه هذا: (تتبع ما انطوى عليه الكتاب المعروف بالمغني من الحجاج في الامامة واملاء الكلام على شبهة بغاية الاختصار، وذكرت ان مؤلفه قد بلغ النهاية في جمع الشبه، واورد اقوال ما اعتمده شيوخه مع زيادات يسيرة سبق اليها، وتهذيب مواضع تفرد بها، وقد كنت عزمت عند وقوع هذا الكتاب في يدي على نقض ما اختص منه بالامامة على سبيل الاستقصاء)[3]، ويمكن اعتبار كتاب (الشافي) للسيد المرتضى وكتاب (تلخيص الشافي) للشيخ الطوسي من اهم الكتب في علم الكلام عند الامامية، لما فيهما من الحجج الواضحة، والادلة العميقة، وهما يفصحان عن سعة علم (السيد المرتضى والشيخ الطوسي) وعمقهما في علم الكلام واصالتهما في فن المناظرة، وقد ارخ الشيخ الطوسي كتاب

(١) البحراني: لؤلؤة البحرين ص٢٩٥.
(٢) السما هيجي: الاجازة ورقة ٣٧أ.
(٣) الشريف المرتضى: الشافي ص٢٠ (الطبعة الحجرية).

((تلخيص الشافي)) بقوله ((ووافق الفراغ من اتمامه في رجب سنة اثنتين وثلاثين واربع مائة))[1].

وقد ألف الشيخ الطوسي في بغداد وفي حياة أستاذه الشريف المرتضى كتاب ((الرجال)) فهو يبحث عن الرجال الذين رووا عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) او عن احد من الأئمة عليهم السلام. او الذين لم يرووا عن الأئمة إلا بالواسطة، وألف ايضا كتاب (الفهرست) في حياة السيد المرتضى وقد دامت تلمذة الشيخ الطوسي على الشريف المرتضى ثلاثة وعشرين عاماً (٤١٣-٤٣٦ هـ) ويلاحظ الباحث في هذه المدة اتساع نطاق التعليم في دور الاساتذة[2]، ونشاطهم الفكري فيها وشيوع الجدل والنقاش في الموضوعات التي تتصل بالدين، والتقارب بين علماء مختلف المذاهب الاسلامية. ومن هذا القبيل مشاركة بعض الاساتذة من اهل السنة في التعلم على الشيعة وحضور الشيخ الطوسي دروس بعض اعلام اهل السنة منهم: ابو الفتح هلال بن محمد بن جعفر الحفار (٣٢٢-٤١٤هـ) وقد حصل الشيخ الطوسي على اجازة بالرواية عنه[3]. وابو الحسن محمد بن محمد بن مخلد (٣٢٩-٤١٩هـ) وقد استمع اليه الشيخ الطوسي عام ٤١٧هـ في داره الواقعة في درب السلولي في القطيعة[4]. وابو الحسن محمد بن احمد بن شاذان

---

(١) الطوسي: تلخيص الشافي ص ٤٧٩ (الطبعة الحجرية).

(٢) الطوسي: الامالي ٣/٢.

(٣) الطوسي: الفهرست ص٣٦.

(٤) الطوسي: الامالي ٣٩١/١.

البغدادي (ت ٤٢٦هـ)[١].وغيرهم من اعلام اهل السنة البغداديين، فضلا عن اعلام الشيعة في هذه المدة التي اصبح فيها باب الاجتهاد واسعا ومفتوحاً، نتيجة اتساع الفكر ومرونته، والحرية التي كان يتمتع بها العلماء، والدليل على ذلك معارضة الشيخ الطوسي استاذه الشريف المرتضى في بعض المسائل منها حجية خبر الواحد والاجماع.

وكانت المدة الزمنية (٤٣٦-٤٤٨هـ) التي تفرغ فيها الشيخ الطوسي للتدريس والتعليم، عقب وفاة الشريف المرتضى من اخصب الفترات العلمية في بغداد، قبيل الانتكاسة التي تعرض اليها في عهد السلاجقة فقد تمتع الشيخ الطوسي خلالها بالمكانة العلمية التي كان يتمتع بها أستاذاه المفيد والمرتضى، فاصبح يلقب بشيخ الطائفة وعمدتها وبالامام الاعظم عند الشيعة الامامية[٢]. وان لقب الامام من أسمى ألقاب العلم عامة، ويدل على تمكن صاحبه من علمه وحجته فيه بحيث يصير للناس قدوة يحتذى، واماماً يتبع في هذا العلم، ويرجع اليه فيه ويقصد لاجله[٣].وقد تقاطر عليه العلماء لحضور مجلسه حتى عد تلاميذه اكثر من ثلاثمائة من مختلف المذاهب الاسلامية[٤]. ولاريب ان شهرته العلمية المستفيضة، وانعقاد الاجماع على

---

(١) العلامة الحلي: الاجازة الكبيرة، البحار ٢٨/٢٦.

(٢) ابن داود: الرجال ص٣٠٦، الشهيد الاول: كتاب الاربعين حديثاً ص١٨٢، ص١٨٧، ص١٩٠.

(٣) غنيمة: تاريخ الجامعات ص٢٣١.

(٤) القمي: سفينة البحار ٩٧/٢، الكنى والالقاب ٣٦٣/٢، الفوائد الرضوية ص٤٧٢ الهروي: الحديقة الرضوية ص١٩، المدرسي: ريحانة الادب ٤٠٠/٢.

اهميته، بالاضافة الى تحرير الفكر الامامي على عهده من التقية[1]، كانت من وراء هذا الاقبال الذي لانظير له في مختلف الاوساط اوالمذاهب على حضور درسه، والاستماع الى محاضراته، والتعويل عليه في الامور العلمية، وقد منحه الخليفة العباسي القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ) كرسي الكلام، وكان هذا الكرسي لا يعطى الا للقليلين من كبار العلماء ولرئيس علماء الوقت[2] والظاهر ان تقدير الخليفة القائم للشيخ الطوسي اثار عليه حسد بعضهم فسعوا به لدى الخليفة واتهموه بانه تناول الصحابة بما لا يليق بهم في كتابه (المصباح) وفي دعاء يوم عاشوراء[3] مما دعى الخليفة القائم باحضار الشيخ الطوسي مع الكتاب المذكور[4]، وجوبه الشيخ الطوسي بالتهمة بحضور الخليفة فانكرها واعلن بطلانها[5] ولكن الخليفة القائم وضع امام الشيخ الطوسي العبارة الواردة في الكتاب وهي: (اللّه خص انت اول ظالم باللعن مني وابدأ به اولاً ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع والعن يزيد خامساً، فاجاب الشيخ الطوسي: انه ليس المراد منها ما اراده الواشون به، بل المراد بأول ظالم قابيل قاتل هابيل وهو اول من بدأ بالقتل وسنه، والمراد بالثاني عاقر ناقة صالح، واسمه قيدار ابن سالف، والثالث قاتل يحيى بن زكريا،

---

(١) البهبهاني: تعليقه على منهج المقال ورقة ١٢٧، مدرسي: ريحانة الادب ٤٠٠/٢.

(٢) الهروي: الحديقة الرضوية ص١٩.

(٣) الطوسي: المصباح ص٥٤٢، مختصر المصباح ورقة ٢٠٧.

(٤) التستري: مجالس المؤمنين ص٢٠١، البحراني: الدرة البهية ورقة ٦أ، ب المامقاني: تنقيح المقال ١٠٥/٣.

(٥) دائرة المعارف الاسلامية (مادة الطوسي) ٣٧٦/٥.

والرابع عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي عليه السلام[1] وقد كان هذا الجواب سببا في قناعة الخليفة بصدق الشيخ الطوسي، فرفع شانه واكرمه[2] والواقع ان كيل التهم والشتم كان ديدن ذلك العصر، فقد استغلت مهمة سب الصحابة عدة مرات، للايقاع بالعلماء وشل نشاطهم، وكان الشيخ المفيد استاذ الشيخ الطوسي واحداً من اولئك الذين لفقت حولهم مثل هذه التهمة. قال الخطيب البغدادي في ترجمته: (شيخ الرافضة، والمتعلم على مذاهبه، صنف كتبا كثيرة في ضلالاتهم، والذب عن اعتقاداتهم ومقالاتهم، والطعن على السلف الماضين والصحابة والتابعين وعامة الناس إلى أن أراح الله المسلمين منه)[3] وقال الصفدي: (كان راس الرافضة صنف لهم كتبا في الضلالات والطعن على السلف)[4]. وكانت مدينة بغداد في اواخر العهد البويهي مسرحاً لا مثال هذه الفتن وقد وجدت طريقها عام ٤٤٧ هـ عند دخول السلاجقة مدينة بغداد واشتد عنفها عام ٤٤٨هـ. فقد بلغت الفتن فيها ذروتها من العنف والقتل والاحراق، ولم يسلم الشيخ الطوسي من

---

(١) التستري: مجالس المؤمنين ص٢٠١، البحراني: الدرة البهية ورقة ٦أ، ب المامقاني: تنقيح المقال ١٠٥/٣، التنكابني: قصص العلماء ص٢٩٤، المدرسي: ريحانة الادب ٢٠١/٢.

(٢) التستري: مجالس المؤمنين ٢٠١/١، المامقاني: تنقيح المقال ١٠٥/٣ التنكابني: قصص العلماء ص٢٩١.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢٣١/٣، البغدادي: تاريخ بغداد ورقة ٥٥.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات ١١٦/١.

غوائلها، فقد كبست داره ونهبت واحرقت[١] كما احرقت كتبه وآثاره ودفاتره مرات عديدة وبمحضر من الناس[٢] واحرق كرسي التدريس الذي منحه الخليفة القائم له[٣] وقتل ابو عبد الله الجلاب على باب دكانه، وكان من كبار علماء الشيعة[٤] وكانت الدولة العباسية انذاك في ضعف وتدهور، حيث فقدت هيبتها وسلطانها على النفوس، واصبحت عاجزة عن اقرار الامن والنظام، والواقع ان بعض السلفيين والمتشددين كانوا يستفيدون من الخلاف والفرقة بين عناصر المجتمع اذا هم مالمسوه من تقارب نسبي بين الطوائف المسلمة، فجندوا انفسهم لتعكير صفو الأمن، واظهروا كل ماتكنه نفوسهم من تعصب ضد خصومهم في المذهب فاعتدوا على رجال العلم، وعرضوا قسماً مهماً من التراث الاسلامي الى الضياع، باحراقهم المعاهد ودور الكتب، وفي هذه الفترة الزمنية العصيبة التي تولى فيها الشيخ الطوسي الزعامة المطلقة للامامية الف عدداً من الكتب وفي مقدمتها كتاب العدة في اصول الفقه وقد تعرض فيه لآراء من سبقه في هذا العلم، وكان

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٣/٨، ابن كثير: البداية والنهاية ٦٩/٢-٧١ الكاظمي: مقابس الانوار ص٦، الحسني: المبادئ العامة ص٨١، الطاهر: الشعر العربي ١٦/١، سركيس: معجم المطبوعات ص١٢٤٨.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٩/٨، السبكي: طبقات الشافعية ١٢٧/٤ ابن كثير: البداية والنهاية ٧١/١٢، احاجي خليفة: كشف الظنون ٤٥٢/١٢، البستاني: دائرة المعارف ٢٤٠/٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم ١٧٩/٨.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٦٩/١٢، الطهراني: طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٠.

استاذه الشيخ المفيد قد الف كتاب (التذكرة باصول الفقه) ورواه قراءة عليه الشيخ ابو الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، وادرجه بتمامه في كتابه كنز الفوائد) كما يقول السيد محمد صادق بحر العلوم[1] ولكن في الحقيقة ان الكراجكي ذكر مختصر التذكرة باصول الفقه فيقول: (استخرجه بعض الاخوان من كتب شيخنا المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه وقدس سره)[2] وقد سار الشيخ المفيد بعلم الاصول في الاتجاه الذي بدأ به الحسن بن علي بن ابي عقيل، ومحمد بن احمد بن الجنيد الاسكافي، وكان الشيخ المفيد قد نقدهما في جملة آرائهما[3]، وقد جاء بعد الشيخ المفيد تلميذه السيد المرتضى فسار في الاتجاه نفسه، فالف كتاباً موسعاً فيه وهو كتاب (الذريعة) الذي يقول فيه: (فاني رأيت ان املي كتاباً متوسطاً في اصول الفقه لا ينتهي بتطويل الى الاملال ولا بالاختصار الى الاخلال بل يكون للحاجة سداداً. وللبصيرة زناداً، واخص مسائل الخلاف بالاستيفاء والاستقصاء فان مسائل الوفاق تقل الحاجة فيها الى ذلك)[4]، واخيراً يأتي كتاب (العدة) للشيخ الطوسي، الذي نهض فيه بعلم الاصول الى مرحلة جديدة من النضج الفكري، ولم (يصنف مثله قبله في غاية البسط والتحقيق)[5]. ولم يكن الشيخ الطوسي في هذا الكتاب مقلداً

(١) بحر العلوم: (تاريخ اصول الفقه) مجلة الايمان، العدد (٥،٦) السنة الاولى ص٤١٩.

(٢) الكراجكي: كنز الفوائد ص١٨٦.

(٣) الصدر: المعالم الجديدة للاصول ص٥٥.

(٤) الشريف المرتضى: الذريعة ص٧١-٧٢.

(٥) الصدر: الشيعة وفنون الاسلام ص٥٧.

لآراء استاذه السيد المرتضى، بل كان مجتهداً في كل ما عرضه من مسائل العلم، حتى خالف استاذه في بعضها كمسألة عدم حجية خبر الواحد، وكانت آراؤه في هذا الباب اصيلة، فتحت باباً جديداً في هذا الموضوع.

والف الشيخ الطوسي في اثناء زعامته الكفرية في بغداد كتاب (المقدمة الى علم الكلام)، وذلك عام ٤٤٥هـ واشار فيه الى تأليفه في (مدينة السلام) وقد كتبه نظام الدين محمود بن علي الخوارزمي بخطه[1]، والف كتاب (المصباح الكبير) تمييزاً عن كتابه الآخر (مختصر المصباح) الذي سمي باسم (المصباح الصغير)، وقد اشار الشيخ الطوسي في مقدمة كتاب المصباح الى كتبه التي الفها في بغداد قبله بقوله (فان كتبنا المعمولة في الفقه والاحكام تتضمن ذلك على وجه لا مزيد عليه كالمبسوط والنهاية والجمل والعقود ومسائل الخلاف وغير ذلك)[2]، وكان الشيخ الطوسي قد خصص لكل طبقة من تلامذته كتباً معينة حسب اختصاصاتهم ومستواهم العلمي، فلذلك جاء كتاب ((المبسوط) و((النهاية)) في الفقه، وكتاب ((مسائل الخلاف)) في الفقه المقارن، وكتاب ((الجمل والعقود)) مختصر في العبادات، وكانت الغاية من هذا التنوع ان يحفظها كل واحد تكثر المنفعة به، ويرجى جزيل الثواب بعمله[3]. وقد اوضح هذا التنوع في التأليف عند حديثه عن كتاب ((مصباح المتهجد)) بقوله ((والمقصود من هذا الكتاب

(١) الطهراني: الذريعة ورقة ٢٤٤-٢٤٦.

(٢) الطوسي: مصباح المتهجد ص٢.

(٣) الطوسي: الجمل والعقود ص٢.

مجرد العمل وذكر الادعية التي لم نذكرها في كتب الفقه، فان كثيراً من اصحابنا ينشط للعمل دون التفقه، وبلوغ الغاية فيه، وفيهم من يقصد التفقه، وفيهم من يجمع بين الامرين، فيكون لكل طائفة منهم شيء يعتمدونه، ويرجعون اليه، وينالون بغيتهم منه))[١].

وكانت ظروف مدينة بغداد المذهبية، وانفتاح مجتمعها للجدل والمناظرة قد جعلت الشيخ الطوسي يؤلف كتاب ((المبسوط)) الذي يعد في سعته وشموله لابواب الفقه اهم كتاب يمثل الجانب المتطور للفكر الامامي في هذا المضمار، كما قال الشيخ الطوسي ((كتاب المبسوط في الفقه، وهو مشتمل على ثمانين كتاباً فيه فروع الفقه كلها لم يصنف مثله))[٢]. ولذلك كان اول كتاب في التفريغ على الاصول الفقهية، مشتملاً على جميع كتب الفقه بأصالة في عمق واستدلال، وقد جمع فيه شتات الاشباه والنظائر في الفقه، وقد جاء كتاب ((المبسوط)) على النمط نفسه من التطور الفكري الذي احدثه الشيخ الطوسي في علم الاصول المتمثل بكتابه ((العدة))، ونلمس عند المقارنة بين كتاب الشيخ الطوسي في الفقه ((النهاية)) و((المبسوط)) بعض جوانب التطور الفكري، فكان اسلوب كتاب ((النهاية)) معتمداً على نصوص الاخبار والاحاديث وقد سلك مسلك الاخباري الصرف بحيث انه لم يتجاوز فيه مضامين الاخبار. ولم يتعد مناطيق الآثار[٣]. في

(١) الطوسي: مصباح المتهجد ص٢.

(٢) الطوسي: الفهرست ص١٨٩.

(٣) البحراني: لؤلؤة البحرين ص٢٩٧.

حين نجده في كتابه ((المبسوط)) مجتهداً صرفاً وذلك لاستدلاله بالادلة العقلية والبراهين القطعية، وتجدد الرأي في المجتهدين[١]. وقد آثر الشيخ الطوسي في كتاب ((المبسوط)) طريق الاجتهاد كما اوضح ذلك بقوله: ((وكنت على قديم الوقت وحديثه متشوق النفس الى كتاب يشتمل على ذلك تتوق نفسي اليه فتقطعني عن ذلك القواطع، وتشغلني الشواغل وتضعف نيتي ايضاً فيه قلة رغبة هذه الطائفة فيه، وترك عنايتهم به، لانهم ألفوا الأخبار، وما رووه من صريح الالفاظ حتى ان مسألة لو غير لفظها وعبر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم لعجبوا منه وقصر فهمهم عنها[٢] وقد اوضح الشيخ الطوسي ظروف مجتمع مدينة بغداد التي املت عليه تأليف كتاب المبسوط بقوله: (فأني لازال اسمع معاشر مخالفينا من المتفقهة والمنتسبين الى علم الفروع يستحقرون فقه اصحابنا الامامية ويستنزرونه وينسبونه الى قلة الفروع وقلة المسائل ويقولون انهم اهل حشو ومناقضة) وقد رد الشيخ الطوسي على هذه المزاعم بقوله: (وهذا جهل منهم بمذاهبنا وقلة تامل لا صولنا ولو نظروا في اخبارنا وفقهنا لعلموا ان جل ماذكروه من المسائل موجودة في اخبارنا منصوص عليه عن أئمتنا)[٣]، واذا امعنا النظر في النصوص التي اوردها الشيخ الطوسي في مقدمة كتاب (المبسوط) نراه يتحدث عن المراحل البدائية من التكوين الفقهي الفكري التي مر بها علم

---

(١) سيد شفيع: الروضة البهية ص١٨٥.

(٢) الطوسي: المبسوط ص٣.

(٣) م. ن.

الشريعة لدى الشيعة الامامية ونما من خلالها[1] ولذا جاء كتاب (المبسوط) محاولة ناجحة وعظيمة في مقاييس التطور العلمي لنقل البحث الفقهي من نطاقه الضيق المحدود في اصول المسائل الى نطاق اوسع يمارس الفقيه فيه التفريع والتفصيل والمقارنة بين الاحكام، وتطبيق القواعد العامة، ويتبع احكام مختلف الحوادث والفروض على ضوء المعطيات المباشرة للنصوص[2]، ومن ذلك نفهم ان الشيخ الطوسي كان صاحب مدرسة فقهية اخذت على عاتقها تطور الفقه الامامي ونقاه من علم منكمش لامجال فيه للابداع، الى علم واسع النطاق في اصالته وعمقه.

ولعبت ظروف مدينة بغداد العلمية ومناظراتها الفقهية والكلامية وشيوع روح الجدل والنقاش بين فقهائها من المذاهب الاسلامية دوراً اساسياً في تأليف الشيخ الطوسي كتاب (الخلاف) في الفقه المقارن، وان سبقه في هذا الميدان استاذه الشريف المرتضى بكتابه (الانتصار) الذي اوضح فيه المسائل الفقهية المختلف فيها بين المذاهب الاسلامية، ودفع الشبهات عن المذهب الامامي، ولذا تصدى الشريف المرتضى لتقويم بعض المفاهيم الخاطئة التي حملتها الفرق الاسلامية الاخرى على المذهب الامامي، وهو في حقيقته يهدف لغرضين اولهما: الدفاع عن المذهب عن طريق الفقه، وثانيهما: الدعوة الى توحيد المسلمين والتقارب فيما بينهم، وقد ذكر الدكتور عبد الرزاق محيي الدين: ان كتاب الخلاف للشيخ

---

(١) الصدر: المعالم الجديدة للاصول ص٥٩- ص٦٠.

(٢) م. ن.

الطوسي هو اول كتاب للامامية في الفقه المقارن، ووافقه بعض الباحثين على رأيه[1] ولكن الحقيقة هي ان كتاب (الانتصار) للسيد المرتضى كان اسبق من كتاب (الخلاف) في هذا العلم، ولكن كتاب الخلاف اوسع منه واشمل لمواضيعه وهو عامل بعث في نضج الفكر الاسلامي، حيث ضم بين دفتيه مادة فقهية غزيرة لمختلف المذاهب فقد ناقش الشيخ الطوسي في كتاب (الخلاف) آراء المذاهب الاسلامية، اضافة الى ما اجتمعت عليه الامامية من مسائل الدين[2]، وقد تألق الشيخ الطوسي في مجال (الاجتهاد المطلق) وابداء الرأي، ونقد الاحكام بالادلة العلمية، واوضح ذلك في مقدمة كتاب (الخلاف) بقوله: (املاء مسائل الخلاف بيننا وبين من خالفنا من جميع الفقهاء من تقدم منهم ومن تأخر، وذكر مذهب كل مخالف لا على التعيين، وبيان الصحيح منه وما ينبغي ان يعتقد وان اقرن كل مسألة بدليل نحتج به على من خالفنا موجب للعلم من ظاهر قرآن او سنة مقطوع بها او اجماع او دليل خطاب او استصحاب حال على ما يذهب اليه كثير من اصحابنا او دلالة اصل او فحوى خطاب)[3].

وكان الشيخ الطوسي يشير في مؤلفاته التي كتبها في مدينة بغداد انه الفها استجابة لرأي (الشيخ الجليل اطال الله بقاءه) وذلك في كتبه (المفصح في الامامة) و(الغيبة) و(الايجاز في الفرائض) و(الاقتصاد) دون ان يفصح

---

(١) محيي الدين: ادب المرتضى ص١٢٤، الفضلي: دليل النجف الاشرف ص١٣٠.

(٢) بحر العلوم: الرجال ٢٣٠/٣.

(٣) الطوسي: الخلاف ١/٢.

عن اسم ذلك الشيخ الجليل الذي كتب هذه المصنفات بناء على رغبته، ولكني وجدت في هامش كتاب (الجمل والعقود) للشيخ الطوسي المخطوط في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف، بأن الشيخ الفاضل هو (ابو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن البراج) وهو احد تلاميذ الشيخ الطوسي وخليفته في البلاد الشامية ونائبه في التدريس[1]، وان جميع هذه الكتب قد كتبها الشيخ الطوسي في مدينة بغداد اثناء زعامته الدينية للامامية في المدة (٤٣٦-٤٤٨هـ)، والتي اتاحت له ان يكون رأس المدرسة الامامية في عهده، تلك المدرسة التي فتحت ابوابها في عهد استاذيه الشيخ المفيد والسيد المرتضى، وقد حافظ الشيخ الطوسي على استمراريتها ونقائها حتى اوصلها الى قمة مجدها وازدهارها، وقد تميزت بالخصائص الاتية:

١-موقع المدرسة من الدولة

فرضت مدرسة الشيخ الطوسي وجودها في مدينة بغداد على الصعيد الرسمي(الحكومي) فقد منح الخليفة العباسي القائم بأمر الله ولاول مرة في التاريخ الامامي كرسي الكلام للشيخ الطوسي مع وجود عدد كبير من العلماء من مختلف المذاهب الاسلامية وهذا له دلالة على بلوغ مدرسته الفكرية مرتبة عالية حتى اعترف بها رسمياً. وان اغاض ذلك الكثير من الحساد والحاقدين، واخيراً دفع الشيخ الطوسي ثمن ذلك غاليا عند دخول السلاجقة بغداد، وتعرضه للمحنة عام ٤٤٨هـ.

---

(١) الخوانساري: روضات الجنات ص١٢٨ (طبع حجر).

٢- الابقاء على فتح باب الاجتهاد

لقد توجت مدرسة الشيخ الطوسي في بغداد بفتح باب الاجتهاد عند الامامية وكان سد هذا الباب عند المذاهب الاسلامية يعد من اهم عوامل الجمود، وتخلف السلطات التشريعية في العالم الاسلامي وقصورها او تقصيرها عن مواكبة الزمن في سيره الحثيث، وتيسير مصالح الامة في شتى نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية[١].

٣- التأليف في الفقه المقارن

وضع الشيخ الطوسي مناهج البحث والاستنباط في الفقه وكان هذا ناتجاً عن بعد نظره، وعمق تفكيره، وأصالة آرائه وطموحه الفكري للتجديد[٢]، ويعد بروز الفقه المقارن سمة بارزة في مدرسة بغداد الفكرية، فقد كانت المناظرات بين العلماء والفقهاء سمة القرنين الرابع والخامس الهجريين، ومن الواضح ان المناظرات ذات تأثير في تطوير الدراسات الفقهية حيث يتصرف كل فريق الى ايجاد الطريقة الفضلى للرد والمناظرة واثبات الحجج، وقد كان للشيخ الطوسي قدرة بالغة في هذا الميدان، وقد الف كتاب (الخلاف) لايضاح المسائل الخلافية في المذاهب الاسلامية، وبيان قيمة الرأي من المسألة في ضوء ما يتوصل اليه من نقد الادلة نقداً علمياً[٣]

---

(١) الشبيبي: مؤرخ العراق ابن الفوطي ٢١٥/١.

(٢) الآصفي: مقدمة اللمعة الدمشقية ص٢٥.

(٣) الفضلي: دليل النجف الاشرف ص١٣٠.

يقول الشيخ محمد ابو زهرة: (ان الشيخ الطوسي قد خدم المذهب الجعفري بدراساته المقارنة، او بتعبيد مسالكه، وبالكتابات المقتضية لاطراف مسائله[1].

٤-الاحتجاج بالإجماع

يعد الاحتجاج بالإجماع من مميزات مدرسة الشيخ الطوسي في مدينة بغداد، فقد اعتبره اصلاً من اصول التشريع، بل هو عنده من اعظم الادلة القطعية وبنى عليه كثيراً من الاحكام الشرعية[2]. ويعلل الشيخ الطهراني نظرة الشيخ الطوسي للاجماع بقوله: (الاجماع في نظر شيخ الطائفة ليس على المعنى الحقيقي المصطلح عند المتأخرين عنه، بل الغالب يتمسك بالاجماع في قبال آراء العامة للرد عليهم بما هو حجة عندهم حتى في الاصول مثل مسألة الامامة والخلافة)[3]، ومن الجدير بالذكر ان الشيخ الطوسي قد اختلف مع استاذه الشريف المرتضى حول الاجماع والذي انكره السيد المرتضى من باب وجوب اللطف، بانه لولا قاعدة اللطف لم يكن التوصل الى معرفة موافقة الامام للمجمعين[4]. وان موقف الشيخ الطوسي من مسألة (خبر الواحد) من اراء السيد المرتضى، واضح في هذا الباب.

---

(١) ابو زهرة: الامام الصادق ص٤٥٩.

(٢) الكاظمي: كشف القناع ص٢٠٧.

(٣) الطهراني: مقدمة كتاب ((التبيان)) ص (انج).

(٤) الاسترابادي: الفوائد المدنية ص٧٠.

ابو يعلى سلار الديلمي

صاحب المراسم في الفقه (ت ٤٦٣هـ)

كان الشيخ الجليل ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي المعروف بسلار بن عبد العزيز المتوفى عام ٤٦٣هـ وقيل ٤٤٨هـ فقيهاً امامياً متقدماً في مدينة بغداد ، فقد تتلمذ على اعلامها، وفي مقدمتهم الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) والسيد المرتضى (ت٤٣٦هـ) وقد اشتهر كتابه "المراسم في الفقه" بين اوساط الفقهاء حتى انه عرف بصاحب كتاب "المراسم"(١) واشار الشيخ منتجب الدين الى كتابه هذا بقوله "المراسم العلوية والاحكام النبوية" ووصفه بقوله: "فقيه ، ثقة ، عين"(٢)، وقد اعتمد عليه استاذه في علم الكلام فطلب منه نقض كتاب "الشافي"، علماً ان كتاب "المغني في الامامة" هو للقاضي ابي الحسن عبد الجبار البصري هو نقضه السيد المرتضى بكتابه "الشافي الامامة" ويقول الشيخ القمي: ان سبب تصنيفه لهذا الكتاب هو ان القاضي عبد الجبار صنف كتاباً في ابطال مذهب الشيعة سماه "المغني في الامامة" ثم صنف السيد المرتضى كتاباً سماه "الشافي في نقض الكافي" ثم صنف ابو الحسن البصري كتاباً في نقض الشافي فرده سلار الديلمي.(٣) وقد طلب السيد مرتضى من تلميذه سلار الديلمي "نقض نقض الشافي"

---

(١) الافندي: رياض العلماء ٢/ورقة ٢٩٣ ، الامين: اعيان الشيعة ٧/المجلد الثامن ص٢٨٨.

(٢) منتجب الدين: الفهرست ، البحار ٦/٢٥ ، الحر العاملي: امل الآمل ٢/١٢٤.

(٣) القمي : سفينة البحار ٦٣٩/١.

فاستجاب لطلبه[1]. وان الواقف على مؤلفات الشيخ ابي يعلى الديلمي تتوضح امامه معالم شخصيته العلمية وهي:[2]

١- المقنع في المذهب.

٢- التقريب في اصول الفقه.

٣-المراسم في الفقه.

٤- نقض الشافي.

٥- التذكرة في حقيقة المذهب.

٦- التذكرة في حقيقة الجوهر والعرض.

٧-الابواب والفصول في الفقه.

٨-الاسئلة السلارية وقد سألها من استاذه السيد المرتضى.

فكان المحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ) صاحب كتاب "شرائع الاسلام" قد اختصر كتاب "المراسم" بالتماس بعض اصحابه.[3]

---

(١)الطريحي: مجمع البحرين ٢٤٨/١.

(٢)ابن شهرآشوب ، معالم العلماء ص١٣٦ ، رجال العلامة ص٨٦ ، رجال ابن داود ١٠٤/١ ، الطهراني: الذريعة ٧٣/١ ، ٨٤/٢ ، ٣٦٥/٤ ، ٢٠٦/٥ ، طبقات اعلام الشيعة/القرن الخامس ص٨٦ ، ابو علي: منتهى المقال ص١٤٩.

(٣) النوري: مستدرك الوسائل ٤٩٦/٣.

ويقول الشيخ البحراني "نحن نروي كتب هذا الشيخ زائداً على الطرق المتقدمة بطريقنا الى الشيخ منتجب الدين عن ابيه عنه ، وطريقنا الى الشيخ منتجب الدين المذكور ما تقدم بالاسناد الى العلامة عن ابيه عن السيد احمد بن السيد يوسف العريضي عن الشيخ برهان الدين محمد بن محمد الحمداني القزويني عن الشيخ منتجب الدين".[1] وقد ذكر العلامة الحلي موقفه العلمي بقوله "شيخنا المقدم في الفقه والادب وغيرهما ، وكان ثقة وجها"[2] وقد اعتمد عليه استاذه السيد المرتضى في الفتوى ، فعينه نائباً عنه في البلاد الحلبية ، كما كان ينوب عنه في التدريس ، وهو أول من أفتى بحرمة صلاة الجمعة في زمان غيبة الامام[3]. ويقول الافندي "كان رئيس القائلين بحرمة صلاة الجمعة في زمن الغيبة"[4] ويبدو انه كان متقدماً في علم الفقه المقارن ، حتى قيل انه المشار اليه في "مسائل الخلاف" ولعله قد انفرد في اسقاط الجهاد من العبادات واضاف اليها الطهارة والاعتكاف[5]. ويقول السيد الخوانساري انه أحد الاعاظم المتقدمين من فقهاء الامامية ، بل وأوحدهم المشار اليه في كتب الاستدلال بجميع ما كان له مخالفة[6].

---

(١) البحراني: لؤلؤة البحرين ص٣٣١.

(٢) العلامة: الرجال ص٨٦.

(٣) محيي الدين: ادب المرتضى ص١١٨ ، الخوانساري ، روضات الجنات ص٢٠١.

(٤) الافندي : رياض العلماء ٢/ورقة ٤٤٣.

(٥) الخوانساري: روضات الجنات ٦/٢٦٦.

(٦) روضات الجنات ص٢٠١.

لقد تتلمذ على الفقيه سلار بن عبد العزيز أعلام من الامامية وغيرهم، فيقول السيوطي نقلاً عن الصفدي: قرأ عليه ابو الكرم بن المبارك بن فاخر النحوي[1]. وابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي المقرىء الرازي[2]. وعبد الرحمن ابو محمد بن احمد بن الحسين النيسابوري الخزاعي[3]. ومن الملاحظ ان الشيخين المقرىء الرازي والنيسابوري الخزاعي قد تتلمذا على الشيخ الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن وابن البراج والشيخ الكراجكي، ويقول الشيخ منتجب الدين: ان والده موفق الدين ابا القاسم عبيد الله بن الحسين بن بابويه القمي قرأ على الشيخ سالار بن عبد العزيز ومشايخ عصره كالشيخ الطوسي وابن البراج وغيرهما[4]. وحكى ابو الفتح ابن جني : أدركته وقرأت عليه ، وكان من ضعفه لا يقدر على الاكثار من الكلام ، فكان يكتب الشرح في اللوح ، فيقرأه. وقرأ عليه ابو الصلاح الحلبي ، وكان اذا استفتى من حلب يقول عندكم التقي[5].

ومما يبدو ان الشيخ ابا يعلى سلار الديلمي كان متقدماً عند استاذه السيد المرتضى ، حيث انه باشر في غسله عند وفاته عام ٤٣٦هـ مع أبي يعلى محمد

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة ٥٩٤/١.

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ١٨٧/٨ ، الطهراني: طبقات اعلام الشيعة /القرن الخامس ص١٠٣.

(٣) روضات الجنات ٣١٥/٤.

(٤)منتجب الدين: الفهرست: البحار ٨/٢٥ ، الحر العاملي: امل الآمل ١٦٧/٢.

(٥) الطريحي: مجمع البحرين ٢٣٥/٣- ٢٣٦.

بن الحسن الجعفري والشيخ النجاشي[1]. ومن المحتمل ان تعليمه كان في البدء في بلاد الديلم ، واكمله في مدينة بغداد ، وعند حصوله على المرتبة العالية والدرجة الرفيعة في الفقه والعلوم الاسلامية الاخرى ، اعتمد عليه السيد المرتضى بنشر علوم آل البيت عليهم السلام في البلاد الشامية ، وهذا مما يعطي مؤشراً على رسوخ فكرة المرجعية الدينية العليا عند الامامية، وإرسال الوكلاء الى المناطق الاخرى ، وكان الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) ومن بعده السيد المرتضى (ت٤٣٦هـ) وأخيراً الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، إذ توسعت في أيامهم دائرة الفكر الامامي ، وانتشاره في اقطار العالم الاسلامي.

---

(١) الطهراني: طبقات اعلام الشيعة/القرن الخامس ص٨٦.

اعلام وكلاء المرجعية

ابو الصلاح الحلبي وكيل المرجعية في البلاد الشامية

تلقى الشيخ ابو الصلاح تقي الدين بن نجم بن عبيد الله الحلبي (٣٤٧-٤٤٧هـ) علومه بمدينة بغداد، وقد تتلمذ على الشريف السيد المرتضى، وعلى الشيخ الطوسي، وقد وثقه العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)[١] وقد وصف بالشيخ العلم العين[٢] وقد التحق به لقب ((التقي)) للدلالة على جلالة قدره، وعلو منزلته في العلم والدين ويبدو أن الشيخ أبا الصلاح الحلبي قد تلقى علومه الاولى في مدينة حلب، التي ولد فيها، ونشأ في اجوائها، وهاجر إلى مدينة بغداد التي كانت مقصدا لرجال العلم والفكر، ودرس في معاهدها مختلف العلوم العقلية والنقلية وقد اكمل تحصيله العلمي على شيخي المدرسة البغدادية وهما: السيد المرتضى، والشيخ الطوسي.

وقد أشار الشيخ الطوسي الى تلمذته هذه بقوله: ((قرأ علينا وعلى المرتضى))[٣] ومن الغرابة في الأمر ان جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) قد جعله من فقهاء الشافعية[٤] في الوقت الذي تجمع فيه المصادر على انه من كبار علماء الأمامية، وقد صنف كتبا في فقه آل البيت عليهم السلام، وقد وصفتها المصادر بأنها حسنة، ويقول الشيخ ابن داود الحلي: انه تتلمذ على

---

(١) العلامة الحلي: الرجال ص(٢٨).

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ٢٢٨/٦.

(٣) الطوسي: الرجال ص(٤٥٧).

(٤) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص(٤١٧).

السيد المرتضى والشيخ الطوسي، فأصبح خليفتهما في تلك المناطق، ويقول الكاظمي ((وهو من اساطين تلامذة المرتضى))[1] ويبدو أن أبا الصلاح قد شارك الشيخ الطوسي في التلمذة عند السيد المرتضى حتى وفاته عام (٤٣٦هـ) وأكمل دراسته بعد ذلك على الشيخ الطوسي ثم غادر بغداد الى مدينة حلب حتى وفاته فيها عام (٤٤٧هـ)، وهي السنة الأخيرة من بقاء الشيخ الطوسي بمدينة بغداد، إذا أنه غادرها الى مدينة النجف الاشرف عام (٤٤٨هـ)، وكانت مدة الحكم البويهي في العراق (٣٣٤-٤٤٧هـ) التي عاش في ظلها الفقيه أبو الصلاح الحلبي تتصف بالحرية الفكرية، والحرية القلمية، وكانت هذه الحريات قبل ذلك مزمومة مكمومة، وعند ذلك ظهرت الأقلام الحرة، وصرحت النفوس الكاتمة، وتنفست الصدور المحرجة، واعترف بسلطان العقل، فنفذ حكم المعقول في المنقول، وهذا هو السر في كثرة من نبغ في العلوم والآداب في ذلك العصر من أمثال: الشيخ ابن قولوية أبو القاسم جعفر نب محمد (ت ٣٦٨هـ)، والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١هـ)، والشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) والشريف الرضي ابو الحسن محمد بن الحسين (ت٤٠٦هـ) وغيرهم من اعلام الامامية، وكان الشيخ ابو الصلاح الحلبي قد وقف على الحركة العلمية والفكرية في بغداد في النصف الاول من القرن الخامس الهجري، وقد تتلمذ على عدد من علماء بغداد وأختص بالسيد المرتضى، والشيخ الطوسي وقد أشاد بعلميته استاذه الشيخ سلار بن عبد

---

(١) الكاظمي: مقابس الانوار ص(١١).

العزيز الذي كان احد شيوخ الامامية المشار اليه في مسائل الخلاف بقوله: (اذا استفتي يقول: عندكم التقي)[1] وتدل كتب ابي الصلاح الحلبي على موقعه المتقدم في الفقه ويقول السيد الخوانساري: (وقد رأيت كتاب الكافي في الفقه على ترتيب ابوابه، وهو كتاب حسن ومعروف بين اصحابنا معول عليه عندهم يقرب من عشرين الف بيت)[2] وكتاب (الكافي) في الفقه للشيخ الحلبي، ليست له علاقة بكتاب (الكافي) للشيخ الكليني، المتوفى عام (٣٢٩هـ)، ويقول الشيخ منتجب الدين: ان كتاب الكافي للشيخ الحلبي قد أخبرنا غير واحد من الثقات عن الشيخ المفيد عبد الرحمن بن احمد النيسابوري الخزاعي عنه[3] وكان فقهاء الامامية ينقلون عن كتاب (الكافي) للشيخ الحلبي كثيرا في كتبهم الفقهية[4] وكان كتاب (البداية) هو الاخر من كتب الشيخ الحلبي في الفقه وله ايضا كتاب (شرح الذخيرة) لاستاذه السيد المرتضى[5] واشارت مصادر الامامية الى كتاب ((تقريب المعارف)) وكتاب ((البرهان على ثبوت الايمان)) وهما من الكتب العقائدية الكلامية، وقد وقف الشيخ الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) على كتاب (تقريب المعارف) ووصفه بانه (حسن جيد) وقد نقل عنه الشيخ المجلسي في

---

(١) الكاظمي: مقابس الانوار ص(١١).

(٢) الخوانساري: روضات الجنات ٢/١١٣.

(٣) منتجب الدين: الفهرست (من كتاب بحار الانوار) ٢١٤/١٠٥.

(٤) الكاشاني: لباب الألقاب ص(٢٥).

(٥) ابن شهر آشوب: معالم العلماء ص(٢٩).

كتاب (بحار الانوار)[1] ويقول الشيخ عباس القمي: ان كتاب (البرهان على ثبوت الايمان) قد اورده الشيخ ابو محمد الديلمي بتمامه في اعلام الدين[2] وقد تتلمذ على الشيخ ابي الصلاح الحلبي جمع من الاعلام من امثال: الشيخ ثابت بن احمد بن عبد الوهاب الحلبي، الفقيه الصالح، والشيخ القاضي ابن البراج عبد العزيز بن نحرير[3] ويقول السيد الخوانساري ان السيد الامام الشريف ابا الرضا الراوندي، يروي عن ابي الصلاح الحلبي عن الشيخ الطوسي.

ويبدو ان الفكر الامامي في القرن الخامس الهجري، الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي قد اتسعت قاعدته، فأمتد الى بلاد الشام ومصر، فقد اشارت المصادر الى الشيخ ابي محمد الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهاني، الذي كان فقيها ثقة، بمدينة القاهرة، وقد قرأ على الشيخ الطوسي والشيخ ابن البراج[4] وكان الشيخ الطوسي ينوب عنه في البلاد الشامية الشيخ ابو الصلاح الحلبي (ت ٤٤٧هـ) والشيخ ابن البراج (ت ٤٨١هـ)[5] ويبدو ان ابن البراج قد جمعت له النيابة عن المرجعية في مصر والشام، بعد وفاة استاذه ابي الصلاح الحلبي.

---

(١) القمي: الكنى والألقاب ٩٧/١.

(٢) القمي: سفينة البحار ٤٢/٢.

(٣) منتجب الدين: الفهرست (البحار) ٢١٤/١٠٥.

(٤) الحر العاملي: امل الأمل ٦٧/٢.

(٥) الأفندي: رياض العلماء ٣/ورقة (٧٨-٨٠).

تتلمذ الشيخ ابو الصلاح تقي الدين بن نجم الحلبي (ت٤٤٧هـ) على السيد المرتضى والشيخ الطوسي بمدينة بغداد، ولعلو مكانته العلمية ، ومنزلته الفقهية ، أشار اليه الشيخ الطوسي بقوله : ((تقي بن نجم الدين ثقة له كتب ، قرأ علينا وعلى المرتضى))[١] . ويقول السيد الخوانساري : ان هذا القول دليل على غاية جلالة الرجل ، وعلو منزلته في العلم والدين[٢] . وله دلالة ايضا على عظم قدره[٣] . وهذا الموقع العلمي قد اهله تولي مهام الامامية في حلب في عهد استاذه السيد المرتضى ، فأصبح خليفته في البلاد الحلبية [٤]. ويبدو ان مدينة حلب التي ولد فيها عام ٣٤٧هـ . وقد عاد اليها بعد حصوله على الوكالة اصبحت مقره الاخير حتى وفاته فيها عام ٤٤٧هـ[٥]. وكانت تصانيفه الحسنة التي اشارت اليها المصادر ومنها كتاب ((الكافي في الفقه))[٦] . فرضت وجودها على عصره ، وقد روى عنه الفقيه ابو القاسم عبد العزيز بن نحرير المعروف بابن البراج (ت٤٨١هـ)[٧] . ويبدو ان كتاب الشيخ ابي الصلاح الحلبي وجهود شيوخه في بغداد ،

---

(١) الطوسي : الر جال ص٤٥٧ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ص١٢٨ .

(٣) الافندي : رياض العلماء ٥/ ورقة ٢١٤ .

(٤) البروجردي : نخبة المقال ١/ ٥٩ .

(٥) الكنتوري : كشف الحجب ص١٣٦ ، الأمين : أعيان الشيعة ١٤/ ٢٨٠ .

(٦) منتجب الدين : الفهرست (بحار الأنوار) ٤/٢٥ ، العلامة الحلي : الرجال ص٢٨.

(٧) القمي : الكنى والالقاب ٢١٩/١ .

جعلته فقيهاً لامعاً ، ومجتهداً بارزاً في عصره الذي ضم اعلاماً بارزين في الفكر والامامي.

ابو يعلى محمد بن الحسن الجعفري

تبوأ السيد الشريف ابو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري الطالبي (ت٤٦٣هـ) مكانة علمية مرموقة في المدرسة البغدادية ، وقد عبر عنه المؤرخ ابن الجوزي بفقيه الامامية[١] . وقد احتل منصب الخلافة عن استاذه الشيخ المفيد في بغداد . وقد جلس مجلسه ، ويقول الافندي : انه متكلم فقيه ، قيم بالأمرين جميعاً[٢] . وقد توثقت صلته بالشيخ المفيد عند زواجه من ابنته ، وبقي ابو يعلى الجعفري يحتل المكانة البارزة في المدرسة البغدادية بعد وفاة شيخه الشيخ المفيد عام ٤١٣ هـ ، على الرغم من وصول الزعامة الدينية للسيد المرتضى ، ومن الغرابة ما ذكره البغدادي من ان ابا يعلى الجعفري كان يتفقه على المذهب الشافعي[٣] . وهذا الوهم نفسه قد وقع فيه السبكي في كتابه ((طبقات الشافعية)) عند حديثه عن الشيخ الطوسي انه شافعي المذهب ، وفي الحقيقة ان بعض اعلام الامامية في بغداد قد تتلمذوا على اعلام شافعيين وغيرهم من المذاهب الاسلامية ، وهذا مما جعلهم يبدعون في كتابة الفقه المقارن ، ويقول ابن حجر : ان الشيخ ابا يعلى كان من كبار علماء الشيعة ، وقد لازم الشيخ المفيد ، وفاق في معرفة الاصلين والفقه على مذهب الامامية[٤] . وقد روى عنه الشيخ ابو الحسن

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم ٢٥٥/٨ .

(٢) الافندي : رياض العلماء .

(٣) البغدادي : هدية العارفين ٧٣/٢ .

(٤) ابن حجر : لسان الميزان ٢/ ٣٦٠ .

سليمان بن الحسن الصهرشتي ، اكبر تلاميذ السيد المرتضى ، والجالس في مجلس درسه[1] . وكان الشيخ الصهرشتي قد تتلمذ على اعلام عصره في مدينة بغداد كالسيد المرتضى ، والشيخ النجاشي ، والشيخ الطوسي ، وابن المفضل الشيباني ، وابي يعلى الجعفري[2] . واشارت قائمة مؤلفات السيد الجعفري الى عمق فقاهته ، وبراعته في علوم التفسير والحديث والكلام ، ويقول ابن حجر : انه كان عارفاً بالقراءات ، وان الرسائل الواردة اليه من مدن متباعدة والاجابة عليها ، لها دلالة على اتساع معارفه[3] . فانه اجاب على الرسائل الواردة اليه من صيدا والموصل وكربلاء وطرابلس وان بعض كتبه ردود على الغلاة وغيرهم من اصحاب المذاهب الفاسدة ، وانه اعطى للعقائد مساحة عريضة في مؤلفاته ، فكتب في التوحيد والنبوة والامامة ، وكتب في المسائل الفقهية المختلف عليها كأوقات الصلاة والمسح على الرجلين ، وايمان اباء النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وغيرها ، ومن المحتمل ان كتبه (اخبار المختار) و (الامالي في الحديث) و (النكت في الامامة) قد ازال الغموض عن جوانب عديدة ، مازالت مواضع حديث حتى اليوم ، ومن المؤسف ان مؤلفات السيد الجعفري لم تصلنا ، واصبحت في عداد الكتب المفقودة ، سوى ما اورده الشيخ النجاشي في

---

(١) ألكاظمي : مقابس الأنوار ص١٢ ، ألقمي : ألكنى والألقاب ٢/ ٤٠٠ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ٧/١ .

(٣) ابن حجر : لسان الميزان ٣٦٠/٢ .

رجاله ، والشيخ ابن شهر آشوب ، في معالم العلماء ، والمعنيون في كتابة التراجم والرجال .

القاضي سعد الدين ابن البراج

تولى القاضي سعد الدين ابو القاسم عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج الطرابلسي منصب الوكالة العلمية في بلاد الشام ، وقد لقب (عز الدين وسعد الدين وعز المؤمنين)[١] . وكانت نشأته الاولى في مصر ، فقد ولد هناك ، ومن ثم هاجر الى طرابلس ، وعاصر امراء بني عمار ، وقضى شطراً من حياته في بغداد ويبدو ان علميته الواسعة فرضت وجوده على السلطة الحاكمة والمجتمع ، وقد حاول بعضهم ان يلتقي ابن البراج بفقيه مالكي المذهب ، ومناظرته في مسألة تحريم الفقاع[٢] . وقد اهلته ثقافته الفقهية الى المناظرات في المسائل المختلف عليها ، فقد اشارت مصادر الامامية الى انه (فقيه الشيعة) و (وجه الاصحاب) و (الفقيه المشهور) ونحو ذلك من الالقاب التي تؤكد مكانته في الفكر الامامي[٣] . ووصفه استاذه الشيخ الطوسي بالشيخ الفاضل ، لما استجاب لطلبه بتأليف كتاب (الجمل والعقود) بقوله : ((اني مجيب ما سأل الشيخ الفاضل اطال الله بقاءه من املاء مختصر يشتمل على ذكر كتب العبادات ، وذكر عقود ابوابها))[٤] . وورد في نسخه مخطوطة من كتاب الجمل والعقود ، المحفوظة في مكتبة السيد محمد المشكاة في مدينة طهران ، تاريخ كتابتها عام ٩٢٧ هـ

---

(١) الحر العاملي : امل الامل ١٥٢/٢ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٣٣١.

(٢) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ١٨٣/١٢ ، الامين : اعيان الشيعة ٤٣/٣٨ .

(٣) بحر العلوم : الرجال ٦٧/٤ ، التفريشي : نقد الرجال ص١٨٩ .

(٤) الطهراني : الذريعة ١٤٥/٥ .

ان المقصود بالشيخ الفاضل هو القاضي عبد العزيز بن نحرير بن البراج ، قاضي طرابلس ، ونقل ابن حجر عن المؤرخ ابن عساكر قوله : ((سمعت من يحكي ان ابن البراج من متكلمي الرافضة))[1] . وقد غلب على ابن البراج لقب ((القاضي)) لأنه تولى منصب القضاء في طرابلس اكثر من عشرين سنة ، وهو المراد بالقاضي على الاطلاق في السنة الفقهاء[2] . ويقول الشيخ الافندي : ((يعرف تارة بالقاضي سيما في كتب الشهيد ، وتارة بالقاضي ابن البراج ايضاً ، والأشهر في اختيار القاضي سعد الدين ابن البراج)) ويقول : ((وقد وجدت منقولاً عن خط الشيخ البهائي عن خط الشهيد قدس سره ان ابن البراج تولى قضاء طرابلس عشرين سنة او ثلاثين سنة))[3] . واضيف لابن البراج منصب الوكالة عن شيخ الطائفة ابي جعفر الطوسي ، فأصبح خليفته في البلاد الشامية ،وبذلك قد احتل موقعاً بارزاً في المجتمع الشامي ، وكان قد استمد علوه عن شيخيه (السيد المرتضى، والشيخ الطوسي) ويبدو ان تلمذته على السيد المرتضى في بغداد قد اكسبته هذه المكانة العلمية ، ويقول التستري :انه هو من غلمان المرتضى، وكان خصيصاً بالشيخ الطوسي ، وتتلمذ عليه ، وصار خليفته في البلاد الشامية وروى عنه[4] . ويقول السيد الخوانساري : بان ابن البراج قد

(١) ابن حجر : لسان الميزان ١٢/٤ .

(٢) العاملي : الكشكول ٢٦٩/١ ، القمي : الكنى والالقاب ٢١٩/١ .

(٣) الافندي : رياض العلماء ٣٧٨ – ٧٩ .

(٤) ألتستري : مقابس الأنوار ص١١ .

تتلمذ على السيد المرتضى حتى شهور عام ٤٢٩ هـ ، وقد اكمل قراءته على الشيخ الطوسي[١] . وكان السيد المرتضى قد اجرى للشيخ الطوسي راتباً شهرياً مقداره اثنى عشر ديناراً ، وللقاضي ابن البراج ثمانية دنانير[٢] . وبعد وفاة السيد المرتضى اصبح ابن البراج خصيصاً بالشيخ الطوسي ، فروى عنه وعن الشيخ محمد بن عثمان الكراجكي ، وتقي الدين بن النجم الحلبي[٣] . وكان يروي عن هؤلاء الاعلام بالقراءة والسماع والاجازة وقد شرح ابن البراج بعض كتب شيخيه (السيد المرتضى والشيخ الطوسي)وكتب كتبا ورسائل في الاصول والفروع[٤] . منها : الاشراف ، والجوهر ، والمهذب ، والمعتمد ، والروضة ، والمقرب ، وعماد المحتاج في مناسك الحاج ، والكامل ، والموجز في الفقه وكتاب في علم الكلام ، والجمل والعقود في العبادات ، وعند تعداد الشيخ الحر العاملي لكتب ابن البراج قال : ((اخبرنا بها الوالد عن والده عنه))[٥] . وان شرح كتاب ((جمل العلم والعمل)) للسيد المرتضى سماه ابن البراج بالمعارف وهو في الفروع[٦] .

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٢٠٣/٤ .
(٢) العاملي : الكشكول ٢٦٩/١ .
(٣) الخوانساري : روضات الجنات ٢٠٤/٤ .
(٤) التفريشي : نقد الرجال ص١٨٩ .
(٥) الحر العاملي : امل الأمل ١٥٢/٢ .
(٦) الكنتوري : كشف الحجب ص٥٧٣ .

وقد اورد ابن شهر اشوب في ((معالم العلماء)) كتبا اخرى لابن البراج[1] .

وقد تتلمذ على ابن البراج عدد من فقهاء القرن الخامس الهجري منهم: الشيخ حسكا والد الشيخ منتجب الدين بن بابويه ، والشيخ ابو الوفاء عبد الجبار بن علي المقرئ الرازي ، فقيه الأصحاب بالرأي ، وهو احد تلاميذ الشيخ الطوسي ، وقد قرأ عليه جميع تصانيفه[2] . والشيخ ابو جعفر محمد بن علي الحلبي ، الذي كان فقيهاً صالحاً ، وقد روى عن الشيخ الطوسي وابن البراج ، وقرأ عليه الامام ضياء الدين ابو الرضا فضل الله الراوندي ، والامام قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي[3] . وأبو محمد عبد الرحمن بن احمد بن الحسين النياسابوري الخزاعي ، صاحب كتاب ((سفينة النجاة)) في مناقب اهل البيت عليهم السلام ، وغيره من كتب التاريخ والاخبار والاجازات، وكان الشيخ النيسابوري قد تتلمذ على الشيخ الطوسي وابن البراج وسلار والكراجكي[4] . وقرأ الشيخ ابو القاسم عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه القمي على الاعلام المذكورين ، وكان فقيها ثقة[5] . وتتلمذ ابو الفضل اسعد بن احمد بن ابي روح القاضي الطرابلسي ، على الشيخ ابن البراج ، وكان عالماً فاضلاً ورأس الشيعة في

---

(١) ابن شهر اشوب : معالم العلماء ص٨٠ .

(٢) الحر العاملي : امل الأمل ١٤٣/٢ ، بحر العلوم : الرجال ٤/ ٦٧ .

(٣) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة ، القرن الخامس ١٧٠ .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات ٣١٥/٤ ، القمي : سفينة البحار ٣٩١/٢ ، الامين : اعيان الشيعة ٩٣/٤٨.

(٥) الخوانساري : روضات الجنات ٣١١/٢ .

بلاد الشام ، وقد جلس بعد استاذه ابن البراج للتدريس ، وكتب في الفقه والكلام كتباً عديدة ، ويقول ابن شاكر الكتبي : ((كان عظيم الصلاة والتهجد لا ينام الابعض الليل))(١) . وكان الشيخ ابو علي الحسين بن احمد بن غالب الحلبي ، المتوفى في مدينة الحلة عام ٤٧٣ هـ ، وقد تتلمذ على ابن البراج ، وولي القضاء ثم تنازل عنه ، ويقول الشيخ الكراجكي : ((لقيته فرايت رجلاً عظيم التأله جاور الاخرة))(٢) . وروى القاضي عبد العزيز بن ابي كامل ن وابو محمد الحسن بن عبد العزيز بن الحسن الجبهاني، العدل بالقاهرة عن ابن البراج(٣) .

وقد اضاف القاضي ابن البراج وتلاميذه الى الفكر الامامي في القرن الخامس الهجري ، اضافات معرفية جديدة ، كما تشير مؤلفاته ، ومؤلفات تلاميذه الى ذلك، وقد تلاحقت المدرسة الشامية ، مع مدرستي بغداد والنجف الاشرف في ابراز الفكر الامامي ، وايصاله الى مساحة اوسع من الخارطة الاسلامية .

---

(١) ابن شاكر الكتبي : عيون التواريخ ١٨٣/١٢ .

(٢) ابن حجر : لسان الميزان ٢٦٦/٢ .

(٣) منتجب الدين : الفهرست (بحار الانوار) ٤/٢٥ .

القاضي ابو الفتح محمد بن علي الكراجكي

يعد الشيخ ابو الفتح محمد بن علي الكراجكي[1] . من اعلام المدرسة البغدادية المتقدمين ، وقد نسب الى الكرخ[2] . لسكناه فيها ، لانها كانت مرتكز الامامية في القرن الخامس الهجري ، فتتلمذ على الشيخ المفيد ، والسيد المرتضى ، والشيخ الطوسي[3] . وكان يكرر اسم استاذه الشيخ المفيد في كتابه ((كنز الفوائد الجامع من جميل الفرائد))، وقد تسلق الشيخ الكراجكي قمة العلم حتى قيل عنه ((فقيه الامامية اوراس الامامية))[4] . وقد اشار اليه الشهيد الاول في مؤلفاته بلفظ العلامة[5] . ويقول السيد حسن الصدر : انه شيخ الفقهاء والمتكلمين ، ووحيد عصره ، وفريد دهره في الفقه والكلام والحكمة ، والرياضي باقسامه ، مصنف في الكل ، مكثر في التصنيف ، متقن فيه[6]. وان قائمة مؤلفاته تؤكد تعداد مواهبه ، وعمق ثقافته في الفقه الحديث واللغة والطب والفلك وغيرها ، ويقول الحر

(١) كراجك : قرية على باب واسط ، ينظر البغدادي : مراصد الاطلاع ١١٥٣/٣ ، ابن الاثير : اللباب ٣٢/٣ ، القمي : الكنى والالقاب ٩٤/٢ .

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ٧٠/٣ .

(٣) الافندي : رياض العلماء ٥/ ورقة ١٧٦ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٣٣٧ ، بحر العلوم : الرجال ٣٠٢/٣ ، المامقاني : تنقيح المقال ١٥٩/٣ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ٧٠/٣ ، البغدادي : هدية العارفين ٧٠/٢ .

(٥) النوري : مستدرك الوسائل ٤٥٧/٣ .

(٦) الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٨٦ .

ألعاملي : انه عالم فاضل ، ومتكلم فقيه ، ومحدث ، وثقة جليل القدر[1] .

ولعل الشيء الذي يتميز به القاضي الكراجكي عن شيوخ الامامية في عصره ، هو تجواله في الاقطار الاسلامية ، واستقراره في بعض المدن حتى نسب اليها ، ومن المحتمل انه كان يمثل شيوخه في تلك المناطق ، فيقول السيد الخوانساري : كان تجواله يعود الى تعليم الشيعة الامامية ، اما بإرادة نفسه ، او بإشارة من غيره[2]. ونحن نميل انه كان يمثل مرجعية الامامية بمدينة بغداد في رحلاته الواسعة ، وفي المحطات التي نزل فيها وهي كالاتي:

١-الرملة : قيل عن الشيخ الكراجكي انه ((نزيل الرملة)) او الرملة البيضاء ، كما وصف في بعض الاجازات العلمية[3] . وقد روى في مدينة الرملة عن الشريف ابي منصور احمد بن حمزة العريض ، وابي سعيد احمد بن محمد بن احمد الماليني الهروي ، وعن القاضي اسد بن ابراهيم بن كليب عام ٤١٠ هـ[4] . وهذا التاريخ يشير الى ان استاذه في بغداد ، مرجع الامامية الشيخ المفيد كان على قيد الحياة ومن المحتمل انه اوعزله بهذا المهمة التجوالية.

٢- القاهرة : لقب القاضي الكراجكي بالخيمي لسكناه الخيم في البلاد المصرية ، ويقول السيد الخوانساري : ان معظم نزوله وتوطنه كان في الديار

(١) الحر العاملي : امل الأمل ٢٨٧/٢ .
(٢) الخوانساري : روضات الجنات ٢٦٥/٦ .
(٣) البغدادي : هدية العارفين ٧٠/٢ ، السماهيجي : الاجازة ، رقة ٤١ب .
(٤) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ،ص١٧٧ .

المصرية ومن قاعدتها التي هي الان مدينة القاهرة[1] . وقد روى فيها عن ابي الرجاء (الرجا) محمد بن علي بن ابي طالب البلدي وعن الشريف ابي الحسن طاهر بن موسى بن جعفر[2] . والف في القاهرة كتاب (العامرية) بامر الامير قوام الدولة .

٣-طرابلس : روى الشيخ الكراجكي في مدينة طرابلس عن ابي الحسن علي بن الحسن بن مندة عام ٤٣٦هـ ، عن شيخه الحسن بن يعقوب البزاز ، رواية (الطير المشوي) عام ٣٧٠هـ[3] .

٤-حلب : روى الكراجكي في مدينة حلب عن شيخه ابي العباس احمد بن اسماعيل بن غسان[4] .

٥- طبرية : كتب الشيخ الكراجكي في مدينة طبرية بعض مصنفاته[5] . ويبدو انه اطال البقاء فيها .

٦- دمشق : لم تشر المصادر الى نشاط الشيخ الكراجكي العلمية في دمشق .

---

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٢١٣/٦ ، عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة ص٤٤٣ ، الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٨٧ .

(٢) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ص١١٩ .

(٤)الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٧ .

(٥) الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص٣٨٧ .

٧-صيدا : لم نجد في المصادر اشارة عن شيوخ الكراجكي في صيدا ومن المحتمل ان الشيخ الكراجكي كان في مدن صيدا وصور ودمشق داعياً للعقيدة واستاذاً للفكر .

٨-صور : كانت مدينة صور المحطة الاخيرة للشيخ الكراجكي ، وانه قد توفي فيها عام ٤٤٩هـ[1] .

٩- المسجد الحرام : قرأ الشيخ الكراجكي في المسجد الحرام على الشيخ ابي الحسن محمد بن احمد بن شاذان القمي ، عام ٤١٢هـ كتاب (المائة منقبة) وقد اثنى الكراجكي على شيخه هذا في كتابه (كنز الفوائد) وللشيخ القمي كتاب (بستان الكرام) وكتاب (إيضاح دفائن النواصب) [2].

ويبدو من رحلات الشيخ الكراجكي في البلدان المصرية والشامية والحجازية انه كان تلميذاً متلقيا علومه عن شيوخ هذه البلدان ، وفي الوقت نفسة كان معلماً وداعياً للفكر الامامي ، بعد ان تتلمذ على اعلام الامامية الكبار بمدينة بغداد ، وهم :

١-الشيخ المفيد : ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت٤١٣هـ) تتلمذ الشيخ ابو الفتح الكراجكي على الامام ابي عبد الله محمد بن محمد

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣٠/٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٢٨٣/٣.

(٢) الطهراني : الذريعة ٤٩٤/٢ ، ١٠٧/٣ ، طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٥٠ ، ص١٧٧ ، الخوانساري : روضات الجنات ٢١٠/٦ .

بن النعمان العكبري البغدادي ، شيخ الامامية في عصره ، ونعتته المصادر بالامام الاعظم وشيخ الاسلام[1] . وقد روى عنه الشيخ الكراجكي في كتابه (كنز الفوائد) ، وذلك بطريق الاجازة[2] . ويقول الشيخ المامقاني : ان اشهر اسانيد الكراجكي عن الشيخ المفيد ، وقد اكثر الرواية عنه[3] .

٢- الشريف المرتضى : ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت٤٣٦هـ) يعد الشيخ الكراجكي من اكابر تلاميذ الشريف المرتضى ،وقد قرأ عليه تصانيفه[4] .ويقول الشيخ الطهراني : انه كان يرجع الى استاذه السيد المرتضى في كثير من المشكلات[5] . حتى انه اصبح من اكابر اصحابه[6] . وقد شرح الشيخ الكراجكي كتاب السيد المرتضى (جمل العلم والعمل) ومن المرجح انه كان يقصد دار استاذه السيد المرتضى التي كانت ((دار علم ومناظرة)) ، ومكتبته الكبيرة التي ضمت ثمانين الف مجلد[7] .

---

(١) الشهيد الاول : كتاب الأربعين حديثاً ص١٨٤ ، ص٢٠٥ .

(٢) بحر العلوم : الرجال ٣٠٢/٣ ، التستري : مقابس الانوار ص١٢ ، الخوانساري : روضات الجنات ٢١٠/٦ .

(٣) المامقاني : تنقيح المقال ٣/ رقم الترجمة ١١٣٤ .

(٤) الكاشاني : لباب الالقاب ص٢ ، التستري : مقابس الانوار ص١٢ ، الافندي : رياض العلماء ٣٣٨/٣ .

(٥) الطهراني طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٧ .

(٦) اليافعي : مرآة الجنان ٧٠/٣ .

(٧) ابن عنبة : عمدة الطالب ص١٩٥ ، ١٧٧ .

٣-الشيخ الطوسي : ابو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) قرأ الشيخ الكراجكي على شيخ الطائفة ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي في مدينة بغداد ، وقد اشار اليه في كتابه ((كنز الفوائد)) كما كانت له الرواية عن مشايخ الشيخ الطوسي واسانيدة ، كما في بدايات الاسانيد[1] . ويبدوان تلمذة الشيخ الكراجكي على الشيخ الطوسي كانت بعد وفاة الشيخ المفيد عام ٤١٣هـ ، كما تشير النصوص الى نشاط الشيخ الكراجكي العلمي في البلاد الشامية والمصرية منذ عام ٤١٠هـ ، وهذا يعني ان المدة الزمنية التي تتلمذ فيها الشيخ الكراجكي على الشيخ الطوسي لا تزيد عن سنتين (٤٠٨-٤١٠هـ) لان الشيخ الطوسي دخل مدينة بغداد ، وتتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى منذ عام ٤٠٨هـ .

وقد اوضحت اسانيد كتاب (كنز الفوائد) عن شيوخ اخرين للشيخ الكراجكي وهم :[2]

١- ابو الحسن محمد بن علي بن صخر (سنجر الازدي البصري).

٢- ابو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد الشيباني .

٣- ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين الحسيني.

---

(١) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٧ .

(٢) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص٣٣ ، ص١٦٩ ، ص١٧٤ ، ص١٧٧ ، ص١٧٩ ، ابن حجر : لسان الميزان : ٣٠٠/٥ ، الخوانساري : روضات الجنات ٢١١/٦ ، التستري : مقابس الانوار ص١٢ ، الكاشاني : لباب الالقاب ص١٣٠.

٤- ابو العباس اسماعيل بن عنان .

٥- ابو محمد بن الحسن العين زربي .

٦- ابو عبد الله الحسين بن عبيد الله الواسطي .

٧- ابو يعلى سلار بن عبد العزيز الدليمي.

٨- ابو القاسم ميمون بن حمزة الحسيني .

٩- الحسين بن محمد بن علي الصيرفي البغدادي .

ويقول السيد حسن الصدر : ((استقصيت مشايخه في كتاب بغية الوعاة في طبقات مشايخ الاجازات))[١] . وقد كان الشيخ الكراجكي قد اشار الى شيوخه في بغداد وغيرها من الامصار الاسلامية في كتابه (كنز الفوائد) ، واحصى العلامة الشيخ اغابزرك الطهراني شيوخه في كتابه ((طبقات اعلام الشيعة)) في القرنين الرابع والخامس الهجريين .

وكان بعض تلاميذ الشيخ الكراجكي قد تتلمذوا عليه في مدينة بغداد وتتلمذ بعضهم على الشريفين الرضي والمرتضى وسلار بن عبد العزيز وابن البراج والشيخ الطوسي[٢] . ويبدو ان بعضهم قد تتلمذ عليه في مدينة طرابلس . بعد عودته من بغداد ومنهم الشيخ ابوعبد الله الحسين هبة الله الطرابلسي صاحب كتاب (معدن الجواهر)[٣] . والقاضي عبد العزيز بن

---

(١) الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ص٥٤ .

(٢) الطهراني : الذريعة ٣١١/٢ ، الخوانساري : روضات الجنات ٢١١/٦ .

(٣) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٩ .

البراج الطرابلسي الشامي[1] . وكان ولده موسى بن محمد الكراجكي قد الف له كتبه : روضة العابدين والتعريف بوجوب حق الوالدين ، وكتاب التهذيب[2] .

لقد ترك العلامة الكبير ابو الفتح محمد بن علي الكراجكي كتباً في العلوم والفنون والادب والتاريخ وحياة ال البيت عليهم السلام ففي الفقه والاصول ، كتب عشرة كتب ، ويقول السيد الصدر : انه صنف في الفقه والحديث (المطولات)[3] . وقد وصف بالشيخ الفقيه والعالم الثقه ، فقيه الاصحاب[4] . وان كتبه الفقهية والاصولية تؤكد هذه الاوصاف وهي :[5]

١- الاستطراف فيما ورد في الفقه في الانصاف .

٢- الاقناع عند تعذر الاجماع .

٣- الايضاح عن احكام النكاح .

٤- البستان في الفقه .

٥- ايضاح السبيل الى علم اوقات الليل .

---

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٦/٢١١ .

(٢) الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٩٦ – ١٩٧ .

(٣) الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ص٥٤ .

(٤) بحر العلوم : الرجال ٣/٣٠٢ ، ٤/٦٨ .

(٥) الطهراني : الذريعة ٢/٢٧ ، ٢٧٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ ، ٣/١٠٥ ، ٥/١٨٠ ، ١٥/٢٠٧ ، الحر العاملي : امل الأمل ٢/٢٨٧ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٣٣٧ ، الكنتوري: كشف الحجب ص٥٦٤ .

٦- جواب الرسالة الخوارزمية في ابطال العدد في شهر رمضان .

٧- رسالة في فضل صلاة الظهر من يوم الجمعة .

٨- العامرية ، جزء في جواب مسالة الغلات .

٩- المنهاج في معرفة مناسك الحج .

١٠- معونة الفارض في استخراج سهام الفرائض .

وكتب في حياة الائمة عليهم السلام ، والسيرة النبوية ، والحديث الشريف والاخبار ، ثلاثة عشر كتابا هي :(١)

١- الانتصار او الاستنصار في النص على الائمة الاطهار .

٢- الاعلام بحقيقة اسلام امير المؤمنين عليه السلام .

٣- الانساب المشجرة (من سلالة الحسن والحسين عليهم السلام) .

٤- الانتقام ممن غدر بامير المؤمنين عليه السلام .

٥- الاصول في مذهب ال الرسول .

٦- البرهان على طول عمر صاحب الزمان .

٧- تفضيل امير المؤمنين .

---

(١) الحر العاملي : امل الأمل ٢٨٧/٢ ، البحراني : لؤلؤة البحرين ص٣٣٧ – ٣٣٨، الكنتوري : كشف الحجب ص٤٢ – ص٣٢٢ ، الطهراني : طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٧٩ ، الذريعة ٣٦٣/١ ، ١٧٤/٢ ، ٢٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٨٧ ، ١٤/٣، ٩٢ ، ٣٥٩/٤ ، ٣٢٨/١٥ .

٨- العلوية في فضل امير المؤمنين عليه السلام على جميع البرية سوى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) .

٩- الكر والفر في الامامة .

١٠- الإبانة عن المماثلة في الاستبدال بين طريق النبوة والامامة .

١١- الباهر في الاخبار .

١٢-الاختيار من الاخبار .

١٣- الفهرست ، وقد نقل عنه السيد ابن طاووس في كتابه (الدروع الواقية) .

وقد جمعت هذه الكتب بين علم الكلام والعقائد والحديث والتاريخ والرجال ، ويبدو ان القرن الخامس الهجري كان مشجعا على التأليف في هذه المواضيع ، وشيوع مجالس النظر في المجتمع البغدادي ، وقد حاول علماء الامامية ، مناقشة علماء المذاهب والفرق وفي مقدمتهم المعتزلة والاشاعرة والصوفية وبخاصة القضايا المتعلقة بالامامة والعصمة ، فيقول السيد الصدر : ان الكراجكي هو شيخ المتكلمين والماهر في الحكمة بأقسامها[١] . وقد كتب الكتب الكلامية والفلسفية الاتية :[٢]

---

(١) الصدر : الشيعة وفنون الاسلام ص٥٤ .

(٢) الكنتوري : كشف الحجب ص٤٣ ، ص٥٣٥ ، البغدادي : ايضاح المكنون ٢٠٥/١، الخوانساري : روضات الجنات ٢١٢/٦ ، الطهراني : الذريعة ٤٦/١ ، ٢١٠/٤، ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ١٨٠/٥ ، ٩٨/١٥ ، ٢٢٧، ٢٣٣ .

١- اذكار الاخوان بوجوب حق الايمان .

٢- الاستطراف في ذكر ماورد في الغيبة في الانصاف ، او معدن الجواهر ورياضة الخواطر .

٣- البيان عن جمل اعتقاد اهل الايمان .

٤- التعجب من اغلاط العامة في مسالة الامامة .

٥- التنبيه على اغلاط ابي الحسن البصري .

٦- تلقين اولاد المؤمنين .

٧- جواب رسالة الاخوين في رد الاشاعرة .

٨- الصوفية في خبر مظلوم ومراد .

٩- العدل في المحاكمة الى العقل .

١٠- عدة البصير في حج يوم الغدير .

وقد روى الحسن بن هبة الله الطرابلسي بعض كتب استاذه الشيخ الكراجكي .

وفي علمي الاخلاق والاجتماع كتب الشيخ الكراجكي كتبا ورسائل وهي :[1]

١- انتفاع المؤمنين بما في ايدي السلاطين .

٢- الانيس .

٣- التعريف بوجوب حق الوالدين .

٤- تسلية الرؤساء .

٥- التهذيب او تهذيب المسترشدين .

٦- التحفة في الخواتيم .

٧- تلقين اولاد المؤمنين .

٨- التعجب .

٩- الجليس .

١٠- روضة العابدين .

١١- رسالة في حق الوالدين .

١٢-عدة البصير .

---

(١) الخوانساري : روضات الجنات ٢١٠/٦ ، الامين : اعيان الشيعة ٣٠٧/٤٥ ، الطهراني: طبقات اعلام الشيعة / القرن الخامس ص١٣٢ ، ص١٧٧ ، ص١٧٩ ، الذريعة ٣٦٢/٢ ، ٤٥٠ ، ٢١١/٣ ، ٢٠٤ ، ١٧٨/٤ ، ٢١٦ ، ٥٠٣ ، ١٢٧/٥ ، ٣٧٥/١٥ .

١٣- كتاب التأديب .

١٤-العيون .

١٥-النوادر .

وكتب الشيخ الكراجكي في الرياضيات (الحساب الهندي) وقد عمل الجذور والمكعبات بأقسامها[١] .

ويعد كتاب (كنز الفوائد) شاملاً للعلوم والفنون والفضائل والاخلاق، وقد ضم سبع رسائل هي :[٢]

١- القول المبين عن وجوب المسح على الرجلين .

٢- البيان من اعتقاد الايمان .

٣- الاعلام بحقيقة ايمان امير المؤمنين عليه السلام وولده الكرام.

٤- وجوب الامامة .

٥- مختصر التذكرة باصول الفقه للشيخ المفيد .

٦- البرهان على صحة طول عمر الامام صاحب الزمان عليه السلام .

٧- جواب سؤال في وجوب الحج وبعض علله ومناسكه .

---

(١) عبد الله نعمة : فلاسفة الشيعة ص٨٩ .

(٢) الخوانساري : روضات الجنات ٦/٢١٠ .

وقد نقل الشيخ الكراجكي في كتابه (كنز الفوائد) روايات عن الائمة عليهم السلام ونماذج من حياتهم وأقوالهم ، وأدرج إحداثا عن عصر ما قبل الإسلام .

الخاتمة

احتضنت بغداد (دار السلام) منذ تاسيسها عام ١٤٥هـ ، وحتى سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ ، اعلام الفكر والعلم والادب ، ووطأ ارضها ثلاثة من الائمة عليهم السلام: الصادق والكاظم والجواد ، ومر بارضها امير المؤمنين عليه السلام ، وهو في طريقه الى النهروان ، وفي مدة خمسة قرون من حياة بغداد العباسية ، اسهم الاماميون في النهضة العلمية والفكرية ، فاسسوا المكتبات ودور العلم ، وناظروا العلماء في مباحث كلامية وفقهية ، وان تعرض بعضهم للمضايقات والابعاد ، او ايداعهم السجون والمعتقلات ، او القتل ، وما رافق ذلك من احراق الكتب والدور والمؤسسات العلمية ، في القرن الرابع الهجري ، تمتع الاماميون بحرية وتسامح في مجالس العلم والنظر ، والكتابة والتاليف ، وكان اعلام الامامية في مرحلتي الحرية والتضييق يمارسون نشاطاً علميا وفكريا كبيرين ، وقد فرض بعض الاعلام وجودهم على السلطة الحاكمة ، فاصبحت مجالسهم ملتقى لرجال العلم والفكر والادب ، ويحضرها اعلام من جميع مذاهب المسلمين ، وحتى اهل الذمة ، وقد اختار اعلام الامامية بغداد منذ عهد الغيبة الصغرى ، فقد استوطنها سفراء الامام الغائب عليه السلام ، واعلام الامامية الكبار ، وفي مقدمتهم: الشيخ الكليني ، والشيخ ابن قولويه ، والشيخ الصدوق ، والشيخ المفيد ، والسيدان الشريفان (الرضي والمرتضى) والشيخ الطوسي وغيرهم من اعلام الفكر والادب ، وتخرج على ايديهم كثير من الاعلام ، وتولى بعضهم منصب الوكالة عن المرجعية العليا في

البلدان الاسلامية ، وكان النتاج العلمي الامامي في بغداد قد امتاز بالاصالة والابداع ، وقد احتضنت المكتبات ودور العلم كتبا وفيرة في جميع مجالات المعرفة ، وان تعرض بعضها للاحراق من ذوي النفوس المريضة والحاقدة التي اعمتها العصبية المذهبية ، فالتهمت النيران جانبا من التراث الاسلامي، وان ما تعرض اليه الشيخ الطوسي عام ٤٤٨هـ شاهدا على ذلك ، وقد حاولنا بقدر الامكان رصد الحركة العلمية في مدينة بغداد في عصرها العباسي ، ودور الفكر الامامي في تطويرها ، ولم تكن احداث بغداد في منتصف القرن الخامس الهجري فريدة في التاريخ الاسلامي ، فقد سبقتها بلاد فارس في عهد الدولة الفزنوية ، واعقبتها احداث مصر في عهد الدولة الايوبية ، اذ لم يجدوا الا احراق التراث الاسلامي واضطهاد قادة الفكر والمعرفة ، ولم نجد من تعرض لمؤسسات اهل السنة العلمية بسوء ، بل قد تتلمذ بعض رجال الفكر الامامي على اعلام المذاهب والفرق الكلامية ، كما لم نجد تجريحا وشتماً في مؤلفاتهم ، وان المصادر الاساسية التي اعتمدناها في البحث قد افصحت بوضوح حقيقة الحالة بمدينة بغداد واننا قد وقفنا عليها على وفق المنهج العلمي المحايد ، دون انحياز لهذا او ذاك ، وتعاملنا مع الجميع على مسافة واحدة ، وبما ان كتابنا قد خُصّ بالفكر الامامي في بغداد ، الا اننا اشرنا الى جوانب من الفكر الاسلامي عند اهل السنة ، ولا سيما الحديث عن مجالس النظر والجدل ، واملي قد غطيت صفحة من التاريخ الفكري والعلمي في المرحلة التي وصل فيها العلم الى قمة النضج والاصالة ، وأسأل الله العلي القدير ان يأخذ بأيدينا الى

دراسات علمية وفكرية اخرى خدمة للكلمة الصادقة والحرف الاصيل ، ومنه تعالى نستمد العون والتوفيق ، انه نعم المولى ونعم النصير.

النجف الاشرف — الاستاذ الدكتور حسن الحكيم

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المخطوطات

الافندي: عبد الله بن عيسى الاصفهاني

١- رياض العلماء ، مخطوطة مصورة في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

البحراني: مرزوك بن محمد الشوبكي

٢- الدرة البهية ، مخطوطة في مكتبة مدرسة السيد البروجردي في النجف الاشرف.

البهبهاني: الوحيد محمد باقر بن محمد اكمل (ت ١٢٠٦هـ)

٣- تعليقة على منهج المقال ، مخطوطة في مكتبة الامام الحكيم في النجف الاشرف.

ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ).

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مخطوطة مصورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي/بغداد.

الخوانساري: احمد بن عبد الله

٥- الاجازة للمولى محمود عام ١١٦٥هـ ، مخطوطة في مكتبة مدرسة السيد البروجردي في النجف الاشرف.

الذهبي: شمس الاسلام ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)

٦- مختصر تاريخ الذهبي ، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب/جامعة بغداد.

السماهيجي: عبد الله بن صالح البحراني (ت ١١٣٥هـ)

٧- الاجازة للشيخ ناصر بن محمد الخطي السماهيجي (ت ١١٣٥هـ) مخطوطة في مكتبة الامام الحكيم في النجف الاشرف.

الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)

٨- الاقتصاد فيما يجب على العباد ، مخطوطة في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

الدهيجي: بهاء الدين محمد بن الشيخ ملا علي الشريف (المتوفى عام ١٠٧٥هـ)

٩- خير الرجال في بيان احوال الرجال ، مخطوطة في مكتبة الامام الحكيم العامة في النجف الاشرف.

النجاشي: ابو العباس احمد بن علي الاسدي (ت ٤٥٠هـ)

١٠- الرجال ، مخطوطة مصورة في مكتبة العلامة السيد محمد حسين الجلالي في النجف الاشرف.

ثانياً: المطبوعات

ابراهيم مصطفى وآخرون

١١- المعجم الوسيط ، مطبعة مصر ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ابن ابي اصيبعة: موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم السعدي.

١٢- عيون الابناء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ.

ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ)

١٣- الكامل في التاريخ في التاريخ ، المطبعة الازهرية المصرية، الطبعة الاولى ١٣٠١هـ.

١٤- اللباب في تهذيب الانساب ، مكتبة القدسي ١٣٥٦-١٣٨٦هـ.

ابن الاثير: ابو السعادات مبارك بن محمد الشيباني (ت ٦٠٦هـ)

١٥- جامع الاصول في احاديث الرسول ، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الاولى ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

ابن ابي الحديد: عز الدين ابو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦هـ)

١٦- شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، الطبقة الاولى ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

احمد امين (ت ١٣٧٣هـ)

١٧- ضحى الاسلام ، دار الكتاب العربي/بيروت ، الطبعة العاشرة.

١٨- ظهر الاسلام ، دار الكتاب العربي/بيروت ، الطبعة الخامسة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

ابن ادريس: ابو جعفر محمد بن منصور العجلي الحلي (ت ٥٩٨هـ)

١٩- السرائر ، طبع حجر/ايران ١٢٧٠هـ.

ادم متز

٢٠- الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري او عصر النهضة في الاسلام ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

الاسترابادي: محمد امين (ت ١٠٣٣هـ)

٢١- الفوائد المدنية ، طبع حجر ١٣٢١هـ.

الاصفي: محمد مهدي

٢٢- مقدمة اللمعة الدمشقية للشهيد الاول ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٨٦هـ.

ابو العلاء: احمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ)

٢٣- الرسائل ، المطبعة المدرسية/اوكسفورد ١٨٩٨م.

٢٤- شروح سقط الزند ، تحقيق مصطفى السقا واخرين ، الدار القومية للطباعة والنشر/القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

الامين: محسن الحسيني العاملي (ت ١٣٧١هـ)

٢٥- اعيان الشيعة ، مطابع الاتقان والترقي والانصاف في بيروت، مطابع ابن زيدون والترقي في دمشق.

الاميني: عبد الحسين النجفي (ت ١٣٩٠هـ)

٢٦- الغدير في الكتاب والسنة والادب ، دار الكتاب العربي/بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ال النجف: محمد طه بن الشيخ مهدي النجفي (ت ١٣٢٣هـ)

٢٧- اتقان المقال في احوال الرجال ، المطبعة العلوية/النجف الاشرف ١٣٤١هـ.

بحر العلوم: محمد (الدكتور)

٢٨- الدراسة وتاريخها في النجف ، موسوعة العتبات المقدسة/قسم النجف/بيروت ١٩٦٥م.

بحر العلوم: محمد مهدي الطباطبائي (ت ١٢١٢هـ)

٢٩- الرجال او الفوائد الرجالية ، تحقيق السيد محمد صادق والسيد حسين بحر العلوم ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

البحراني: يوسف بن احمد (ت ١١٨٦هـ)

٣٠- الكشكول ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣١- لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف.

البروجردي: حسين بن رضا الحسيني (ت ١٢٧٦هـ)

٣٢- نخبة المقال في علم الرجال ، مطبعة بيروت/ايران.

بروكلمان: كارل

٣٣- تاريخ الادب العربي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مطابع دار المعارف/مصر ١٩٦٢م.

البستاني: فؤاد افرام

٣٤- دائرة المعارف ، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٦٢.

البغدادي: اسماعيل بن محمد امين الباباني (ت ١٣٣٩هـ)

٣٥- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، مطبعة وكالة المعارف الجليلة/استانبول ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٣٦- هدية العارفين/اسماء المؤلفين واثار المصنفين ، مطبعة المعارف الجليلة استانبول.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ)

٣٧- مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق على محمد البجاوي ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٥م.

بنت الشاطىء: عائشة عبد الرحمن (الدكتورة)

٣٨- ابو العلاء المعري ، وزارة الثقافة والارشاد القومي/مصر ١٩٦٥م.

البهائي: محمد بن الحسين العاملي (ت ١٠٣١هـ)

٣٩- مشرق الشمسين واكسير السعادتين ، طبع حجر ١٣١٩هـ.

٤٠- الوجيزة ، طبع حجر ١٣١٩هـ.

٤١- وصول الاخيار ، طبع حجر.

التستري: نور الله بن شريف الدين عبد الله (ت ١٠١٩هـ)

٤٢- مجالس المؤمنين ، طبع حجر.

التفريش: مير مصطفى

٤٣- نقد الرجال ، طبع حجر/طهران ١٣١٨هـ.

ابن تغري بردي: جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتابكي (ت ٨٧٤هـ)

٤٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه.

التنكايني: ميرزا محمد بن سليمان

٤٥- قصص العلماء ، طبع حجر/ايران ١٣٢٠هـ

التوحيدي: ابو حيان علي بن محمد الواسطي

٤٦- الامتاع والمؤانسة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٣م.

ابن تيمية: ابو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ)

٤٧- منهاج السنة المحمدية ، المطبعة الكبرى الاميرية/بولاق/مصر الطبعة الاولى ١٣٢١هـ.

الثعالبي: ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٢٩هـ)

٤٨- تتمة اليتيمة ، مطبعة فردين/طهران ١٣٥٣هـ.

٤٩- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة/القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

جرجي زيدان (ت ١٣٣٢هـ)

٥٠- تاريخ اداب اللغة العربية ، دار الهلال/القاهرة.

الجنذبي: محمد سليم

٥١- الجامع في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره ، مطبعة الترقي/دمشق ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

جورج غريب

٥٢- العصر العباسي نماذج شعرية محللة.

ابن الجوزي: جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٥٣- مناقب بغداد ، مطبعة دار السلام/بغداد ١٣٤٢هـ.

٥٤- المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية/حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٥٩هـ.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله (كاتب حلبي المتوفى ١٠٦١هـ)

٥٥- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، المطبعة الاسلامية/طهران ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

ابن حجر: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

٥٦- لسان الميزان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية/حيدر اباد الدكن ، الطبعة الاولى ١٣٣١هـ.

الحسني: هاشم معروف

٥٧- سيرة الائمة الاثنى عشر ، طبع بيروت.

٥٨- المبادىء العامة للفقه الجعفري ، مطابع دار الاندلس/بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م.

حسين امين (الدكتور)

٥٩- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الارشاد/بغداد ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

حسين علي محفوظ (الدكتور)

٦٠- مقدمة كتاب "الكافي" طبع ايران.

الحسيني: صدر الدين علي خان المدني الشيرازي (ت ١١٢٠هـ)

٦١- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)

٦٢- الاجتهاد الفقهي والواقع المعاصر للمجتمع الاسلامي ، شركة المارد العالمية للتصميم/النجف الاشرف.

٦٣- الامام المهدي تاريخ وعقيدة ، طبع في النجف الاشرف.

٦٤- الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٩٧٥م.

٦٥- الشيخ النجاشي ابو العباس احمد بن علي الاسدي طبع في النجف الاشرف ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٦٦- مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث ، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

الحكيم: محمد تقي

٦٧- الاصول العامة للفقه المقارن ، مطابع دار الاندلس/بيروت، الطبعة الاولى ١٩٦٣م.

الحلي: عبد الحسين

٦٨- مقدمة كتاب (حقائق التأويل) للشريف الرضي.

خدابخش

٦٩- الحضارة الاسلامية ، ترجمة الدكتور علي حسني الخربوطلي ، دار احياء الكتب العربية ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)

٧٠- تاريخ بغداد او مدينة السلام ، مطبعة السعادة/مصر ، الطبعة الاولى ١٣٤٩هـ/١٩٣١م.

ابن خلكان: شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

٧١- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة/مصر الطبعة الاولى ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

الخوانساري: محمد باقر الموسوي

٧٢- روضات الجنات في احوال العلماء والسادات الطبعة الحجرية ١٣٠٦هـ.

الخوئي: السيد ابو القاسم الموسوي

٧٣- رسالته للمهرجان الالفي للشيخ الطوسي مطبعة جامعة مشهد/١٣٩١هـ.

٧٤- معجم رجال الحديث ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

ابن داود: تقي الدين الحسن بن علي

٧٥- الرجال ، مطبعة دانشكاه/طهران ١٣٤٢هـ.

دوزي: رينهارت

٧٦- تكملة المعاجم العربية ، ترجمة الدكتور محمد سليم النعيمي ، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٩٧٨م.

دونلدسن: داويت.م.

٧٧- عقيدة الشيعة ، مطبعة السعادة/مصر ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

الذهبي: ابو عبد الله محمد بن احمد (ت ٧٤٨هـ)

٧٨- كتاب دول الاسلام ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٧٩- المشتبه في الرجال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٩٦٢م.

٨٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م.

الذهبي: محمد حسين

٨١- التفسير والمفسرون ، مطابع دار الكتاب العربي ، مطبعة السعادة/مصر ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

الرشتي: عبد الحسين بن الشيخ عيسى النجفي (ت ١٣٧٣هـ)

٨٢- شرح كفاية الاصول ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٠هـ.

الزبيدي: محب الدين ابو الفيض محمد بن محمد (مرتضى الحسيني) (ت ١٢٠٥هـ)

٨٣- تاج العروس في شرح القاموس ، مطابع دار صادر/بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الزركلي: خير الدين

٨٤- الاعلام ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ، الطبعة الثانية ١٩٥٤-١٩٥٦م.

ابن زهرة: تاج الدين بن محمد الحسيني

٨٥- غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٩٦٣م.

ابو زهرة: محمد

٨٦- الامام الصادق - حياته وعصره ، اراؤه وفقهه ، مطبعة احمد علي مخيمر/القاهرة.

الزهيري: محمود غناوي

٨٧- الادب في ظل بني بويه ، مطبعة الامانة/مصر ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

سبط ابن الجوزي: شمس الدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ)

٨٨- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية/حيدر اباد الدكن ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

السبكي: تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ)

٨٩- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناهي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الاولى ١٩٦٦م.

سركيس: يوسف الباف

٩٠- معجم المطبوعات العربية والمعربة مطبعة سركيس/مصر ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م.

سيد شفيع: ابن السيد علي اكبر الحسيني (ت ١٢٨٠هـ)

٩١- الروضة البهية في الطرق الشفيعية طبع حجر.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت ٩١١هـ)

٩٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي الطبعة الاولى ١٩٦٤م.

٩٣- تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة/مصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٢م.

٩٤- طبقات المفسرين ، طبع ليدن ١٨٣٩م.

ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ)

٩٥- عيون التواريخ ، تحقيق الدكتور فيصل الساحر ونبيلة عبد المنعم ، دار الحرية للطباعة/بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

شبر: جواد

٩٦- ادب الطف او شعراء الحسين ، مطابع شعاركو ودار الصادق وقدموس الجديدة/بيروت ١٩٦٩-١٩٧٧.

الشبيبي: محمد رضا

٩٧- مؤرخ العراق ابن الفوطي ، مطبعة التفيض/بغداد ١٩٥٠-١٩٥٨م.

الشرباصي: احمد

٩٨- قصة التفسير ، مطابع دار القلم/القاهرة ١٩٦٢م.

الشريف الرضي: ابو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦هـ)

٩٩- الديوان ، دار صادر/بيروت ١٩٦١م.

الشريف المرتضى: ابو القاسم علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦هـ)

١٠٠- تنزيه الانبياء ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٠١- الديوان ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨م.

١٠٢- الذريعة الى اصول الشريعة ، مطبعة جامعة طهران ١٣٨٦هـ.

١٠٣- الشافي في الامامة ، طبع حجر/ايران ١٣٠١هـ.

شلبي: احمد (الدكتور)

١٠٤- تاريخ التربية الاسلامية ، دار الطباعة الحديثة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٠م.

ابن شهراشوب: رشيد الدين ابو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ)

١٠٥- معالم العلماء ، مطبعة فردين/طهران ١٣٥٣هـ.

الشهيد الاول: محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦هـ)

١٠٦- كتاب الاربعين حديثاً ، ملحق مع كتاب (الغيبة) لمحمد بن ابراهيم النعماني ، طبع طهران ١٣١٨هـ.

الصابي: ابو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ)

١٠٧- رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عواد مطبعة العاني/بغداد ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

الصدر: حسن هادي الكاظمي (ت ١٣٥٤هـ)

١٠٨- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

١٠٩- الشيعة وفنون الاسلام ، مطبعة العرفان/صيدا ١٣٣١هـ.

١١٠- عيون الرجال ، مطبعة تصوير عالم بريس ديوري اغامير/لكهنو.

١١١- نهاية الدراية في شرح الرسالة الموسومة بالوجيزة ، مطبعة عماد الاسلام/لكنهو ١٣٢٣هـ.

الصدر: محمد باقر

١١٢- المعالم الجديدة للاصول ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٨٥هـ.

الصدوق: ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)

١١٣- الامالي ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م.

١١٤- عيون اخبار الرضا ، مطبعة دار العلم/قم ١٣٧٧-١٣٧٩هـ.

١١٥- من لا يحضره الفقيه ، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف/النجف الاشرف ، الطبعة الرابعة ١٣٧٨هـ.

الصفار: رشيد

١١٦- مقدمة ديوان الشريف المرتضى ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨م.

الصفدي: صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ)

١١٧- الوافي بالوفيات ، مطبعة وزارة المعارف استانبول ١٩٤٩م ، ومطابع دار صادر/بيروت ، والهاشمية/دمشق.

طه حسين (الدكتور)

١١٨- تجديد ذكرى ابي العلاء ، مطبعة المعارف/مصر ، الطبعة الثالثة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

١١٩- تعريف القدماء بابي العلاء ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

الطاهر: علي جواد (الدكتور)

١٢٠- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي، مطبعة المعارف/بغداد ١٩٥٨م.

ابن طاووس: غياث الدين عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ)

١٢١- مزحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ.

ابن طاووس: رضي الدين ابو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)

١٢٢- فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٨هـ.

١٢٣- كشف المحجة لثمرة المهجة ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

١٢٤- مهج الدعوات ومنهج العبادات ، طبع عام ١٣٢٣هـ.

الطبرسي: ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب

١٢٥- الاحتجاج ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الطبرسي: امين الدين الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ)

١٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن شركة المعارف الاسلامية/طهران ١٣٧٩هـ.

الطريحي: فخر الدين بن محمد علي الرماحي النجفي (ت ١٠٨٥هـ)

١٢٧- جامع المقال فيما يتعلق بأحوال الحديث والرجال ، تحقيق محمد كاظم الطريحي ، مطبعة حيدري/طهران.

١٢٨- مجمع البحرين ، تحقيق السيد احمد الحسيني ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف ١٣٨٦هـ.

الطهراني: اغا بزرك محمد محسن (ت ١٣٨٩هـ)

١٢٩- الذريعة الى تصانيف الشيعة ، مطابع الغري والاداب/النجف الاشرف ، ومطابع مجلس الشورى ودولتي/طهران.

١٣٠- طبقات اعلام الشيعة/القرن الرابع ، دار الكتاب العربي/بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

١٣١- طبقات اعلام الشيعة/القرن الخامس ، تحقيق علي نقي منزوي ، دار الكتاب العربي/بيروت ١٩٧١.

الطوسي: ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)

١٣٢- الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، تحقيق السيد حسن الخرسان ، مطبعة النجف/النجف الاشرف الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

١٣٣- الامالي ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

١٣٤- تلخيص الشافي ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

١٣٥- تهذيب الاحكام ، تحقيق السيد حسن الخرسان ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف ، الطبعة الثانية ١٣٧٧هـ/١٩٥٦م.

١٣٦- الجمل والعقود ، طبع حجر.

١٣٧- الخلاف ، المطبعة الاسلامية/طهران ١٣٧٠هـ.

١٣٨- الرجال ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الاولى ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

١٣٩- عدة الاصول ، مطبعة اقا ميرزا حبيب الله/طهران ١٣١٧هـ.

١٤٠- الغيبة ، مطبعة النعمان/النجف الاشرف الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ.

١٤١- الفهرست ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف الطبعة الثانية ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

١٤٢- المبسوط ، طبع حجر.

١٤٣- مصباح المتهجد ، مطبعة علمي/مشهد ١٣٣٨هـ.

طوطح: خليل

١٤٤- التربية عند العرب ، المطبعة التجارية/القدس.

العاملي: بهاء الدين (ت ١٠٣١هـ)

١٤٥- الكشكول ، تحقيق طاهر احمد الزاوي ، دار احياء الكتب العربية ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.

العاملي: جمال الدين ابو منصور الحسن بن زين الدين (ت ١٠١١هـ)

١٤٦- منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان مطبعة جاويد/طهران.

عبد الله نعمة

١٤٧- فلاسفة الشيعة/حياتهم ، اراؤهم ، مطابع دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر/بيروت.

ابن عبد الصمد: عز الدين حسين الحارثي (ت ٩٨٤هـ)

١٤٨- وصول الاخيار الى اصول الاخبار ، طبع حجر ١٣٠٦هـ.

عبد الكريم زيدان (الدكتور)

١٤٩- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية ، المطبعة العربية/بغداد، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن العبري: ابو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي (ت ١٢٨٦هـ)

١٥٠- تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية/بيروت ١٩٥٨م.

عطية الله: احمد

١٥١- القاموس الاسلامي ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر/القاهرة ١٩٦٣-١٩٧٠م.

ابو العلاء المعري: احمد بن عبد الله (ت ٤٤٩هـ)

١٥٢- الرسائل ، المطبعة المدرسية/اوكسفورد ١٨٩٨م.

١٥٣- رسالة الغفران ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء ، مطبعة دار المعارف/مصر ، الطبعة الثانية.

١٥٤- سقط الزند ، منشورات دار مكتبة الحياة/بيروت ١٩٦٥م.

١٥٥- شروح سقط الزند ، تحقيق مصطفى السقا واخرين ، الدار القومية للطباعة والنشر/القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

العلامة الحلي: جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)

١٥٦- الاجازة الكبيرة لبني زهرة الحلبيين (بحار الانوار) للشيخ المجلسي المجلد (٢٦) طبع حجر ١٣١٥هـ.

١٥٧- الرجال او (خلاصة الاقوال في معرفة الرجال) تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الثانية ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ابو علي: محمد بن اسماعيل المازندراني (ت ١٢١٥هـ)

١٥٨- منتهى المقال في علم الرجال ، طبع حجر ١٣٠٠هـ.

علي اكبر فياض (الدكتور)

١٥٩- محاضرات عن الشعر الفارسي والحضارة الاسلامية في ايران ، مطابع الاصلاح/الاسكندرية.

ابن العماد: ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ)

١٦٠- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، مكتبة القدسي/القاهرة ١٣٥٠هـ.

العمري: اكرم ضياء (الدكتور)

١٦١- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، مطبعة الارشاد/بغداد ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ابن عنبة: جمال الدين احمد بن علي الداودي الحسني (ت ٨٢٨هـ)

١٦٢- عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف.

غنيمة: محمد عبد الرحيم

١٦٣- تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ، دار الطباعة المغربية/نطوان ١٩٥٣م.

ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ)

١٦٤- المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الاولى.

الفضلي: عبد الهادي

١٦٥- دليل النجف الاشرف ، مطبعة الاداب/النجف الاشرف.

ابن الفوطي: كمال الدين عبد الرزاق بن احمد الشيباني (ت ٧٢٣هـ)

١٦٦- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ، ومطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي/دمشق ١٩٦٢-١٩٦٥م.

فياض: عبد الله (الدكتور)

١٦٧- الاجازات العلمية عن المسلمين ، مطبعة الارشاد/بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٧م.

١٦٨- تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي ، مطبعة اسعد/بغداد ١٩٧٢م.

فيليب حتي (الدكتور)

١٦٩- تاريخ العرب (المطول) الطبعة الثالثة ١٩٦١ بالاشتراك مع الدكتور ادورد جرجي والدكتور جبرائيل جبور.

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود

١٧٠- اثار البلاد واخبار العباد ، دار صادر ودار بيروت/بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

القفطي: جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)

١٧١- انباه الرواة على انباء النحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

١٧٢- عيون الانباء في طبقات الاطباء ، المطبعة الوهبية ، الطبعة الاولى ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م.

القلقشندي: ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)

١٧٣- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

القمي: عباس (ت ١٣٥٩هـ)

١٧٤- تحفة الالباب في نوادر آثار الاصحاب ، مطبعة سبهر/طهران ١٣٦٩هـ.

١٧٥- سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار ، المطبعة العلمية/النجف الاشرف ١٣٥٢-١٣٥٥هـ.

١٧٦- الفوائد الرضوية في احوال علماء المذهب الجعفرية ، مطبعة المركزي/طهران ١٣٢٧هـ.

١٧٧- الكنى والالقاب ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

القهبائي: زكي الدين عناية الله علي

١٧٨- مجمع الرجال ، طبع في اصفهان ١٣٨٤هـ.

ابن قولويه: ابو القاسم جعفر بن محمد

١٧٩- كامل الزيارات ، المطبعة المباركة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٥٦هـ.

الكاشاني: ملا حبيب الله الشريف (ت ١٣٤٠هـ)

١٨٠- لباب الالقاب في القاب الاطياب ، مطبعة مصطفوي ١٣٧٨هـ.

كاشف الغطاء: جعفر بن الشيخ خضر (ت ١٢٢٨هـ)

١٨١- كشف الغطاء عن خفيات مبهمات ، طبع حجر ١٣١٧هـ.

الكاظمي: اسد الله بن اسماعيل التستري (ت ١٢٣٧هـ)

١٨٢- كشف القناع عن وجوه حجية الاجماع ، طبع عام ١٣١٦هـ.

١٨٣- مقابس الانوار ونفائس الاسرار في احكام النبي المختار وعترته الاطهار ، طبع حجر ١٣٢٢هـ.

ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ)

١٨٤- البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة/مصر ، الطبعة الاولى ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

كحالة: عمر رضا

١٨٥- معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي/دمشق ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الكراجكي: ابو الفتح محمد بن علي (ت ٤٢٩هـ)

١٨٦- كنز الفوائد ، طبع حجر ١٣٢٢هـ.

الكلباسي: ابو الهدى الاصفهاني (ت ١٣١٥هـ)

١٨٧- سماء المقال في تحقيق علم الرجال ، مطبعة حكمت/قم ١٣٧٢هـ.

الكليني: ابو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)

١٨٨- الكافي ، شرح المولى محمد صالح المازندراني.

الكنتوري: اعجاز حسين النيسابوري (ت ١٢٨٦هـ)

١٨٩- كشف الحجب والاستار عن اسماء الكتب والاسفار ، مطبعة بيتس حشن/كلكتا ١٣٣٠هـ.

كوركيس عواد

١٩٠- خزائن الكتب القديمة في العراق ، مطبعة المعارف/بغداد ١٩٤٨م.

مارون عبود

١٩١- بو العلاء زوبعة الدهور ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

ماكس مايرهوف (الدكتور)

١٩٢- من الاسكندرية الى بغداد ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوي.

المامقاني: عبد الله بن محمد حسن (ت ١٣٥١هـ)

١٩٣- تنقيح المقال في احوال الرجال ، المطبعة المرتضوية/النجف الاشرف ١٣٥٠-١٣٥٢هـ.

الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد البصري (ت ٤٥٠هـ)

١٩٤- الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة المحمودية التجارية/مصر.

المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ)

١٩٥- بحار الانوار ، طبع حجر ١٣١٥هـ.

محمد ابو الفضل ابراهيم

١٩٦- مقدمة امالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) دار احياء الكتب العربية ، الطبعة الاولى ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

محمد كرد علي (ت ١٣٧٢هـ)

١٩٧- الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٨م.

المحقق الحلي: ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي (ت ٦٧٦هـ)

١٩٨- المعتبر ، طبع حجر.

محيي الدين: عبد الرزاق (الدكتور)

١٩٩- ادب المرتضى من سيرته وآثاره ، مطبعة المعارف/بغداد، الطبعة الاولى ١٩٥٧م.

المدرسي: محمد علي التبريزي (ت ١٣٧٣هـ)

٢٠٠- ريحانة الادب في تراجم المعروفين بالكنية او اللقب ، مطبعة علمي/ايران ١٣٦٧هـ.

المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ)

٢٠١- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة/مصر ، الطبعة الخامسة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

مسكويه: ابو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١هـ)

٢٠٢- تجارب الامم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية/مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

المشكاة: محمد الحسيني

٢٠٣- مقدمة تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، مطبعة مجلس الشورى/طهران ١٣٧٢هـ.

مصطفى جواد (الدكتور)

٢٠٤- ابو جعفر النقيب ، مطبعة الهلال/بغداد.

٢٠٥- دليل خارطة بغداد (بالاشتراك مع الدكتور احمد سوسة) مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

المفيد: ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)

٢٠٦- الارشاد ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٧٢هـ/١٩٦٢م.

٢٠٧- الامالي ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٦٧هـ.

٢٠٨- اوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، تحقيق فضل الله الزنجاني ، مطبعة رضائي/تبريز ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ.

٢٠٩- تصحيح الاعتقاد ، او (شرح عقائد الصدوق) مطبعة رضائي/تبريز ، الطبعة الثانية ١٣٧١هـ.

المقريزي: تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)

٢١٠- اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة ١٩٤٨.

المكي: العباس بن نور الدين الحسيني

٢١١- نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

منتجب الدين: علي بن عبيد الله

٢١٢- الفهرست ، (بحار الانوار للمجلسي) المجلد (٢٥)، طبع حجر ١٣١٥هـ.

المنتصر: عبد الحليم (الدكتور)

٢١٣- تاريخ العلم ودور العلماء في تقدمه ، شركة مطابع محرم/الاسكندرية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م.

المؤيد في الدين: هبة الله الشيرازي (ت ٤٧٠هـ)

٢١٤- الديوان ، تحقيق محمد كامل حسين ، دار الكتاب المصري/القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٤٩م.

ميرخواند: مير محمد بن سيد برهان الدين

٢١٥- تاريخ روضة الصفا ، مطبعة بيروز/طهران ١٣٧٩هـ.

ميرزا محمد: ابو علي محمد بن اسماعيل

٢١٦- منتهى المقال في احوال الرجال ، طبع حجر/ايران ١٣٠٠هـ.

النجاشي: ابو العباس احمد بن علي (ت ٤٥٠هـ)

٢١٧- الرجال ، او الفهرست ، مطبعة مصطفوي.

نجف: محمد طه بن الشيخ مهدي النجفي (ت ١٣٢٣هـ)

٢١٨- اتقان المقال في احوال الرجال المطبعة العلوية/النجف الاشرف ١٣٤١هـ.

ابن النديم: محمد بن اسحاق

٢١٩- الفهرست ، مطبعة الاستقامة/القاهرة.

سكلسن: رينولد

٢٢٠- تاريخ الادب العباس ، تحقيق الدكتور صفاء خلوجي ، مطبعة اسعد/بغداد ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢٢١- دائرة المعارف الاسلامي (مادة ابو العلاء).

النوري: الميرزا محمد حسين الطبري (ت ١٣٢٠هـ)

٢٢٢- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، مطبعة دار الخلافة/طهران ١٣١٨-١٣٢١هـ.

الهروي: محمد حسن اديب

٢٢٣- الحديقة الرضوية في تاريخ مشهد ، مطبعة خراسان/مشهد، الطبعة الاولى ١٣٦٧هـ.

اليافعي: ابو محمد عبد الله بن اسعد اليمني (ت ٧٦٨هـ)

٢٢٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، مطبعة دائرة المعارف النظامية/الطبعة الاولى ١٣٣٨هـ.

ياقوت: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦هـ)

٢٢٥- معجم الادباء ، مطبعة دار المأمون/مصر.

٢٢٦- معجم البلدان ، اوفست طهران ١٩٦٥م.

يعقوب لبسز

٢٢٧- خطط بغداد في العهود العباسية الاولى ، ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي/بغداد.

اليعقوبي: احمد بن ابي يعقوب

٢٢٨- البلدان ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف ، الطبعة الثالثة ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

٢٢٩- التاريخ ، المطبعة الحيدرية/النجف الاشرف الطبعة الرابعة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤.

ثالثاً: البحوث والدراسات

بحر العلوم: محمد صادق

٢٣٠- تاريخ اصول الفقه ، مجلة الايمان العدد (٥-٦) السنة الاولى.

حسين علي محفوظ (الدكتور)

٢٣١- طرائف من سيرة الشيخ الطوسي ، مجلة الايمان ، العدد (٣-٤) السنة الثالثة.

الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)

٢٣٢- الصدوق ومكانته في الفكر الاسلامي مجلة البلاغ ، العدد (٨-٩) السنة السادسة ١٩٧٦م.

٢٣٣- الشيخ الكليني وكتابه الكافي ، مجلة البلاغ ، العدد (٥-٦) السنة السادسة ١٩٧٦.

٢٣٤- ابن عبدون امام الفقه ، جريدة الاستاذ الجامعي ، العدد الاول ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٣٥- نظرات في كتب الامالي الرئيسية عند الامامية ، مجلة الرابطة ، العدد السادس ، السنة الثانية ١٩٧٦م.

الخاقاني: علي

٢٣٦- من النوادر المخطوطة في النجف ، مجلة الغري ، العدد (١٣) السنة الاولى.

الفياض: عبد الله (الدكتور)

٢٣٧- من كتب الامالي ، مجلة الايمان ، العدد (٣-٤) السنة الثالثة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

مصطفى جواد (الدكتور)

٢٣٨- الثقافة العقلية والحالة الاجتماعية في عصر الرئيس ابي علي بن سينا ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الرابع.

المظفر: محمد رضا

٢٣٩- الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، مؤسس جامعة النجف، مجلة النجف ، العدد الخامس ، السنة الثانية.

الفهرس